بحوث ندوة

الدعوة في عهد

الملك عبد العزيز

رحمه الله

تقديم صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

والمشرف العام على المركز

الحمد لله رب العالمين - والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

فإن أجل نعم الله تعالى على المؤمنين أن بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فدعا r إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أكمل الله U لعباده الدين، وأتم عليهم النعمة، ورضي لهم الإسلام دينا.

ولما انتقل الرسول r إلى الرفيق الأعلى، حمل شرف الدعوة إلى الله - تعالى - أفضل الخلق من بعده، خلفاؤه الراشدون، وصحابته الكرام، وخيار الأمة في كل زمان، عملا بقوله U { ÓÍè6?$ÇBr ŒB œž•Ã / 4?ã «‹ $'‹Ì (þãš þíÎ™ ¾íÉ»d Œè } (1) ومسارعة إلى نيل فضيلة الدعوة إلى الله، وحيازة السبق في الاقتداء بالرسول r { ŽvQ% ß¡ôn& ôBr } (2).

{ ÇÌÈ ûüÙÎóŒ3Ø$`Ï ÓÍ_ÑÌ A$%r $[sÎ» ¹ ŒÙãr «‹ $'‹Ì !æŠ `ÏB

وفي القرن الثاني عشر الهجري أراد الله - تعالى - بجزيرة العرب خيرا، فبعث فيها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - يدعو إلى الله تعالى على بصيرة، وقيض الله لهذه الدعوة من يناصرها بقوة السلطان، ويضم إلى الحجة والبرهان قوة السيف والسنان، وهو الإمام محمد بن سعود - رحمه الله - فأحيا الله بهذه الدعوة المباركة من معالم الدين ما كان قد اندرس، وأمات بها من مظاهر الشرك والبدع ما كان قد انتشر؛ فكانت الدعوة إلى الله - تعالى - هي القاعدة الأساس التي بنيت عليها الدولة السعودية

---

(1) سورة يوسف آية : 108 .

(2) سورة فصلت آية : 33 .

منذ عهدها الأول.

وقد قويت هذه الدعوة، ورسخ بنيانها، واتسع نطاقها، وتعددت وسائلها في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - الذي أعاد مجد البلاد، وأنشأ دولة قوية بناها على القرآن والسنة، وحكم فيها الشريعة الإسلامية، وكان - يرحمه الله - كما وصفه خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - في إحدى خطبه: " يؤمن إيمانا مطلقا بأنه لا يتوفر للعقيدة عزة وانتشار وخلود إلا في ظل كيان آمن مطمئن، يقوم على رعايتها، وتبليغها، والدعوة إليها، والدفاع عنها ".

وقد سار أبناؤه البررة على المنهج القويم الذي انتهجه والدهم، مؤكدين في كل مناسبة تمسكهم به وحرصهم عليه. وكان من اهتمام خادم الحرمين الشريفين بالدعوة الإسلامية أن أمر - يحفظه الله - بإنشاء وزارة تستقل بهذا العبء فتكون أقدر على أداء واجبها وتحقيق أهدافها، وهي وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

وقد أدركت الوزارة أن الجيل الجديد الذي نشأ في نعمة ورخاء واستقرار لا نظير له في أكثر دول العالم، قد يخفى عليه قدر هذه النعمة التي من الله علينا بها بفضله، ثم الجهود التي بذلها مؤسس هذه الدولة: الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - في تحكيم شريعة الله، وإقامة شعائره، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن ثم نظمت الوزارة في العام الماضي ندوة علمية تحت عنوان " الدعوة في عهد الملك عبد العزيز " انعقدت في الرياض في 23/ 2/1420 هـ، واستمرت خمسة أيام قدمت فيها بحوث قيمة استعرضت صفات الملك عبد العزيز - رحمه الله - التي كانت من الأسباب الرئيسية - بعد توفيق الله تعالى - في نجاحه في تأسيس الحكم على قواعد الإسلام، وتحدثت عن منهجه في الدعوة إلى الله، والأساليب التي اتخذها في هذا المضمار.

ولتعميم الفائدة من بحوث هذه الندوة، رأت الوزارة أن تنشرها في مجلد واحد؛ ليطلع القراء - بخاصة شبابنا - على سيرة مؤسسي هذه الدولة ومنهجه الذي التزمه أبناؤه البررة، وليستفيد منه العاملون في مجال الدعوة الإسلامية في داخل البلاد وخارجها.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدعوة
قبل عهد الملك عبد العزيز

إعداد

الدكتور أحمد بن عبد العزيز البسام

عضو هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- فرع القصيم

الدعوة قبل عهد الملك عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين....

وبعد

فقد كان القائمون بالدعوة إلى الله هم العلماء وطلبة العلم الذين كانوا يقومون بمهام متعددة من التعليم والتوجيه والنصح والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقضاء بين الناس حسب الشريعة الإسلامية. والحديث عن الدعوة قبل عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول

الدعوة قبل الدعوة الإصلاحية وقيام الدولة السعودية الأولى

يتضمن الحديث عن الدعوة قبل الدعوة الإصلاحية وقيام الدولة السعودية الأولى: وكانت المنطقة تعاني من عدم وجود حكومة مركزية بعد سقوط الدولة الأخيضرية منذ القرن الخامس الهجري [1] وكان من الآثار الطبيعية والمتوقعة لذلك هو انتشار الفوضى السياسية، وانعدام الأمن، وتدهور الأوضاع الاقتصادية، وتأثير ذلك كله سلبا على الحركة التعليمية.

لذلك كان التعليم مقصورا على أبناء الأسر الميسورة التي تستطيع تحمل تكلفة دراسة أبنائهم بهدف رفع الجهل عنهم، وانتظار إكمالهم دراستهم لمساعدة آبائهم في تجارتهم، وتطلع بعض الأولياء إلى تأهل أبنائهم لتولي منصب الإمامة في أحد المساجد لأن قسما من المساجد في بلدان نجد لها أوقاف تشجع الكثير من الناس على تولي إمامتها، ومن ذلك الأوقاف الخاصة بثلاثة مساجد في بلدة أشيقر [2] وهي المسجد العتيق [3] ومسجد

(1) عن الدولة الأخيضرية انظر عبد الله بن يوسف الشبل الدولة الأخيضرية ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، ع 6 لعام 1396 هـ طباعة جامعة الإمام ص 459-466 .

(2) تقع في شمال الوشم ، انظر عنها محمد بن عبد الله بن بليهد ، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، الطبعة الثانية 1399 هـ ج 3 ص 16 .

(3) جاء في وصية الواقف قوله : (ولإمام المسجد العتيق نصف الصدقة وله أرض في ابن قضيب في العامرية نصف نخلها وأثلها وله ربع أثل حايط عقبه المرتفع وخمسة أسهم من تسعة في قطعة أرض في علو أرض أم غانم ونصيبه من النخل ونصف أرض فيد القصبة ونصيبهم من النخل وله أحيمري بنت ابن نمي المعروف بفيد الإمام وله خارج السور أرض تدعى أرض المطوع وطالعتها وله سدس حويطة العاقول وخمس زميقه وربع مقلب اللبدان وسهم من اثنعشر سهم من أرض (كلمة غير واضح) ونصيبه من النخل وله من أربعة وعشرين سهم من ابن ناجم وشميليه وله من ابن خراش إذا خرج منه السراج سبعين وزنه بالأول وله ثلثي أعلا أرض بن أسلم وربع البليهدي في الفرعه) وثيقة مخطوطة من ورقة واحدة لدى صالح الرزيزا في أشيقر ، انظر الملحق رقم (1) .

الفيلقيه [1] والمسجد الشمالي [2].

وإذا كانت الأوضاع الاقتصادية مانعة لانتشار التعليم الأولي وهو تعليم الكتاتيب فكان من الطبيعي أن تكون المعوقات أكبر بالنسبة للتعليم المتقدم الذي لم يتوفر إلا لقسم أقل من أبناء المجتمع، وهم الذين تهيأت لهم الظروف المادية والرغبة في مواصلة التعليم.

وكان هناك عدد من المراكز العلمية التي خرجت الكثيرين من العلماء الذين تولوا مناصب التعليم والقضاء في بلدانهم وغيرها [3] كما أن هناك عددا من البلدان التي تصدى فيها بعض العلماء للتدريس والإفتاء والتأليف ونسخ الكتب وكتابة وثائق المعاملات بين الناس، وتخرج على أيديهم مجموعة من العلماء وطلبة العلم، ومن هذه المراكز والبلدان:

أشيقر

وتعد أكبر المراكز العلمية في نجد قبل الدعوة الإصلاحية، ومن علماء هذا المركز الشيخ محمد بن أحمد بن بسام الذي عينه شريف مكة قاضيا في عالية نجد في القرن العاشر

(1) جاء في وصية الواقف قوله : ولإمام مسجد الفيلقيه ربع نخل ابن عقيه وليس له في الأرض نصيب وله حويط الصفر مصروف إليه والا فهو وقف على مسجد الربيعيه قبل يملك وله عشرون وزنة في ابن غداف في حق العامل وله ما فضل بعد إعلاق ثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان في وقف الرزيزا في الحكمية) ، وثيقة مخطوطة من ورقة واحدة ، لدى صالح الرزيزا في أشيقر ، انظر الملحق رقم (2) .

(2) جاء في وصية الواقف قوله (ولإمام مسجد الشمال أرض علي الدبياوي إذا خرج منها سراج في . المسجد العتيق وله صبرة الجنينة وله أرض القصبي خالصة وربع أرض الجنيني والشميلي في البديعة طالع سدسهن لابن يوسف وربع أرض حويط محمد ومغرس في الجمعية فيه يومئذ مقفزيه ونتجها) ، وثيقة مخطوطة من ورقة واحدة ، لدى صالح الرزيزا في أشيقر ، انظر الملحق رقم (3) .

(3) جاء في وثيقة تاريخية تحدث فيها كاتبها عن مشايخ الشيخ عثمان بن عبد الجبار ، وذكر منه الشيخ عبد المحسن الشارخي وقال عنه أنه قاضي الكويت والزبير ، وثيقة مخطوطة من ورقة واحدة ، لدى الباحث ، والشيخ عبد المحسن من بلدة الفرعه وأخذ العلم عن علماء أشيقر ثم رحل إلى الأحساء وأخذ عن علمائها ثم انتقل بعد ذلك إلى الزبير- البسام ، عبد الله بن عبد الرحمن ، علماء نجد خلال ثمانية قرون ، 2 ط ، دار العاصمة ، الرياض ، 419 هـ ، ج 5 ص 28 - 29 .

الهجري [1] والشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل [2] الذي درس على يديه عدد من كبار علماء نجد في القرن الحادي عشر أمثال: الشيخ عبد الله بن ذهلان [3] وغيره، ومن الوثائق التي كتبها رحمه الله وثيقة وقف آل سكران [4] والشيخ حسن أبا حسين [5] ومن كتاباته العلمية نسخة لكتاب الرد على النصارى لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وجاء في آخر النسخة قول الشيخ حسن رحمه الله -:

" وكتبه لنفسه فقير عفو ربه الراجي رحمة ربه أرحم الراحمين حسن بن عبد الله بن حسن بن علي بن حمد أبا حسين حامدا الله ومصليا على نبيه ومسلما، وكان الفراغ رابع شهر رمضان سنة 1102 هـ سنتين بعد المائة والألف وصلى الله على نبينا محمد عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون " [6].

(1) هو الشيخ محمد بن أحمد بن منيف بن بسام ، ولد في أشيقر وأخذ عن علمائها ، وتولى منصب القضاء في أشيقر وعينه شريف مكة قاضيا في عالية نجد ، وهو من علماء النصف الثاني من القرن العاشر الهجري (البسام ، علماء ج 5 ص ق 500-502) .

(2) هو الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل السبيعي ، ولد في أشيقر وأخذ عن علمائها ، وجد واجتهد حتى صار من كبار العلماء ولقب بعلامة الديار النجدية ، ومن أعماله العلمية نسخة لكتاب التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ، وكانت وفاته- رحمه الله- عام 1059 هـ (البسام ، علماء ج 5 ، هـ 487- 493) .

(3) ولد الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان في العيينة ، وأخذ عن علمائها وغيرهم من العلماء النجديين ثم انتقل إلى الرياض وتولى فيها القضاء والتعليم ، وتخرج على يديه عدد كبير من علماء نجد ، وتوفي- رحمه الله- عام 1099 هـ (البسام ، علماء ، ج 4 هـ 411-414) .

(4) ثلاث ورقات مخطوطة ، لدى الباحث ، انظر ملحق رقم (4) .

(5) ولد في أشيقر وأخذ عن علمائها ، وفي سفره إلى الحج أخذ عن علماء مكة ، وتولى القضاء في أشيقر ، وكانت وفاته- رحمه الله- عام 1123 هـ (البسام ، علماء ، ص 46-48) .

(6) الورقة الأخيرة من المخطوطة ، لدى أحد العلماء في عنيزة ، انظر الملحق رقم (5) .

العيينة

وتقع في شمال غرب الرياض [1] وتعتبر المركز الثاني من المراكز العلمية في نجد قبل الدعوة الإصلاحية بعد مركز أشيقر، وكانت هذه البلدة منذ نشأتها في منتصف القرن التاسع الهجري موطنا للعلماء، ومنهم الشيخ أحمد بن عطوه الذي ولد في هذه البلدة في النصف الثاني من القرن التاسع، وبعد دراسته على العلماء النجديين رغب في التزود من العلم فرحل إلى الشام وأخذ عن علمائها الحنابلة ثم عاد إلى نجد وأصبح مرجع علمائها في التعليم والفتوى إلى وفاته - رحمه الله - في الجبيلة عام 948 هـ [2].

ومن مؤلفاته رحمه الله رسالة تدعى " طرف الطرف في مسألة الصوت والحرف "، وتضمنت الدفاع عن أصحاب الإمام أحمد وأهل الحديث والرد على تسميتهم بالحشوية.

وأشار في مقدمة هذه الرسالة إلى سبب كتابتها فقال: (وكان السبب الموجب لهذا الكلام وقوع أمر غريب يحار منه اللبيب ويتعجب منه الأريب، وهو الطعن على أصحاب الإمام أحمد وأهل الحديث وتسميتهم " حشوية " وما يصدر هذا القول إلا عن حقد خبيث، وأنهم بإثبات الحرف والصوت في كلام الله تعالى من الكفار المستوجبين لذلك دخول النار، وهذا قول شنيع جعل الله لقائله جزاه ونسأل الله العافية مما ابتلاه فإنهم لم يزالوا بالسنة ظاهرين وبعروتها الوثقى متمسكين [3].

ومن كتاباته - رحمه الله - منسك بعنوان " بغية الوافد وغنية القاصد " وجاء في مقدمته قوله: " الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد فهذا كتاب وضعته

(1) انظر عنها عبد الله بن محمد بن خميس ، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية ، معجم اليمامة ، 1398 هـ ج 2 ص 198- 205 .

(2) البسام ، علماء ، ج 1 ص 544- 552 .

(3) مخطوطة ناقصة والموجود منها إحدى عشرة ورقة ، لدى الباحث .

في مناسك الحج واف بمقاصده وأحكامه حاو لقواده وضوابطه وأقسامه، وسميته " بغية الوافد وغنية القاصد " ورتبته على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة [1].

ومن علمائها الشيخ سليمان بن علي بن مشرف جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد انتهت إليه الرئاسة في العلم، وتخرج على يديه عدد من طلبة العلم [2] وله عدد كبير من الفتاوى منها رسالة تحدث فيها عن موضوع الضمان في الشريعة الإسلامية [3].

(1) مخطوط لدى الشيخ عبد الله البسام بمكة المكرمة .

(2) البسام ، ج 2 ص 366- 372 .

(3) مخطوطة من ورقتين ، لدى الباحث ، انظر الملحق رقم (6) .

الرياض

ومن علماء هذا المركز في القرن العاشر الهجري الشيخ إسماعيل بن رميح [1] ومن كتاباته: كتاب " تحفة القلب في المسائل الغرائب ".. ومما جاء في مقدمته قوله: " أما بعد فهذه مسائل غرائب مما تدعو إليها الحاجة نقلتها من كتاب الإقناع وغيره، أمنح بها مستفيدا وأنفع كل مستزيد أرجو بذلك من الله الثواب والمسامحة يوم الحساب [2] وله كتاب " الدر المنظور في غرائب العلوم " [3] .

وكانت شهرة الرياض كمركز علمي في القرن الحادي عشر بعد أن انتقل إليها الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان الموصوف بعلامة الديار النجدية من العيينة، وتولى فيها القضاء والتعليم، وتخرج على يديه العديد من علماء نجد [4] ومن أعماله العلمية فتاويه واجتهاداته التي حفظها تلميذه الشيخ أحمد المنقور في كتابه المعروف بالفواكه العديدة في المسائل المفيدة، حيث جاء في مقدمته قوله:

" وبعد فهذه مسائل مفيدة وقواعد عديدة وأقوال جمة وأحكام مهمة لخصتها من كلام العلماء ومن كتب السادات القدماء وأجوبة الجهابذة الفقهاء وغالبها بعد الإشارة من شيخنا وقدوتنا الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان ".

ومن كتاباته رحمه الله للوثائق الخاصة بمعاملات الناس: كتابة وثيقة تتعلق مبايعة بين محمد بن علي بن فرهود وأحمد بن عبد الله البكري جاء في آخرها قوله: " وكتبه وأثبته الفقير إلى الله سبحانه عبد الله بن محمد بن ذهلان [5] الحنبلي عفي عنه وصلى الله على

---

(1) هو الشيخ إسماعيل بن رميح بن جبر التميمي أخذ العلم عن علماء نجد وأشهرهم الشيخ محمد بن مانع بن شبرمه ، وتولي القضاء في بلده ، وكانت وفاته- رحمه الله- في حدود عام 970 هـ (البسام ، علماء ، ج 1 ص 567-569) .

(2) مخطوط ، لدى أحد العلماء بعنيزة ، انظر الملحق رقم (7) .

(3) الموجود نقل عنه في مخطوطة من ورقة واحدة ، لدى الباحث ، انظر الملحق رقم (8) .

(4) البسام ، علماء ، ج 4 ص 412- 413 .

(5) أحمد المنقور ، الفواكه العديدة في المسائل المفيدة ، دار الأفاق بيروت ، ط 2 ، 1399 هـ ، ج 1 ص 3 .

سيد.. " وآخرها غير واضح [1] .

(1) وثيقة مخطوطة من ورقتين ، لدى الباحث ، انظر الملحق رقم (9) .

عنيزة [1]

ويعتر الشيخ عبد الله بن عضيب مؤسس الحركة التعليمية في هذه البلدة وكانت ولادته في سدير في حدود عام 1070 هـــ وأخذ العلم عن علماء بلده ثم ارتحل إلى أشيقر ودرس على علمائها، ثم انتقل إلى المذنب ومنها إلى عنيزة حيث تولى القضاء والتعليم فيها، وتخرج على يديه عدد من العلماء الذين صار لهم أثر كبير على مسيرة التعليم في عنيزة ومن أبرزهم الشيخ حميدان بن تركي [2] الذي حصل من شيخه علي إجازة جاء في مقدمتها قوله:

" بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد فإن علم الفقه طود شامخ صعب مرتقاه وبعيد منتهاه " وبعد إكمال المقدمة قال: " وكان ممن اشتغل في نيله وطلبه حسب الإمكان حميدان بن تركي بن حميدان، وقد قرأ علي المنتهى.. إلى آخره قراءة بحث وإتقان على مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى، فلما رأيت فهمه الثاقب أجزت [3] يفتي بالصحيح بعد مراجعة المنقول من [4] وربما روى عني من روايتي عن شيخي أحمد بن محمد القصير [5] عن شيخه محمد بن أحمد بن إسماعيل من روايته عن شيخه أحمد بن محمد بن مشرف من روايته عن شيخه أحمد بن يحيى بن عطوة

---

(1) نشأت هذه البلدة في القرن السابع الهجري وأول من سكنها هو زهري بن جراح السبيعي ، ويقول عنها الشيخ محمد العبودي بأنها مدينة الأدب والتاريخ في القصيم وأنها الأم التي أنجبت العديد من الشعراء والمؤرخين (محمد بن مانع نبذة في تاريخ عنيزة وقضاتها وأمرائها ملحق ضمن كتاب إبراهيم بن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من عام 700 هـــ إلى 1340 هـــ- دار اليمامة ، الرياض 1386 هـــ ص232 ، محمد العبودي ، معجم بلاد القصيم ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، 2 ط1410 هـــ ج 4 ص 1639 .

(2) البسام ، علماء ، ج ، ص 41- 52 .

(3) كلمتان غير واضحتين .

(4) عدة كلمات غير واضحة .

(5) هو الشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصير الوهبي التميمي ، ولد في بلدة أشيقر وقرأ على علمائها فمهر في الفقه وشارك في علوم أخرى ، وتتلمذ عليه عدد من الطلاب من أشيقر وخارجها ، ومن تلاميذه ابنه الشيخ محمد ، والشيخ ابن عضيب ، والشيخ حسن أبا حسين وغيرهم (البسام ، علماء ، ج 1 ص 511- 516 .

من روايته عن شيخه العسكري رحمهم الله " .

وجاء في آخر الإجازة: " قال ذلك عجلا عبد الله بن أحمد بن محمد بن عضيب وذلك بحضرة جماعة منهم محمد بن إبراهيم بن عبد الله أبا الخيل وصالح بن محمد بن عبد الله الصائغ وغيرهم جرى ذلك في شوال سنة 1140هـ [1] .

ومن الطلبة الآخرين الذين درسوا على الشيخ ابن عضيب الشيخ صالح الصائغ والشيخ منصور بن تركي، والشيخ محمد أبا الخيل، والشيخ سليمان بن زامل، والشيخ محمد بن زامل، والشيخ عبد الله بن إسماعيل وغيرهم [2] ومن طلابهم الشيخ محمد بن عبد العزيز الربدي [3] ومن أعماله العلمية نسخة لرسالة الشيخ ابن عطوه في موضوع الصوت والحرف [4] .

ومن الأعمال العلمية للشيخ ابن عضيب نقله لفتاوى بعض العلماء، ومن ذلك نقله إجابات للشيخ سليمان بن علي [5] على مسائل وردت عليه من تلميذه أحمد القصير وجاء في آخرها: " قال ذلك سليمان بن علي مجيبا لمريده أحمد بن محمد القصير غفر الله لهما ونقل ذلك من خطهما بعد معرفته عبد الله بن أحمد بن عضيب " [6] .

وللشيخ ابن عضيب نظم في الظاءات الواردة في القرآن، ومما جاء في آخره قوله:

فهـــذه أربع يا صاح قـــد حصرت ما في القرآن من الظاءات فامتحن
لكن سبعة ظاءات قد أشـــتبهت بالضاد بالذكر فاسمـــع قـــول مؤتمن [7]

---

(1) وثيقة مخطوطة من ورقة واحدة لدى الباحي .
(2) البسام ، علماء ، ج 4 ص 46- 47 .
(3) المرجع نفسه ، ج 6 ص 114- 116 .
(4) عدة ورقات مخطوطة ، لدى الباحث ، انظر الملحق رقم (10) .
(5) هو الشيخ سليمان بن علي بن مشرف الوهبي التميمي ، ولد في أشيقر وأخذ عن علمائها ، ثم انتقل إلى روضة سدير ومنها إلى العيينة حيث استوطنها وتولى قضاءها والتعليم فيها ، وتخرج على يديه عدد كبير من علماء نجد ، وتوفي- رحمه الله- عام 1079 هـ (البسام ، علماء ، ج 2 ص 336- 372) .
(6) أربع ورقات مخطوطة ، لدى الباحث .
(7) ورقة مخطوطة واحدة ، لدى الباحث .

المجمعة [1]

ومن أبرز علمائها الشيخ أحمد بن شبانة الوهبي الذي أخذ مبادئ الكتابة والقراءة في بلده، ثم رحل إلى أشيقر وأخذ عن علمائها ومنهم الشيخ أحمد القصير، وبعد عودته إلى بلده قام بالتعليم والإرشاد إلى وفاته - رحمه الله - في نهاية النصف الأول من القرن الثاني عشر تقريبا [2].

ومن كتاباته العلمية إجابته عن رسالة من ابن أخيه الشيخ عثمان بن شبانة [3] التي جاء فيها: " ما يقول عمنا وشيخنا - غفر الله تعالى لنا وله..... [4] الله تعالى وآتاه من الفضل دنيا وأخرى - في حكم مسائل ثلاث: الأولى رجل باع ثمرة نخل له على آخر وأبرءه [5] المشتري من ضمانها، ثم تعيبت تلك الثمرة فجاءه المشتري يطلبه ما دفع إليه من ثمن ويقول أنا فاسخ بتلك العيب فقال البائع أبرأتني مما [6] عليها. الثانية: إذا كان البائع لتلك الثمرة عاملا لتلك النخل، هل حكمه حكم تلك المتقدم أملا [7] الثالثة: إذا باع إنسان على آخر مبيعا مما يحتاج إلى توفية من كيل أو وزن ونحو ذلك فطالب البائع

(1) هي قاعدة منطقة سدير وسميت بهذا الاسم لتجمع الأودية والشعاب عندها أو لتجمع أسر كثيرة من عدة قبائل عند البدء بعمارتها (محمد محمود محمدين ، أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية ، دراسة في الدلالة وأنماط الاشتقاق ، الرياض ، 1413 هـ ص 90) .

(2) البسام ، علماء ج 1 ص 77- 79 .

(3) ولد الشيخ عثمان بن عبد الله بن شبانة الوهبي في المجمعة وأخذ عن علمائها ومنهم عمه الشيخ أحمد ، وكانت وفاته في النصف الثاني من القرن الثاني عشر- رحمه الله- (البسام ، علماء ، ج 5 ص 113- 114) .

(4) كلمة غير واضحة .

(5) هكذا . . والصواب وأبرأه .

(6) كلمة غير واضحة ولعلها يحدث أو يحصل .

(7) هكذا والصواب : أم لا .

المشتري بقبض بتلك [1] المبيع فقال المشتري له: خله عندك وأنت بري من ضمانه فهلك تلك المبيع أو تعيب فقال المشتري ما قبضت ذلك المبيع فدفع [2] إلي الثمن. وقال البائع أبرأتني من ضمانه فلا حق لك علي. فما الحكم في ذلك؟ وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم".

وجاء في جواب الشيخ أحمد قوله: " الحمد لله الجواب والله سبحانه الهادي للصواب [3] الجايحة أمر النبي r بوضع.... [4] وقوله عليه السلام { إن [5] بعت من أخيك ثمرا فاصا.... [6] فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئا بم تأخذ مال أخيك... [7] } مسلم، فإذا علمت ذلك فالجائحة وضعها الشرع في ملك المشتري ومعنا براءة المشترى أنه إن أصاب الثمرة جائحة فأنت بريء فهذه براءة على شرط مستقل وهي باطلة.

وسواء كان بايع الثمرة العامل أو مالك الأصل ما لم تبع مع أصلها أو تبع على مالك الأصل أو يؤخرها عن وقت أخذها المعتاد فإن أخر أخذها عن وقت أخذها المعتاد فالتألف من ضمان المشتري. الثالثة المبيع بكيل أو وزن... وجاء في آخر الإجابة قول الشيخ ابن شبانة: " قال ذلك كاتبه أحمد بن شبانة عفا الله عنهما وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم " [8] .

وأجاب رحمه الله عن ثلاث مسائل تتعلق الأولى بخلاف بين شركاء في بير وتتعلق

---

(1) هكذا والصواب : ذلك .

(2) هكذا والصواب فادفع .

(3) كلمة غير واضحة .

(4) كلمة غير واضحة .

(5) كلمة غير واضحة ولعلها لو كما في الحديث .

(6) كلمتان غير واضحتين ، ولعلهما (فأصابته جائحة) كما في الحديث .

(7) كلمتان غير واضحتين ، ولعلهما (حق رواه) كما في الحديث ، ونص الحديث (لو بعت من أخيك ثمرا فأصابته جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئا بم تأخذ مال أخيك بغير حق رواه مسلم) محمد الصنعاني ، سبل السلام شرح بلوغ المرام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ج 3 ط 2 ص 93 .

(8) وثيقة مخطوطة من ورقتين ، لدي الباحث انظر الملحق رقم (11) .

الثانية والثالثة بحكم الأضاحي [1] .

ومن علماء المجمعة أيضا في هذه الفترة الشيخ عبد الله بن أحمد بن سحيم الذي تولى القضاء والتعليم في بلده [2] وقد كتب رسالة إلى الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي [3] يستنكر فيها ما يفعله بعض المشعوذين، وجاء في أول رسالته قوله:

" من عبد الله بن أحمد بن سحيم إلى جناب الأخ في الله الشيخ المكرم عبد الوهاب بن الشيخ سليمان بن علي، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فالمرجو من إحسانكم تكتبون لنا جوابا عن أحوال هؤلاء الفقراء المنكرة من أخذهم النار وضربهم أنفسهم بالحديد ونطوطهم من السطوح ولعبهم بذكر الله " .

وأطال الشيخ عبد الوهاب في الحديث عن هؤلاء وأعمالهم وحكم الشرع فيهم وقال في آخر رسالته: " فالله الله في إنكار ذلك يا إخواني والتحذير عنهم وإنكار هذه المنكرات باليد واللسان ولولا ضيق الورقة لذكرنا كثيرا من كلام العلماء وإنكارهم لذلك والله سبحانه وتعالى أعلم " [4] .

(1) مخطوط من ورقة واحدة ، لدى الباحث ، البسام ، علماء ، ج 4 ص 38- 40 .

(2) البسام ، علماء ، ج 4 ص 38- 40 .

(3) هو الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ سليمان بن علي بن مشرف ، ولد في العيينة وأخذ عن والده وغيره من علماء نجد وتولى القضاء في العيينة ثم تركها إلى حريملاء حيث توفي هناك في عام 1153 هـ- رحمه الله- البسام ، علماء ، ج 5 ص40-43 .

(4) مخطوط من ثلاث ورقات ، صورة مهداة من الأستاذ الفاضل/ عبد الله بن إبراهيم التركي في الهلالية ، انظر الملحق رقم 12 .

حوطة سدير

وتقع شمال الرياض بأكثر من مائة كيلو مترا [1] ومن أبرز علمائها الشيخ أحمد بن محمد المنقور، وكانت ولادته في عام 1067 هـ، واجتهد في طلب العلم ورحل إلى الرياض عدة مرات للأخذ عن عالمها المشهور الشيخ عبد الله بن ذهلان، وكان أكثر زملائه تسجيلا لفتاوى واجتهادات شيخه حيث جمعها في كتابه المسمى بالفواكه العديدة في المسائل المفيدة، وزاد عليها كثيرا من أقوال العلماء النجديين وغيرهم مما يدل على سعة اطلاعه رحمه الله.

ومن كتاباته أيضا كتاب في السفر وآدابه وفي الحج والعمرة وأحكامها، وله كتاب في التاريخ يعرف باسمه وتبدأ أخباره منذ منتصف القرن العاشر إلى وفاته - رحمه الله - عام 1125 هـ [2].

روضة سدير

وتقع في شمال حوطة سدير [3] ومن علمائها الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله أبا بطين المتوفى عام 1121 هـ [4] ومن أعماله العلمية كتابه المسمى بالمجموع فيما هو كثير الوقوع، وذكر في مقدمته أنه اختصره من كتاب الإقناع للشيخ موسى الحجاوي مع إضافات من شرح الإقناع والمنتهى، وقد تصدى الشيخ عبد الرحمن للتدريس وتخرج على يديه بعض الطلاب ومنهم الشيخ عجلان بن منيع حيث جاء في هامش الورقة 61 من الكتاب قول الشيخ إبراهيم بن عيسى: " وجملة الهوامش والتصحيحات بخط المصنف المذكور ومنها شيء بخط تلميذه عجلان بن منيع " [5].

---

(1) محمدين ، المرجع السابق ، ص 159 .

(2) البسام ، علماء ، ج 1 ص 517- 522 .

(3) محمدين ، المرجع السابق ، ص 159 .

(4) البسام ، علماء ، ج 3 ص 94 .

(5) نسختان مخطوطتان إحداهما ناقصة في أولها وأخرها لدى أحد طلبة العلم في شقراء والنسخة الثانية في مكتبة الرياض السعودية ، انظر الملحق رقم (13) .

ثادق

وتقع شمال غرب الرياض بحدود مائة وأربعين كيلو مترا [1] ومن علمائها الشيخ منيع بن محمد العوسجي الذي أخذ العلم عن عدد من العلماء النجديين ومنهم الشيخ عبد الله بن ذهلان في الرياض، والشيخ سليمان بن علي في العيينة، ثم رحل إلى الأحساء ودرس على بعض علمائها وأشهرهم الشيخ عبد الرحمن بن عفالق، وبعد عودته إلى نجد تصدى للتدريس والإفتاء [2] .

ومن أعماله العلمية رسالة في العقيدة بعنوان: " النقل المختار من كلام الأخيار" جاء فيها بعد المقدمة: " إن الباعث لإنشاء هذه الرسالة أني حضرت مجلسا لبعض الشافعية يقال له محمد بن صالح بن دوغان [3] يقرر في الفقه وقرر أن مذهب الشافعي أنه يلزم الرضى ويجب بكل مقضي مبغض أو محبوب "، ثم تحدث الشيخ منيع في رسالته عن رأي الحنابلة الذي يرى صوابه وهو أنه لا يلزم الرضا بكل مقضي فلا يلزم الرضا بالمرض والفقر والعاهة [4] إلا أنه ينبغي الصبر عليه.

ومن علماء هذه البلدة أيضا - في تلك الفترة - الشيخ محمد بن ربيعة العوسجي [5] أحد تلاميذ الشيخ منيع وقد كتب الشيخ محمد رسالة إلى شيخه الشيخ منيع ابتدأها بوصف شيخه بالقدوة والبركة، والاعتراف بفضله، ثم لفت انتباه شيخه إلى استيائه من تكرار تخطئته له علنا، ثم دخل بعد ذلك في تفاصيل المسألة المختلف فيها والمتعلقة بالحجر

---

(1) محمدين ، المرجع السابق ، ص 115 ، وانظر عنها البليهد ، المرجع السابق ج 1 ص 122 .

(2) البسام ، علماء ، ج 6 ص 446- 448 .

(3) آل دوغان ينتسبون إلى المهاشير من بني خالد (محمد الأحسائي ، تاريخ الأحساء المسمى تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، مطابع الرياض ، 1379 هـ ج 1 ص 32 .

(4) مخطوط من ورقة واحدة ، لدى فضيلة الشيخ عبد الله البسام بمكة المكرمة ، انظر الملحق رقم (14) .

(5) ولد الشيخ محمد بن ربيعة في ثادق ، ودرس على علماء نجد ومنهم الشيخ أحمد القصير ، والشيخ عبد الله بن ذهلان والشيخ منيع العوسجي وكانت وفاته - رحمه الله- عام 1158 هـ (البسام ، علماء ج 5 ص 531-534) .

على المريض مرضا مخوفا [1].

وقد كتب الشيخ منيع رسالة إلى الشيخ إبراهيم بن سليمان بن علي [2] بن مشرف يناقشه فيها عن وقف معين، وعن وثيقة يقول إن الشيخ ابن ربيعة يقول إنه أرسلها إلى الشيخ المنقور.

وقد بدأ الشيخ منيع رسالته في الثناء - نظما - على رسالة سابقة من الشيخ إبراهيم إليه فقال:

ورد الكتـــاب مهـــذبا مستودعـــا كل الفصاحة والبلاغة أجمعا
فقـــر إذا [3] ألفيـــت فـــي ألفاظهـــا در الكـــلام مرصعا
فقـــر تقاصـــر دون أدنى حسنهـــا قس وســـحبان أبـــى وتتعتعـــا

وجاء في آخر نظمه قوله:

فـــالعلم أوســـع أن يحـــيط بكله إلا الذي أوحى الكتاب وأسمعا
واســـلم وناظمهـــا عليـــك مســـلم وعلـــى الجماعة أقرهم هذا معا
ومســـلم بعـــد الصلاة على الذي يدعى لفصل قضى الحساب ليشفعا

ثم بدأ بالسلام ومدح الشيخ المرسل إليه ووالده نثرا بكلمات رقيقه جاء فيها: - " ثم إن من أحسن ما وشيت به الرقاع وألذ ما وعته منافذ الأسماع وأشرح ما ركنت إليه

(1) وثيقة مخطوطة من عدد ورقات ، لدى الباحث انظر الملحق رقم (15) .

(2) هو الشيخ إبراهيم بن الشيخ سليمان بن علي بن مشرف ، ولد في العيينة عام 1070هـ وأخذ عن علمائها ، وتولى القضاء في أشيقر ، وكانت وفاته- رحمه الله- عام 1141 هـ (البسام ، علماء ، ج 1 ص 303-306) .

(3) كلمة غير واضحة .

الطباع سلام بعطر البقاع ويملأ الوهاد والبقاع دايم الاتصال بعد الانقطاع إلى حضرة [1] الاجتماع والمتفق علي فضيلته بالتواتر والإجماع، من ظهرت شمسه فغابت كواكب الزيف، وصعد منبر الولاية فصدع بالحق " وبعد نحو ستة أسطر من هذا الكلام الرقيق المسجوع قال:

" وبعد فقد وصل مشرفك الذي أنارت [2] المجلس وانبثقت.... [3] فحييته قبل فض الختام وأنزلته من ساعته محل اللثام "، ثم قال بعد عدة أسطر: " ثم اعلم يا أخي أني عجمت أعواد أهل الزمان فألفيتها مرة " ..

ثم أطال في الحديث عن الدنيا وتغير أصحابها وحال الإنسان فيها، ثم دخل في مشكلة وقف يستفيد منه بعض أقاربه وهو عبارة عن نخلتين لامرأة تدعى " سعادة "، ويبدو أن الناظر على الوقفة يدعي العمل بحكم حكم به الشيخ ابن ربيعة و لم يصدقه الشيخ منيع في ذلك، وجاء في الربع الأخير من الرسالة قول الشيخ منيع:

" فعاتبته على فعله واستشهدت به عليه من جهة نخلتي سعادة، فقال لي: شكا لي ابن ناصر أن عليه خلاف من الداخل منهما فسبحان الله.... [4] لم آخذ الفؤاد بالمشقة على ابن ناصر ثم هو لا واقف ولا موقف عليه يقطع حظ المساكين فيها لحظ التوسعة على ابن ناصر، وقد سمعته حال ولاية ابن بسام يقول: ما يفهم ابن بسام مسألة واحدة، وسمعت منه يمينا ما يتولى القضاء أفضل من ابنه..

وإذا كانت الجماعة التي ذكرتم موافقين لكم فهو الشاهد لكم بالإنصاف والصواب عند الاختلاف فإن الحق مع الجماعة ولا حكم للشذاذ ولن تجتمع الأمة على الضلال وبالله المعاذ إذا اجتمع الناس في.... [5] وخالفهم في الرضا واحد فقد دل إجماعهم دونه

(1) كلمة غير واضحة .

(2) كلمة غير واضحة .

(3) كلمة غير واضحة .

(4) كلمتان غير واضحتين .

(5) كلمة غير واضحة .

على عقله أنه فاسد، أنا أحبه ولا أحب أنه فعل فعلة يزري عليه بها، وأنا عرفت من سليمان بن موسى ما ترك النقلة إلا من باب المداراة وأظن الأمر يؤول إليه إن كانت نفس همتك مجت الرجوع عليه ولا ينبغي لك أن تمكنت من إلية الكبش أن ترضى عنها بالمصران والكرش، والوثيقة يقول ابن ربيعه إنه أرسلها إلى المنقور ولا تقطعوا عنا المراسلة وعمو بالسلام الجزيل من يعز عليكم خصوصا الشيخ محمد بن علي [1] ودمتم سالمين ومحروسين والسلام. محبكم الفقير منيع بن محمد بن منيع [2] ".

(1) والشيخ محمد بن علي هو الشيخ محمد بن علي بن عيد ، المتوفى في عام 1126 هـ كما ورد في هامش الورقة الرابعة من الرسالة .

(2) وثيقة مخطوطة من أربع ورقات لدى أحد طلبة العلم في العيينة .

حرمة

وهي بلدة مجاورة للمجمعة [1] ومن علمائها الشيخ عبد الله بن عيسى المويسي الذي أخذ عن العلماء النجديين ثم رحل إلى الشام ودرس على علمائها ومنهم الشيخ محمد [2] السفاريني [3] الذي أوصى تلميذه المويسي بقوله: " أوصيك بوصية الله لعباده وهي التقوى من تمسك بها فقد تمسك من الشريعة بالجانب الأقوى طالع كثيرا واقرأ قليلا تكن عالما جليلا، من قرأ كل يوم مسألة صار عالما في سنة ومن قرأ مسألتين صار عالما في سنتين [4] " يشير إلى كثرة التكرار.

ومن فتاويه - رحمه الله وعفا عنا وعنه - إجابته عن مسألتين تتعلق إحداهما بتأخير إقامة الصلاة والأخرى تتعلق بالنكاح، وجاء في جوابه عن المسألة الأولى قوله:

" بسم الله الرحمن الرحيم، الجواب ومن الله أستمد الصواب نعم تأخير الصلاة حينئذ أفضل لأن الصلاة في أول الوقت فضيلة ومن تأهب أوله أدركها فهو والمصلي في الفضل سواء ويزداد المؤخر... [5] أنه لم يزل في صلاة حيث انتظر الصلاة، ومنها أن كثرة الجمع أفضل، ومنها إسقاط الواجب عن... [6] ومنها لبثه في المسجد وكان هذا خلقه عليه الصلاة والسلام، إن كثر الناس بادر أول الوقت وإن تأخروا انتظر" .

وبقية كلامه عن هذه المسألة وجوابه عن المسألة الثانية غير واضح وجاء في آخر

---

(1) (7) انظر البليهد ، المرجع السابق ، ج 3 ص 42 .

(2) البسام ، علماء ، ج 4 ص 364- 369 .

(3) هو الشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ، ولد عام 1114 هـ ودرس في الجامع الأموي على يد عدد من المشايخ على رأسهم الشيخ عبد القادر التغلبي ، وحصل منها على عدد من الأجازات ، وله عدد من المؤلفات من أشهرها العقيدة المعروفة بالعقيدة السفارينية ، وكانت وفاته- رحمه الله- في نابلس عام 1189 هـ (محمد بن عبد الله حميد السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ، تحقيق الشيخ بكر أبو زيد والدكتور عبد الرحمن العثيمين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1416 هـ ج 2 ص 239 .

(4) مخطوطة من ورقة واحدة ، لدى الباحث .

(5) عدة كلمات غير واضحة .

(6) كلمة غير واضحة .

كلامه قوله: " والله أعلم قال ذلك كاتبه الفقير عبد الله المويسي وهو يقرئ السلام جميع آل راشد والجماعة لا سيما... [1] بن أحمد وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه " [2].

ومن هنا يتبين أن المنطقة كان فيهما العديد من العلماء وطلبة العلم الذين قاموا بمهام التعليم والقضاء والتوجيه والإفتاء والوعظ، إلا أنها كانت بحاجة ماسة إلى رفع مستوى هذه المهام وتيسيرها لأغلب أبناء المجتمع، وتنقية الشعائر الدينية مما اختلط بها من البدع والخرافات في بعض الأماكن، كما أنها بحاجة أيضا إلى توحيد شتاتها وتحويل إمارتها الصغيرة وقبائلها المتصارعة إلى دولة واحدة تستطيع فرض الأمن وتوفير الاستقرار لرعاياها.

وقد حدث ذلك - والحمد لله - باتفاق الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله - وقيام الدولة السعودية الأولى.

(1) كلمة غير واضحة .

(2) وثيقة مخطوطة من ورقتين ، لدى الباحث ، انظر الملحق رقم (16) .

القسم الثاني

الدعوة في عهد الدولة السعودية الأولى

مراحلها

يشتمل على الحديث عن الدعوة في عهد الدولة السعودية الأولى:

مرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى في حريملاء [1] وقد اقتصرت على الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والمرحلة الثانية كانت بانتقاله - رحمه الله - إلى العيينة حيث تمكن من تنفيذ بعض الأحكام الشرعية، إلا أن المرحلة الثالثة [2] كانت هي أساس قيام الدولة السعودية الأولى وهي انتقال الشيخ إلى الدرعية [3] وعقده الاتفاقية المشهورة باتفاقية الدرعية عام 1157هـ مع أميرها الإمام محمد بن سعود - رحمه الله - الذي رحب بالشيخ محمد وأبدى كامل استعداده لمؤازرته ونصرة مبادئ دعوته.

وقد اهتمت الدعوة الإصلاحية بتنقية شعائر العقيدة الإسلامية مما خالطها من البدع والمظاهر المخالفة للشرع، كما اعترضت الدعوة على الجمود الفكري المسيطر على عقول بعض علماء الأمة الإسلامية والذي يمنع الاجتهاد ويلزم المتعلمين بتقليد من سبقهم دون محاولة النظر في النصوص من الكتاب والسنة واستخراج الأحكام الشرعية منها [4] فكان لهذه الدعوة المباركة أثرها الكبير في أساليب التوجيه والإرشاد والتعليم النصوص الدالة

---

(1) تقع في شمال غرب الرياض بنحو 90 كيلو متر (محمدين ، المرجع السابق ص 115) .

(2) عن مراحل الدعوة انظر محمد بن عبد الله السلمان ، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تاريخها ، مبادئها ، آثرها . المطبعة السلفية ، القاهرة 1401 هـ ص30-31 .

(3) تقع في شمال غرب الرياض ، انظر عنها عبد الله بن محمد بن خميس ، الدرعية العاصمة الأولى 1402 هـ ، وانظر محمد الفهد العيسي ، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 1415 هـ .

(4) عن أفكار الدعوة ومبادئها انظر عبد الله بن يوسف الشبل ، الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، حياته ودعوته ، مطابع جامعة الإمام بالرياض 1399 هـ ص 26-42 ، عبد الله الصالح العثيمين ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حياته وفكره ، دار العلوم ، الرياض ، بد ، ن تاريخ ص 107-139 .

على فضيلته، وينصح المعلمين بالتدرج في تعليم طلابهم ومراعاة الفروق الفردية بينهم، ويستخدم أسلوب ضرب الأمثلة لمساعدة الطلاب في فهم ما يلقى عليهم، وأسلوب كتابة الرسائل الخاصة لبعض العلماء وطلبة العلم، وفتح باب المناقشة والمناظرة، وينصح الطلاب بعدم التسرع في إصدار الأحكام الشرعية والفتيا، أو المجادلة بغير علم [1].

كما كان للدعوة أثرها الواضح في المسار الفكري للتعليم حيث أصبح القائمون على التعليم من أصحاب الأفكار السليمة البعيدة عن التأثر بأفكار الفرق المبتدعة أو الأفكار التي ألفها بعض العوام والقليل من المنتسبين إلى العلم، كما أن غالبية الكتب التي تدرس في مجال العقيدة هي كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة أو العلماء الموثوق بعقيدتهم كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

وبفضل الله ثم بفضل هذه الجهود انتقلت الدراسة من المرحلة النظرية إلى مرحلة التطبيق لما يدرس، فقد كان العلماء الملتزمون قبل الدعوة يدرسون طلابهم علم العقيدة ويبينون لهم ما حدث من مخالفات للدين إلا أنهم لم يكونوا قادرين على تغيير هذه المخالفات بالقوة، أما بعد ظهور الدعوة وقيام الدولة السعودية فقد أصبح العلم الذي يدرس في المساجد وغيرها تطبق أحكامه داخل المجتمع ويلزم الناس بها [2].

وكما كان للدعوة أثرها في مجال الدراسات المتصلة بالعقيدة فقد كان لها أثرها في الدراسات الفقهية حيث كان النجديون قبل الدعوة يبدون اهتماما كبيرا بعلم الفقه [3]

---

(1) البسام ، أحمد ، الحياة العلمية في نجد في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وآثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها ، رسالة دكتوراه غير منشورة مجازة من قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ص 189- 211 .

(2) المرجع نفسه ، ص 442-443 .

(3) يتبين اهتمام العلماء بالفقه وتشجيع طلابهم على دراسته من العبارات الواردة في إجازاتهم لتلاميذهم ومن ذلك ما جاء في إجازة الشيخ عبد الله بن عضيب لتلميذه الشيخ حميدان بن تركي حيث قال بعد المقدمة (أما بعد فان علم الفقه طود شامخ صعب مرتقاه وبعيد منتهاه ليس من تسنمه كمن لاذ بحضيضه ولا من جنى من ثمره كمن تولع بنقيضه) ، وثيقة مخطوطة من ورقة واحدة ، لدى الباحث ، وجاء في إجازة الشيخ صالح الصايغ لتلمذه الشيخ عبد الله الزامل قوله بعد المقدمة (وبعد فإن العلم من أجل المطالب وأنفع ما سعى في تحصيله

والاقتصار فيه على كتب المذهب دون اهتمام الكثير منهم بمعرفة الدليل من الكتاب والسنة، ومع أنه كان من الطبيعي أن يعتنق الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله- المذهب الحنبلي المنتشر بين علماء مجتمعه ومنهم والده وجده اللذان يعدان من علماء الحنابلة إلا إنه لم يكن من العلماء الحنابلة المتمسكين بحرفية مذهبهم بل أضاف - رحمه الله - إلى حنبليته ما اكتسبه من دراسة لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم المنتمين إلى المذهب الحنبلي دون التعصب له.

وقد أمدته هذه الدراسة بخصائص فكرية وفقهية ظهرت آثارها على مواقف كثيرة من القضايا المتصلة بالدراسات الفقهية [1] ومن هذه الآثار دعوته - رحمه الله - إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة والتنفير من التقليد المذموم الذي أخذ به كثير من علماء المسلمين الذين انصرفوا عن النظر في النصوص الشرعية [2] مكتفين بتقليد فقهاء مذهبهم، ومن هؤلاء أغلبية العلماء النجديين الذين كانوا يركزون في تعلمهم وتعليمهم على فقه المذهب الحنبلي ويحصرون بحثهم وتحقيقهم في كتب الحنابلة [3].

الطالب سيما علم الفقه الذي هو روضة المشتهى وغاية المنتهى والممدوح عند أولى النهى ، قال في حامليه سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) ، وثيقة مخطوطة من ورقة واحدة لدى الباحث .

(1) عبد الوهاب أبو سليمان ، خصائص التفكير الفقهي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، طباعة جامعة الإمام 1398 هـ ج 1 ص 394 .

(2) أبو سليمان ، المرجع السابق ، ص 66 .

(3) البسام ، علماء ، ج 1 ص 17 -18 .

تقسيم حكم التقليد والفتيا به إلى ثلاثة أقسام

وقد تكلم الشيخ حمد بن معمر [1] - رحمه الله - في موضوع التقليد والفتيا به وأورد آراء عدد من علماء المسلمين منهم أئمة المذاهب الأربعة، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ثم خلص بعد ذلك إلى تقسيم حكم التقليد والفتيا به إلى ثلاثة أقسام.

1 - محرم: وهو أن يكون التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد، ونقل اتفاق السلف على تحريمه وأورد قول الشافعي - رحمه الله - " أجمع المسلمون على أنه من استبانت له سنة رسول الله r لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس ".

2 - مذموم: وهو تقليد طالب العلم مع قدرته على الاستدلال والبحث عن الدليل في الكتاب والسنة لأن فاعله قد أفتى بغير علم مع قدرته على معرفة الدليل، وأورد قوله تعالى: { ... } [2] وقوله r { إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم } [3] وحث طالب العلم على بذل جهده في معرفة الحق.

3 - جائز: وهو تقليد أهل العلم عند العجز عن معرفة الدليل، وقسم الشيخ حمد أتباع هذا القسم إلى قسمين: أحدهما العوام الذين لا معرفة لهم بالفقه والحديث وأصولهما، والقسم الثاني يخص طالب العلم الذي حصل بعض العلوم ولكنه قاصر النظر عن معرفة الدليل والراجح من كلام العلماء فهذا يجوز له التقليد لقوله تعالى: { ... }

---

(1) هو الشيخ حمد بن ناصر بن الأمير عثمان بن معمر ، كانت ولادته في العيينة عام 1160 هـ ، وانتقل مع والده إلى الدرعية في حدود عام ، 1117هـ وأخذ العلم عن علماء الدرعية وعلى رأسهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وتولى القضاء في الدرعية ومكة المكرمة ، كما قام بمهام التعليم وتتلمذ عليه عدد من الطلاب ، وكانت وفاته- رحمه الله- بمكة المكرمة عام 1225 هـ (البسام ، علماء ، ج 2 ص 121- 128) .

(2) سورة التغابن آية : 16 .

(3) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (6858) ، مسلم الحج (1337) ، النسائي مناسك الحج (2619) ، ابن ماجه المقدمة (2) ، أحمد (508/2) .

{ $gèÐ'ãŭvÎ [1] [2] .

وقد قام أئمة الدولة السعودية الأولى - رحمهم الله - بدور كبير في مجال الدعوة ومن ذلك:

- كتاباتهم للرسائل التوجيهية كما فعل الإمام عبد العزيز بن محمد الذي بعث برسالة عامة إلى أهل بلدان العجم والروم بين فيها حقيقة مبادئ الدعوة الإصلاحية، ونفى ما افتراه المبطلون والمعارضون لها، ودعا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك كل ما ينافي الإخلاص في العبادة. وفعل الشيء نفسه - رحمه الله - في رسالة إلى أهل الخلاف السليماني والشيخ أحمد بن علي القاسمي وتابعه في ذلك خليفته وابنه الإمام سعود بن عبد العزيز - رحمهما الله - [3].

- بعثهم العلماء إلى كافة المناطق للقيام بمهمة الدعوة والتوجيه والإرشاد، ومن الأمثلة على ذلك بعث الشيخ عبد العزيز الحصين إلى مكة لمقابلة الشريف أحمد بن سعيد ومناظرة علماء مكة لمناقشة بعض الأمور المتصلة بالعقيدة، كما تم بعث الشيخ حمد بن معمر للمهمة نفسها في مكة المكرمة حيث قابل العلماء واستطاع إقناع الكثير منهم في صحة ما تدعو إليه الدعوة الإصلاحية [4].

- حضور الأئمة للحلقات والدروس العلمية التي يقوم بالتدريس فيها كبار علماء الدعوة من أبناء الشيخ محمد وغيرهم، ومشاركة بعض الأئمة - رحمهم الله - بالتدريس في هذه الحلقات [5].

---

(1) سورة البقرة آية : 286 .

(2) عبد الرحمن ابن قاسم ، الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، مطبعة أم القرى ، 1356 هـ ، ج 4 ص 14- 17 .

(3) المرجع نفسه ، ج 1 ص 143- 157 .

(4) البسام ، علماء ، ج 2 ص 124- 127 ، ج 3 ص 459- 461 .

(5) عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، ط 4 ، 1402 هـ ، ج 1 ، ص 348 -350 .

- حرص الأئمة - رحمهم الله - على توفير واستمرار المكافآت المادية للمعلمين، والمتعلمين، والأئمة [1] والمؤذنين [2] وكان لهذه الدعوة المباركة وقيام السلطة السياسية التي ثبتت الأمن والاستقرار أثرها الكبير في رفع مستوى التعليم [3] وتقدمه من عدة وجوه منها:

وجوه رفع مستوى التعليم وتقدمه

1- الزيادة في عدد طلاب العلم وتعدد مجالات التعليم :

بعد قدوم الشيخ محمد إلى الدرعية وعقده الاتفاق مع إمامها وعزمه على الاستقرار فيها بدأ طلابه في حريملاء والعيينة وغيرها يتوافدون عليه لتلقي العلم عنه، وشجعهم على ذلك المساعدات المادية التي كان الشيخ يقدمها لطلبته المحتاجين واضطر - رحمه الله - إلى الاستدانة حيث يذكر أنه كان في ذمته عند دخول الرياض عام 1187 هـ مبلغ أربعين ألف محمدية [4].

وقام الشيخ - رحمه الله - بدعوة العلماء وطلبة العلم القادرين إلى القدوم إلى الدرعية لتلقي العلم والبحث في بعض المسائل التي قد تكون محل خلاف ومناقشة في بعض مسائل العقيدة وغيرها من العلوم الشرعية. ومن ذلك قوله - رحمه الله - في رسالته إلى محمد بن سلطان: " وننتظر قدومك إلينا عسى الله أن يهدينا وإياك الصراط المستقيم [5] "، وكان الشيخ يؤكد أن كل قادم إلى الدرعية سيكون محل التقدير والاحترام حتى ولو كان هناك

---

(1) ابن قاسم ، ج 2 ص 35 .

(2) من أهم وأحدث البحوث عن إهتمام أئمة الدولة السعودية الأولى بالتعليم بحث بعنوان " الجانب العلمي لدى أئمة الدولة السعودية الأولى " للدكتور محمد بن عبد الله النويصر ، وهو من ضمن البحوث المقدمة بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة .

(3) عن التعليم في نجد في عهد الدولة السعودية الأولى عموما وعوامل ازدهار التعليم وتقدمه خصوصا وانظر كتاب الدكتورة مي العبد العزيز العيسي- الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى- إصدار دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، 1417 هـ .

(4) ابن بشر ، ج 8 ص 91 .

(5) ابن قاسم ، المرجع السابق ج 8 ص 91 .

خلاف معه في بعض المسائل حيث قال في رسالته إلى أحمد بن إبراهيم صاحب مرات: " والخاص والعام يفرحون بجيتك مثل ما فرحوا بجية ابن غنام والمنقور وابن عضيب مع أن ابن عضيب أكثر الناس سبا لهذا الدين إلى الآن وراحوا موقرين محشومين [1].

وكما كان للدعوة أثرها في زيادة أعداد العلماء والمتعلمين، كان لها أثرها أيضا في تعدد المواد والتخصصات التي يدرسها هؤلاء المتعلمون، فتجاوزوا مرحلة الاقتصار على علم الفقه إلى دراسة المواد الأخرى كالحديث والأصول والنحو، وقدوتهم في ذلك إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي اهتم بهذه العلوم [2].

ومن الأمثلة على اهتمام علماء الدعوة بالحديث ومصطلحه جواب الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد عن سؤالين وردا عليه، وكان السؤال الأول عن المسند والمرسل وأيهما أقوى، حيث أجاب الشيخ إجابة مفصلة تتضمن الأمثلة وأقوال أهل العلم فقال:

" المسند أقوى من المرسل وذلك أن المسند ما اتصل سنده إلى رسول الله r فإذا كان السند كلهم ثقات وليس فيهم شذوذ فأجمع العلماء على الاحتجاج به إذا لم يعارضه مثله أو أقوى منه، وأما المرسل فهو ما رواه التابعي عن النبي r كقول الحسن قال رسول الله r كذا، وقول محمد بن شهاب الزهري قال رسول الله r وقول عطاء قال رسول الله r فسقط رجل بينه وبين رسول الله r وكثير من أهل العلم لا يحتج بالمرسل إلا إذا أتصل وأسند من وجه صحيح، فإذا كان كذلك تبين لك أن المسند أقوى وأصح من المرسل بكثير".

وأما السؤال الثاني فكان عن الحكم فيما إذا جاء خبران عن النبي r يدل أحدهما على الأمر والآخر يدل على النهي وأيهما أرجح فقال الشيخ في جوابه:" الراجح ما صح سنده عن النبي r بنقل العدول الثقات الضابطين، فإن قدر اتحادهما في الصحة فإن أمكن

(1) حسين بن غنام ، روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات ذوى الإسلام ، مطبعة الحلبي بمصر ، نشر الشيخ عبد المحسن أبا بطين صاحب المكتبة الأهلية بالرياض هـ 1368 ، ج 1 ص 162 .

(2) المرجع نفسه ، ج 1 ص 27 .

معرفة الآخر منهما أخذ بالآخر لأنه هو الناسخ وإنما يؤخذ بالآخر فالآخر من فعل الرسول r أو قوله، فإن لم يمكن معرفة ذلك أخذ بالأحوط والذي عليه الأكثرون من العلماء والفقهاء " (1) .

ومن الأمثلة على اهتمام العلماء بأصول الفقه جواب الشيخ حمد بن معمر عن سؤال ورد عليه عن صفة الواجب والمسنون والمكروه والحرام فأجاب - رحمه الله - بقوله:

" الحمد لله رب العالمين، الواجب في الشرع ما ذم تاركه إذا تركه قصدا وأثيب فاعله، وهو يرادف الفرض عند الحنابلة والشافعية وأكثر الفقهاء وعند أحمد رواية أن الفرض آكد من الواجب وهو قول أبي حنيفة.

وأما المسنون فهو ما أثيب فاعله و لم يذم تاركه، والسنة في اللغة الطريقة والسيرة وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي r وندب إليه قولا وفعلا ما لم ينطق به الكتاب العزيز.

وأما المكروه فهو ضد المندوب وهو لغة ضد المحبوب، وشرعا ما مدح تاركه و لم يعاقب فاعله، ومنه ما نهى عنه الشارع لرجحان تركه على فعله كالصوم في السفر إذا وجدت المشقة في الصوم ونحو ذلك.

وأما المكروه فهو في عرف المتأخرين ما نهي عنه نهي تنزيه ويطلق على الحرام أيضا وهو كثير في كلام المتقدمين كقول الإمام أحمد أكره المتعة والصلاة في المقابر، وهما محرمان، وقد ورد المكروه بمعنى الحرام في قوله تعالى: { 7îí ‰ZÏã ¼çÑÏ™ b¾. 7ÏÊE @ä

{ ÇÌÈ $tdrèB (2) .

والحرام فهو ضد الحلال وهو ما حرمه الله تعالى في كتابه أو علي لسان رسوله r من ترك الواجبات وفعل المحرمات، وأصل التحريم في اللغة المنع ومنه قوله تعالى: { $YBqmr *

(1) ابن قاسم ، ج 4 ص 27 .
(2) سورة الإسراء آية : 38 .

{ [1] وحده شرعا ما ذم فاعله ولو قولا كالغيبة والنميمة ونحوهما مما يحرم التلفظ به أو عمل القلب كالنفاق والحقد ونحوهما [2] .

(1) سورة القصص آية : 12 .

(2) ابن قاسم ، المرجع السابق ج 4 ص 56-57 .

2- أعمال العلماء العلمية

ومن أهم هذه الأعمال الكتابة في بعض الموضوعات التي يرى علماء الدعوة حاجة الناس إليها وأهمها الموضوعات المتصلة بالعقيدة. ومن كتابات الشيخ محمد - رحمه الله - في هذا المجال كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وثلاثة الأصول، وأصول الإيمان، والقواعد الأربع، ومفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، وغيرها.

ومن كتاباته - رحمه الله - في موضوعات الفقه كتابه أحكام الصلاة والزكاة والصيام [1] وكان يدعم الأحكام الواردة فيه بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وكتب - رحمه الله - في مجال القرآن وتفسيره، كتاب فضائل الأعمال الذي تحدث فيه عن فضل تلاوته وتعلمه وتعليمه [2] وكتب الشيخ محمد - رحمه الله - في الحديث كتابا رقبه على أبواب الفقه، وجمع أحاديث تتعلق بالفقه والحوادث التي أخبر الرسول r بوقوعها [3].

وقد رأى الشيخ محمد - رحمه الله - اختصار بعض الكتب المهمة ومن ذلك اختصاره لكتاب الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للشيخ علي المرداوي، والشرح الكبير للشيخ عبد الرحمن بن قدامة [4] وكتاب زاد المعاد لابن القيم [5] وسيرة الرسول r لابن هشام [6].

---

(1) محمد بن عبد الوهاب ، أحكام الصلاة والزكاة والصيام ، تعليق محمد بن إسماعيل ، مكتبة الرشد بالرياض 1409 هـ .

(2) معمد بن عبد الوهاب ، فضائل القرآن ، تصحيح الشيخ عبد العزيز الرومي والشيخ صالح الحسن ، مؤلفات الشيخ ، طباعة جامعة الإمام بالرياض .

(3) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (قسم الحديث ، إعداد عبد العزيز الرومي ومحمد بلتاجي وسيد حجاج طباعة جامعة الإمام بالرياض .

(4) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قسم الفقه ، ج 1 ، طباعة جامعة الإمام بالرياض .

(5) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ومختصر زاد المعاد ، طباعة جامعة الإمام بالرياض .

(6) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، القسم الثالث ، التفسير ومختصر زاد المعاد ، طباعة جامعة الإمام بالرياض .

ومن كتابات علماء الدعوة الآخرين كتاب الشيخ عبد الله بن الشيخ بعنوان " الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة [1] وشرح أصول الدين للشيخ حسين بن غنام [2] كما كتب الشيخ محمد وعلماء الدعوة - رحمهم الله - العديد من الرسائل الشخصية الخاصة، والرسائل الصغيرة، والكتب في الرد على المعارضين للدعوة في داخل نجد وخارجها.

وقد امتدت حدود الدولة السعودية الأولى لتشمل العديد من المناطق خارج نجد ومنها منطقة الأحساء، وتعتبر الأحساء من المراكز العلمية المهمة في الجزيرة العربية بعد مكة والمدينة، ومن أبرز علمائها الشيخ محمد بن عبد الرحمن عفالق وكانت ولادته في الأحساء عام 1100 هـ ودرس على علمائها.

ثم قام برحلات علمية إلى الحرمين والعراق والشام وأخذ عن علماء تلك الأقطار، ومن أشهرهم الشيخ عبد القادر التغلبي في الشام والشيخ جمعة الهلالي النجدي في العراق، ومن مؤلفاته " سلم العروج إلى المنازل والبروج "، وشرح غاية المنتهى " وصل فيه إلى الصلح، ومجموعة في الحديث رتبها على أبواب الفقه، و" تهكم المقلدين في مدعي تجديد الدين " [3] رد به على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وله رسالة مطولة أرسلها إلى الأمير عثمان بن معمر [4] في العيينة يعترض فيها على دعوة الشيخ محمد، وجاء في مقدمتها قول ابن عفالق:

" الحمد لله رب العالمين وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وبعد فقد ورد مشرفك وفهمنا ما ذكرت أما قولك: إن الكلام أوله وآخره في كلمة التوحيد والاختلاف عندها. فكلمة التوحيد ليس فيها اختلاف عند جميع الأمة وجميع الملل

(1) عبد الله بن محمد آل الشيخ ، الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، تحقيق محمود مطرجي ، بيروت 1406 هـ .

(2) مخطوط من ست ورقات ، لدى أحد طلبة العلم في الرياض .

(3) البسام ، علماء ، ج 6 ص 34-43 .

(4) هو أمير العيينة ، وقد قتل عام 1163 هـ ، ابن بشر ، ج 1 ، ص 60-61 .

الإسلامية لا يختلفون فيها برهم وفاجرهم، ونخبرك بها على سبيل الاختصار [1].

ومن علماء الأحساء الشيخ عبد الله بن محمد بن فيروز وكانت ولادته عام 1105 هـ ودرس على عدد من العلماء والتقى به ابن خالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثناء رحلته العلمية التي زار خلالها الأحساء والعراق، وقد تصدر للتعليم وتخرج على يديه عدد من الطلاب منهم ابنه الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز [2] الذي أخذ العلم عن والده وغيره من علماء الأحساء ومنهم الشيخ محمد بن عفالق كما أخذ عن علماء المدينة المنورة ومنهم الشيخ محمد سعيد سفر المدني [3] .

ومما يؤخذ على الشيخ ابن فيروز - عفا الله عنا وعنه - أنه لم يوافق الشيخ محمد في دعوته وعارضه فيها، واشتد في معارضته لبعض المسائل المتصلة بالدعوة كالتكفير والقتال.

ومن علماء الأحساء الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف ويبدو أن معارضته للدعوة كانت أخف من معارضة الشيخين ابن عفالق وابن فيروز، ويمكن استيضاح مواقفه من الدعوة من رسالة الشيخ محمد إليه حيث يذكر أنه قابله في الأحساء أثناء رحلته في طلب العلم وتذاكر معه في التفسير والحديث، وأعجب بكلامه الدال على سلامة عقيدته وعلي ما من الله به عليه من حسن الفهم ومحبة الله والدار الآخرة.

ولهذه الصفات الحسنة فقد أبدى الشيخ محمد في رسالته استغرابه قيام الشيخ ابن عبد اللطيف بالكتابة مع من كتبوا من علماء الأحساء في الإنكار والتغليظ على الشيخ وأكد

---

(1) مخطوط من ست وثلاثين ورقة ، مكتبة شركة أرامكو بالظهران ، الورقتان رقم (1) (2) وانظر الملحق رقم (17) .

(2) البسام ، علماء ج 4 ص 487- 488 .

(3) حصل الشيخ ابن فيروز على إجازة من شيخه الشيخ محمد سفر جاء في أولها (الحمد لله الذي رفع قدر أهل لحديث وصحح اعتقاد أهل روايته ودرايته في القديم والحديث) وبعد إكمال المقدمة قال : وبعد ولما كان علم الحديث من أفضل العلوم سارع إلى طلبه أهل المهمة العلية- وأثنى على تلميذه ابن فيروز ثم أجازه وطلب منه عدم نسيانه في صالح دعائه ثم ختم الإجازة تاريخها الثامن والعشرون من محرم سنة 1188 هـ (وثيقة مخطوطة من ورقة واحدة ، المكتبة الصالحية بعنيزة) .

الشيخ في رسالته أنه لا يدعو إلى مذهب أو إمام معين، وإنما يدعو إلي عبادة الله وحده لا شريك له وإلى الرجوع إلى سنة الرسول r وترك البدع والمحدثات في الدين. وقد استخدم الشيخ محمد معه أسلوب اللين أملا في هدايته وتأييده للدعوة ووقوفه ضد معارضيها ومن ذلك قوله:

" أنت من سبب ما أظن فيك من طاعة الله لا أبعد أن يهديك الله إلى الصراط المستقيم ويشرح قلبك للإسلام " وقوله أيضا " وما أحسنك تكون في آخر هذا الزمان فاروقا لدين الله كعمر t في أوله فإنك لو تكون معنا لانتصفنا ممن أغلظ علينا ".

ويعد أن شرح الشيخ محمد شيئا من أصول الدين طلب من الشيخ ابن عبد اللطيف إحضار قلبه لفهمها ودعا له أن يؤمن بها حيث قال رحمه الله: " وأحضر قلبك هذه الأصول وما يشابهها في ذهنك واعرضها على قلبك فإنه إن شاء الله، يؤمن بها " [1].

وقد واجهت الدعوة في عهد الدولة السعودية الأولى معارضة من بعض العلماء النجديين، ومن أبرزهم سليمان بن سحيم [2] عالم الرياض الذي كتب إلى علماء الأحساء والحرمين وغيرهم يدعوهم إلى الوقوف ضد الدعوة والرد عليها، [3] وعبد الله المويسي في حرمة الذي رفض تأييد الدعوة وكتب في الرد عليها، [4] وعبد

(1) محمد بن عبد الوهاب ، الرسالة الشخصية ، طباعة جامعة الإمام ، الرياض ، ص250-267 .

(2) هو سليمان بن محمد بن سحيم ، تولى مهام التعليم والإفتاء في الرياض في عهد أميرها الأمير دهام بن دوس ، وكانت وفاته- عفا الله عنا وعنه- في العراق عام 1181 هـ ، البسام ، علماء ، ج 2 هـ 381- 382 .

(3) مما جاء في رسالته بعد المقدمة قوله " أما بعد فالذي نحيط به علمكم أنه خرج في قطرنا رجل مبتدع جاهل مضل ضال جرت منه أمور فظيعة وأحوال شنيعة ، منها شيء شاع وذاع وملا الأسماع ، وشيء لم يتعد أماكننا بعد فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين ليصيدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور لصغار بغاث الطيور ، ويردوا بدعه وضلالاته وجهله وهفواته ، ثم أورد المسائل التي يعترض فيها على الشيخ محمد- رحمه الله- ابن غنام ، المصدر السابق ، ج 1 ص 111-112 .

(4) من كتاباته المعارضة للدعوة رسالة كتبها إلى الشيخ سيف العتيقي يصف فيها اتباع الدعوة بالخوارج ويتهمه بالغلو عدة ورقات مخطوطة ، لدى فضيلة الشيخ عبد الله العبد الرحمن البسام ، بمكة المكرمة ، انظر الملحق رقم (18) .

العزيز الرزيني [1] في أثيثية الذي هاجم الدعوة وإمامها، وكتب رسالة يرد بها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب في موضوع الأوقاف [2] إلا أن هذه المعارضة لم يقدر لها النجاح لمجانبتها الصواب، وقيام علماء الدعوة - وعلى رأسهم الشيخ محمد بن الوهاب - رحمه الله - بالرد على المعارضين وتفنيد شبهاتهم ودحض حججهم [3].

واستمرت الدعوة في تقدمها وازدهارها في عهد الدولة السعودية الأولى حتى تمكنت قوات محمد علي من القضاء على هذه الدولة ونشر الفوضى في المنطقة وهو ما كانت له آثاره السلبية في إيقاف نمو الدعوة واتساعها إلا أن ذلك لم يدم إلا سنوات قليلة عاد بعدها قادة الدولة السعودية، وعلماء الدعوة إلى مواصلة أداء مهامهم في المجالات المتعددة للدعوة، وذلك بقيام الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبد الله -رحمه الله.

(1) هو عبد العزيز بن عبد الرحمن الرزيني التميمي ، ولد في أثيثية من قرى الوشم ، وأخذ عن علماء نجد ثم رحل إلى الأحساء ، ودرس على علمائها ، ومنهم الشيخ محمد بن فيروز المعارض للدعوة الإصلاحية ، وكانت وفاته- عفا الله عنا وعنه- في عام 1179 هـ ، البسام ، علماء ، ج 3 ص 406- 409 .

(2) مخطوطة لدى أحد العلماء في عنيزة ، انظر الملحق رقم 19 .

(3) انظر ابن غنام ، المصدر السباق ، ج 1 ص 103- 109 ، 113-116 وما بعدها ، ص 183-141 ، ص 156- 157- 165 وانظر ابن قاسم ، المرجع السابق ج 1 ص 72-73 ، ج 259-264 .

القسم الثالث

الدعوة في عهد الدولة السعودية الثانية

وكانت أوضاع الدعوة في عهد الدولة السعودية الثانية امتدادا لأوضاعها في عهد الدولة السعودية الأولى: فأئمتها حريصون على تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية في أمور حكمهم والسير بالعدل في معاملة رعاياهم.

ومن الأمثلة على ذلك خطاب مؤسس هذه الدولة الإمام تركي بن عبد الله - رحمه الله - أمام أمرائه ورجاله في طريق رجوعه من الأحساء عام 1248 هـ حيث ذكر الجميع بنعمة الله عليهم بالاجتماع بعد الفرقة والأخوة بعد العداوة والغنى بعد العيلة، ونصح الأمراء بالعدل بين الناس وهدد المخالفين لذلك بالعقوبة [1] وكان رحمه الله حريصا على تنفيذ ما حكم به الأئمة والعلماء في عهد الدولة السعودية الأولى ومن ذلك رسالتاه الخاصتان بقصور أهل مرات وثرمدا، ومما جاء في الأولى قوله بعد المقدمة: " وبعد، دعوى هالقصور عيت تنقطع فيكون لديكم معلوم ما كان أنتم عليه فيها على حياة عبد العزيز وسعود رحمهما الله فأنتم عليه ولا فيه مراجع " [2].

وكان رحمه الله يكتب الرسائل العامة للناس، ومن ذلك رسالة كتبها إلى من يراه من المسلمين حثهم فيها على شكر نعمة الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وإقامة الصلاة مع الجماعة وعدم التخلف عنها، وأورد الأدلة الدالة على وجوب صلاة الجماعة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودفع الزكاة، والحذر من المعاملة بالربا، وشرب الدخان، وحث المنتسبين إلى العلم على تنظيم الدروس العلمية للناس [3].

وقد سار على ذلك خليفته وابنه الإمام فيصل بن تركي رحمه الله فبعد توليه الحكم بعث إلى قضاته يطلب منهم القدوم إلى الرياض حيث أقاموا قربه شهرا سمعوا من الإمام

---

(1) ابن بشر ج 1 ص 88-89 .

(2) ورقتان مخطوطتان ، لدى الباحث ، انظر الملحق رقم (30) .

(3) ابن بشر ج2 ص 113-118 .

التوجيه والنصح وتحري العدل في أحكامهم، كما وجه رحمه الله رسالة عامة إلى الناس يوصيهم فيها بتقوى الله U والتعاون على البر والتقوى، وتعلم الأحكام الشرعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [1].

وكان رحمه الله حريصا على تنفيذ أحكام العلماء السابقين، ومن ذلك رسالته إلى منيع وعبد الله أبا الغنيم واعتراضهم على أم الحصا التابعة لأوقاف الصوام في مسجد أشيقر، وطلبه منهم تثبيت وقفيتها كما أفتى بذلك الشيخ عبد العزيز الحصين والشيخ علي بن مساعد [2].

وقد سلك العلماء وطلبة العلم رحمهم الله هذا المنهج بإرشاد الناس وتوجيههم بالدروس والكتابات العلمية خاصة المتصلة منها بالعقيدة، والتعاون فيما بينهم، واستفسار بعضهم من بعض فيما يشكل عليهم، ومن الأمثلة على هذه النقاط:

- رسالة من الشيخ عثمان بن عبد الجبار [3] إلى الشيخ محمد الفاخري [4] يجيبه عن قول الفقهاء بعدم جواز بيع الجنسين اللذين يجمعهما الكيل والوزن بعضهما ببعض نسيئة، وجواز ذلك إذا كان متفاضلا، وسؤال الشيخ الفاخري عن بيع الناس الذبيحة بعيش بر إلى الصيف [5].

- رسالة من الشيخ حمد بن عبد العزيز إلى الشيخ عثمان بن بشر تتعلق بوقف امرأة يظهر أنها تحاول الرجوع في وقفها، وجواب الشيخ حمد بأن المفهوم من كلام الفقهاء أن الوقف إذا كان على جهة بر وهو منجز فلا يجوز الرجوع فيه [6].

---

(1) المصدر نفسه ج 2 هـ 129- 131 .

(2) مخطوطة من ورقة واحدة نشرها فضيلة الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في مجلة الدرعية ، العدد السادس في بحثه بعنوان " دنيا الوثائق " ، ص 591 .

(3) انظر البسام ، علماء ، ج 5 ص 79-82 .

(4) المرجع نفسه ، ج 6 ص 246-248 .

(5) ورقتان مخطوطتان ، لدى الباحث ، انظر الملحق رقم (21) .

(6) مخطوطة من ورقة؛ واحدة لدى الباحث ، انظر الملحق رقم (22) .

- رسالة من الشيخ عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار [1] إلى عثمان بن بشر إجابة لطلب الشيخ عثمان اطلاع الشيخ عبد العزيز على ورقة تخص مسألة خلاف بين ابن عمير وابن فوزان.

- رسالة من الشيخ عبد العزيز بن عبد الجبار إلى أهل سدير في شأن رجل يزعم أن لديه قدرة خارقة، وإفادته رحمه الله بأن هذه الأعمال المذكورة نوع من السحر المحرم في الشريعة [2].

- كتابة الشيخ صعب التويجري [3] - رحمه الله - نبذة في العقيدة، وهناك كتابات كثيرة لعلماء الدعوة في هذه الفترة يضمها كتابا الدرر السنية والرسائل والمسائل النجدية [4].

- يرتبط العلماء وطلبة العلم بعلاقات حميمة، وإن عتب أو أشتد أحدهما على الآخر قابله الطرف الثاني بالصلة والود، ومن ذلك رسالة من الشيخ أحمد بن مشرف في الأحساء إلى الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في الرياض يجيبه على معاتبته له بقصيدة جاء في مطلعها:

الـــود أصـــدق والتـــوهم أكذب فعـــلام تلحقـــنا المـــلام وتعتـــب [5]

- اهتم العلماء ببعض العلوم الأخرى غير العلوم الشرعية والعربية، ومنها علم الفلك كما يتبين ذلك من رسالة جوابية إلى الشيخ عثمان بن بشر [6] والتي تضمنت الحديث عن

(1) البسام ، علماء ج 3 ص 488-490 .
(2) مخطوطة من ورقة واحدة ، لدى الباحث ، انظر الملحق رقم 23 .
(3) البسام ، علماء ، ج 2 ص 563-564 .
(4) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد .
(5) مخطوطتان لدى الباحث ، انظر الملحق رقم (9) .
(6) ورقتان مخطوطتان لدى الباحث ، انظر الملحق رقم (24) .

كوكب الزهرة وغيرها، كما كانوا رحمهم الله يهتمون بمعرفة الأوقات خاصة المتعلقة منها بأوقات الصلوات، ومن ذلك رسالة كتبها الشيخ محمد بن سلوم [1] إلى الشيخ عبد الله الفايز [2] عن كيفية وضع الشخص لمعرفة وقتي صلاتي الظهر والعصر [3] .

وقد واجهت الدعوة في هذه الفترة معارضة من بعض العلماء النجديين إلا أنها كانت بشكل أخف مما كانت عليه في عهد الدولة السعودية الأولى، ومن أشهر العلماء المعارضين في هذه الفترة الشيخ عثمان بن منصور الذي أخذ عن علماء نجد ثم رحل إلى العراق وقرأ على بعض علمائها المعارضين للدعوة ومنهم داود بن جرجيس، وقد أجاز رحمه الله وعفا عنا وعنه في فترة من حياته التوسل بالصالحين من الأموات والاستعانة بهم [4] .

ومما يدل على أن معارضته للدعوة ليست ثابتة طوال حياته نقله عن أحد رجال البصرة صلاح أبناء الشيخ محمد المجموعي شيخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وأن ذلك - والله أعلم - كان ببركة اجتماع جدهم بالشيخ محمد [5] ورثاؤه للإمام تركي بن عبد الله بقصيدة جيدة [6] وشرحه لكتاب التوحيد [7] والشيخ محمد بن عبد الله بن حميد الذي رحل إلى مكة والعراق ومصر والشام واليمن، ودرس على بعض المعارضين للدعوة مما كان سببا في اختلافه مع بعض علمائها في بعض المسائل العقدية [8] وكانت هذه المعارضة محدودة و لم تكن لها آثار سلبية على الدعوة.

وهذا المستوى المتقدم للدعوة في مجالاتها المختلفة كان في عهد الإمامين - الإمام تركي

(1) البسام ، علماء ، ج 6 ص 292-203 .
(2) المرجع نفسه ، ج 4 ص 370-377 .
(3) مخطوطة من ورقة واحدة ، لدى الباحث ، انظر الملحق رقم (26) .
(4) البساط ، علماء ، ج 5 ص 89-106 .
(5) ابن بشر ، ج 1 ص 36 .
(6) المصدر نفسه ج 2 ص 118 -121 .
(7) البسام ج 5 ص 89-106 .
(8) المرجع نفسه ، ج 6 هـ 189-204 .

بن عبد الله والإمام فيصل بن تركي؛ إذ بعدهما حصل الاختلاف بين أبناء الإمام فيصل وكان من الطبيعي أن يكون له آثاره السلبية على الدعوة، إلا أن ذلك لم يكن بالصورة القاتمة التي يمكن أن تفهم من شدة الخلاف والحروب التي حصلت بين أبناء الإمام وأتباعهم من المنتمين إلى الدولة السعودية والدعوة الإصلاحية، فالحروب من الممكن أن تسقط دولا وتقيم أخرى في أيام محددة معروفة إلا أنه من الصعب انتزاع العلم والقيم والمبادئ من أفكار الناس وصدورهم.

ولهذا فقد عاشت المنطقة فترة خلاف بين أبناء الإمام فيصل منذ وفاته - رحمه الله - في عام 1282 هـ إلى سقوط الدولة السعودية الثانية عام 1309 هـ، ثم تلتها فترة الفوضى التي استثمرت إلى دخول الملك عبد العزيز - رحمه الله - الرياض عام 1319 هـ. ويمكن الإشارة إلى الجوانب المضيئة للدعوة في هذه الفترة على ضوء النقاط التالية:

- سير الإمام عبد الله بن فيصل -رحمه الله- على طريقة آبائه في كتابة الرسائل إلى أمراء البلدان وتوجيههم وإرشادهم إلى ما يجب عليهم، ومن ذلك رسالته إلى مجاهد بن عبد الله يحثه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشير في رسالته إلى بعض المنكرات التي تحصل في البلد والتي يجب على الأمير إزالتها، ووجهه إلى تنظيم هيئة تقوم بتلك المهمة، ويكون كل عضو منها مسؤولا عن طرف من أطراف البلدة، وختم رسالته بتهديد المتعرضين للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بأقصى العقوبة [1].

- المحاولات التي قام بها العلماء -وعلى رأسهم الشيخان الشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه الشيخ عبد اللطيف- لإصلاح ذات البين بين الإمام عبد الله بن فيصل وأخويه سعود وعبد الرحمن، وبذل مساعيهم لجمع الناس على الإمام الشرعي وهو الإمام عبد الله الذي بويع له بولاية العهد في حياة أبيه، ثم حدثت أمور أضعفت الإمام عبد الله وأبرزت أخاه سعودا، فحثوا الناس على مبايعة سعود وعدم إراقة دماء المسلمين في الحروب مع أن

(1) ابن قاسم ج 7 ص 42 .

وصوله إلى الحكم والإمامة كان عن طريق القوة والغلبة، فبينوا أن ذلك غير مناف للقواعد الشرعية لعدم صلاح أمر المسلمين بدون إمام، ولأن ذلك قد حدث بعد عهد الخلفاء الراشدين، وأعطي الإمام المتغلب حكم الإمام، ولم ينازعه الموجودون من الصحابة، ومنهم ابن عمر وغيره مع أن الإمامة أخذت عن طريق القهر والغلبة.

وكتب الشيخ عبد اللطيف رسالة إلى والي جدة خورشيد باشا في عام 1288 هـ يطلب منه تثبيت حكم الإمام سعود ومنع والي بغداد من التدخل في شؤون الجزيرة العربية، ويذكر الوالي بالعلاقة الطيبة التي كانت تربط الإمام فيصل بن تركي بالدولة العثمانية، وأن ابنه سعودا هو القائم مقامه الآن، ورغبة الإمام سعود ورعيته استمرار العلاقة الطيبة مع الدولة العثمانية (1).

وبعد وفاة الإمام سعود وتولي أخيه الإمام عبد الرحمن فترة من الزمن تدخل العلماء لإقناعه بالتنازل عن الحكم لأخيه الأكبر الإمام عبد الله، ونجحوا في تحقيق مسعاهم (2).

- معالجة بعض المشكلات الناتجة عن هذه الفتنة، واختلاف العلماء في مواقفهم تجاه بعض الإجراءات التي قام بها المتنازعون، ومن ذلك موقف العلماء من استعانة الإمام عبد الله بن فيصل بوالي بغداد ضد أخيه سعود في الأحساء، حيث قال الشيخ محمد بن عجلان بجواز ذلك، واشتد الشيخ حمد بن عتيق - رحمه الله - وقال بردة من أفتى بجواز ذلك (3).

وتدخل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله - وحكم بخطأ الطرفين كليهما حيث خطأ الشيخ ابن عجلان بإباحته الاستعانة بوالي الدولة العثمانية على الرغم مما هم فيه من البعد عن تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية وأثنى على الشيخ حمد بن عتيق وعلى تحمسه في البعد عن موالاة غير المؤمنين إلا أنه لم يوافقه في تكفير من أجاز الاستعانة بولاة الدولة، وأورد رأي علماء المسلمين في موضوع الاستعانة بغير المسلمين

(1) مخطوطة من ورقتين ، لدى الباحث انظر الملحق رقم (27) .
(2) انظر تفصيل ذلك في الدرر السنية ، ج 7 ص 242-263 .
(3) المرجع نفسه ص 170-172 .

وأنه محل خلاف وأن الراجح منع الاستعانة بهم [1].

- قيام العلماء وطلبة العلم بدورهم في الدفاع عن العقيدة الصحيحة ومبادئ الدعوة الإصلاحية، وكشف شبهات المبطلين، ومن الأمثلة على ذلك:

رد الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى - رحمه الله - على قصيدة ليوسف النبهاني ضل فيها عن طريق الحق، حيث جاء في مطلعها:

لـــك الحمد يا من يعلم السر والجهرا لك الحمد في السراء مني وفي الضرا

وجاء في رده على قول النبهاني:

أولئـــــك وهابيـــة ضـــل ســـــعيهم فظنوا الردى خيرا وظنوا الهدى شرا

قوله:

كـــذبت وكـــان الكذب فيك سجية وأنت بما قد قلته فيهم أحرا [2]

- كان الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن قد رد على كتابات لأحد علماء بغداد وهو داود بن جرجيس لتضمنها ما يخالف العقيدة الصحيحة، فقام أمين بن حنش البغدادي بكتابة قصيدة يثني فيها على ابن جرجيس ويعترض على علماء الدعوة الإصلاحية، ومما جاء فيها قوله:

(1) المرجع نفسه ، ج 7 ص 170- 175 .

(2) عدة ورقات مخطوطة ، لدى الباحث ، انظر الملحق رقم (28) .

الحق لا شك ما أفتى الإمام به أعني به الشيخ داود بن سلمان [1]

وقد انبرى للرد عليه عدد من العلماء منهم الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن، وجاء في مقدمة رده قوله: " الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، يقول الفقير إلى الله إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن هذا جوابي على قصيدة العراقي الملحد المسمى أمين بن حنش التي مدح فيها طواغيت المشركين، وأباح دعاء الصالحين، وهجا علماء المسلمين أحببت أن أدخل به في سلك من نصر الدين بالنصر الواضح المبين، وما توفيقي إلا بالله [2].

كما رد عليه الشيخ سليمان بن سحمان بقصيدة جاء في مطلعها:

الحـــق شمس لأهل الدين قد بانا ولا يراه امرؤ بالكفر قد دانا [3]

ورد عليه أيضا الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف بقصيدة جاء في مطلعها:

الحـــمد للـــه حمدا أستزيد به فضل الإله وأرجو منه رضوانا [4]

كما رد عليه أيضا أحد العلماء النجديين المقيمين في بغداد وهو الشيخ علي بن سليمان بن يوسف الوهبي التميمي بنظم سماه الشهب السماوية على من تنقص السلفية

(1)عدة ورقات مخطوطة ، لدى الباحث ، انظر الملحق رقم (29) .

(2) مخطوطة من ورقتين ، لدى الباحث انظر الملحق رقم (30) .

(3) مخطوطة من ورقتين لدى الباحث انظر الملحق رقم (31) .

(4) مخطوطة من عدة ورقات ، لدى الباحث انظر الملحق رقم (32) .

جاء في مطلعها:

الحـــمد للـــه صبح الحق قد بانا وغيهب الجهل والإشراك قد بانا[1]

- إجابة الشيخ عيسى بن عكاس على رسالة الشيخ قاسم بن ثاني التي طلب فيها النظر في كتابة لمحمد بن عبد الله الفارسي تضمنت الحديث عن ثلاث مسائل تتعلق بصفات الله U وحياة الأنبياء بعد موتهم، والاستغاثة بالأنبياء والأولياء، وقد قام الشيخ ابن عكاس بالرد على ما فيها من أمور مخالفة للعقيدة الصحيحة [2].

- كتابة الشيخ فهد بن سلطان إلى بعض العلماء ينكر فيها ما قام به علي بن عرفج من كلام يتضمن جواز موالاة المشركين، وجاء في مقدمة رسالته قوله: " من فهد بن سلطان إلى المشايخ الكرام محمد بن عمر ومحمد بن عبد الله [3] وإبراهيم بن عجلان زادهم الله من الإيمان ووفقهم للدعوة إليه على بصيرة وبرهان آمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد فإن علي بن عرفج تكلم بكلام متضمن لجواز موالاة المشركين والمداهنة في دين رب العالمين "، وطلب في رسالته من العلماء المذكورين بيان الحق والرد على كلام ابن عرفج [4].

- أداء العلماء لمهامهم في التأليف والكتابة في الموضوعات التي يحتاج الناس إلى معرفة حكم الشرع فيها، كما قام العلماء أيضا بنسخ كتب أهل العلم لتعم فائدتها، ومن الأمثلة على ذلك:

- كتابة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى رسالة في حكم قصر الصلاة في السفر

(1) مخطوطة من ورقتين ، لدى الباحث انظر الملحق رقم (33) .

(2) مخطوطة من عدد ورقات لدى الباحث انظر الملحق رقم (34) .

(3) المقصود بهما الشيخ محمد بن عمر بن سليم والشيخ محمد بن عبد الله بن سليم .

(4) مخطوطة من ورقة واحدة ، لدي الباحث الملحق رقم (35) .

وقال فيها - رحمه الله - بأن القول الراجح هو استمرار الإنسان في قصر الصلاة ما لم يعزم على الإقامة [1].

- كتاب الشيخ عبد العزيز بن عامر رسالة في حكم المسكر والمفتر [2].

- كتابة الشيخ حمد بن عتيق، رسالة في حكم الاستعانة بغير المسلمين وموالاتهم وذلك بعد قدوم والي بغداد إلى الأحساء، وكانت الرسالة بعنوان " سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين والأتراك [3].

- قيام الشيخ عبد العزيز بن عامر بنسخ العديد من كتب أهل العلم ورسائلهم ومن الأمثلة على ذلك:

منظومة الآداب لابن عبد القوي [4].

عدة مسائل في العقيدة [5].

نظم في أحوال " كلا " في القرآن من ناحية الوقوف وعدمه [6].

نقولات من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - [7].

- حرص العلماء على تثبيت الصلة والمودة فيما بينهم عن طريق المراسلات، والاستفادة منها في مناقشة بعض المسائل العلمية ومن ذلك:

رسالة من الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى إلى الشيخ عبد العزيز بن زامل السليم، ومما جاء في مقدمتها: " بسم الله الحمد لله الذي جعل الأرواح جنودا مجندة فما تعارف

(1) مخطوطة لدى الباحث الملحق رقم (36) .

(2) مخطوطة من عدة ورقات ، نسخة مصورة مهداة من الأستاذ الفاضل/ بسام البسيمي في أشيقر انظر الملحق رقم (37) .

(3) مطبوعة .

(4) مخطوطة من عدد ورقات ، جمعية أشيقر الخيرية ، انظر الملحق رقم (38) .

(5) مخطوطة من عدة ورقات ، جمعية أشيقر الخيرية ، انظر الملحق رقم (38) .

(6) مخطوطة من ورقة واحدة جمعية أشيقر الخيرة ، انظر الملحق رقم (40) .

(7) مخطوطة من عدد ورقات ، جمعية أشيقر الخيرية انظر الملحق رقم (41) .

منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، والصلاة والسلام على نبينا محمد أشرف من وصل قطع حبل المودة والوداد وأفضل من قطع وصل حبل البعاد [1] .

- حرص العلماء - رحمهم الله - على التخلق بالأخلاق الفاضلة وتحمل بعضهم ما قد يصدر من هفوة من أخيه في حقه، ومحاولتهم الوصول إلى الحق دون التعصب لرأيهم، ومن الأمثلة على ذلك رسالتان:

الأولى: من الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن إلى الشيخ حمد بن عتيق يجيب فيها الشيخ عبد اللطيف على رسالة وردته من الشيخ حمد، وكانت بعض عباراتها لا تخلو من الغلظة، ومما جاء في مقدمة جواب الشيخ عبد اللطيف على خطاب الشيخ حمد قوله: " وكنت حال وصوله قد قرأته بمرأى من أهل الأدب ومسمع، فمن قائل عند سماعه هذا الرجل طبعه الغلظة والجمود وآخر يقول كأنه لا يحسن الدعوة إلى ربنا المعبود فقلت: كلا إنه ابن جلا وله السبق في مضمار الديانة والعلا، لكن من عادته أنه يتجاسر على أحبائه ويزدري رتب إخوانه وأقرانه والمحب له الدلال " [2] .

الثانية: رسالة من الشيخ عبد العزيز بن محمد بن مانع يعاتب فيها الشيخ عبد الله بن محمد بن دخيل على انتقاده كلاما للشيخ ابن مانع في بعض مسائل الفقه، بأسلوب لا يخلو من القسوة، ومما جاء في رسالة الشيخ ابن مانع قوله بعد المقدمة: " وبعد فقد بلغنا تشنيعك على أخيك وهذا أخي ليس من الدين ولا من سنة عباد الله الصالحين، لا سيما الإخوان المتناصحين، فلقد كان منهم من يقول أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ إذ لم يكن لهم قصد إلا ظهور الحق، ولم يبالوا مع من كان " [3] ثم أخذ بعد ذلك في بيان رأيه في المسائل الفقهية المعترض عليها من قبل الشيخ ابن دخيل.

وكان العلماء يبعثون برسائل النصح والتوجيه والإرشاد إلى خارج نجد، ومن هذه

---

(1) مخطوطة من ورقة واحدة لدى الباحث انظر الملحق رقم (42) .

(2) ابن قاسم ، ج 7 ص 31-33 .

(3) مخطوطة من عدة ورقات لدى فضيلة الشيخ عبد الله البسام بمكة المكرمة ، انظر الملحق رقم (43) .

الرسائل ما يكون خاصا بعالم معين، ومن ذلك رسالة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف - رحمه الله - إلى الشيخ نعمان الألوسي في العراق، ومما جاء فيها بعد المقدمة: " فالموجب للكتاب إبلاغ حضرة السيد المبجل السلام الأعم والثناء الأتم والفحص عن أحواله السنية " [1] ومن هذه الرسائل ما يكون عاما للمسلمين في الجهة أو الجهات المرسل إليها، ومن ذلك رسالة الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن: " إلى من يراه من الإخوان وكافة الرؤوساء في ساحل عمان ومن يليهم " [2].

وكان العلماء - رحمهم الله - يقومون بدورهم في توجيه الناس وحثهم على البعد عن إيذاء المسلمين وغيبتهم، ومن ذلك رسالة من الشيخ صالح البنيان إلى أحمد بن عبيد في الرياض عندما بلغه أنه يتعرض لأحد الدعاة إلى الله، وهو عبد الرحمن بن سليمان بن بطي، فبعث إليه بنظم جاء في مطلعه:

تـــراكيب نظـــم هيجـــت لي ما حصل من النصح إحسانا لخل عن الخلل

وجاء فيها:

لقـــد جاءنـــا ما ساءنا من صنيعكم من الوقع في عرض امرئ جد وانتحل[3]

- مشاركة العلماء وطلبة العلم والموسرين في إيقاف كتب أهل العلم على طلبة العلم تشجيعا ومساعدة لهم في الاستفادة منها، ومن الأمثلة على ذلك:

(1) مخطوطة من ورقتين ، نسخة مصورة مهداة من الأخوة الفضلاء أعضاء البعثة العلمية لدارة الملك عبد العزيز بالرياض في رحلتهم إلى القصيم وحائل لجمع الوثائق والمخطوطات ، انظر الملحق رقم (44) .

(2) ابن قاسم ج 8 ص 173- 140 .

(3) مخطوطة من ورقتين ، نسخة مصورة من الأخوة أعضاء البعثة العلمية للدارة ، انظر الملحق رقم (45) .

- كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام ابن تيمية، وقد أوقفه الشيخ عبد الله أبا بطين - رحمه الله - [1].

- سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين والأتراك للشيخ حمد بن عتيق، وقد أوقفه محمد بن إبراهيم الصبي - رحمه الله - [2].

- منسك للشيخ عبد الله أبا بطين، وقد أوقفه عبد الرحمن بن فوزان بن عيسى - رحمه الله - [3].

- الفيوضات الإلهية لشرح الألفية الوردية للشيخ عبد الرءوف المناوي، وقد أوقفها سليمان المحمد البسام - رحمه الله - [4].

- غاية المنتهى للشيخ مرعي المقدسي.

- صحيح أبي داود.

- الجامع الصغير للسيوطي.

والواقفون حمد السليمان البسام وحمد وسليمان المحمد البسام - رحمهم الله - [5].

- مختصر رونق المجالس للشيخ عثمان بن يحيى المبري، وقد أوقفه عبد العزيز بن محمد إبراهيم البسام - رحمه الله.

- تمسك الناس بتعاليم الدعوة ومودتهم لأئمة الدولة السعودية وعلماء الدعوة الإصلاحية، ومما يدل علي صدق هذه المودة والرغبة وجودها في وقت ضعفت فيه الدولة السعودية الثانية، واقتربت من النهاية، ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

- كتب الشيخ أحمد بن عيسى التي تضمنت نثرا وشعرا يتأسف فيه على ما حدث للدولة من ضعف، ويحث أئمة الدولة وعلماء الدعوة والناس جميعا على تجاوز هذه المحنة،

(1) مخطوطة ، المكتبة العامة بشقراء وانظر الملحق رقم (46) .

(2) مخطوطة لدى أحد العلماء في شقراء ، انظر الملحق رقم (47) .

(3) مخطوطة ، المكتبة العامة بشقراء ، انظر الملحق رقم (47) .

(4) مخطوطة ، لدى الباحث .

(5) مخطوطات ، لدى الباحث انظر الملحق رقم (49) .

وجاء في مقدمة النثر قوله: " آه من فرقة لعب بها إبليس وأصلها وزين لها التفرق "، وجاء في مطلع النظم قوله:

متى ينجلي هذا الدجا والدساكر متى ينتهـــض للحـــق منكم عساكر[1]

ولم يكن الأمر مقتصرا على العلماء بل شاركهم في ذلك طلبة العلم والعوام حتى أنهم أشركوا مؤسس الدولة السعودية الإمام محمد بن سعود رحمه الله وأبناءه وإمام الدعوة الإصلاحية الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وأبناءه مع أنفسهم وأهاليهم في أضحياتهم، ومن ذلك وصية عبد الرزاق بن محمد الجويعي الذي أوصى بعدد من الأضحيات منها واحدة للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه، وأخرى للإمام محمد بن سعود وأبنائه [2].

(1) مطبوع طباعة هندية ، انظر الملحق رقها (50) .

(2) مخطوطة من ورقتين ، لدى الباحث انظر الملحق رقم (51) .

وفي ختام هذا البحث يمكن استخلاص النقاط التالية:

- أداء العلماء وطلبة العلم النجديين قبل الدعوة وقيام الدولة السعودية الأولى لمهامهم في التعليم والإفتاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع محدودية التعليم، واقتصاره على عدد قليل من البلدان التي وجد فيها من قام بالتعليم، وتخرج على أيديهم عدد من طلبة العلم، وعدد أقل من البلدان التي احتضنت مشاهير العلماء النجديين الذين رحل إليهم العديد من طلبة العلم واستفادوا منهم، ومع اقتصار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المرتبتين الثانية والثالثة وهما التغيير باللسان والقلب، فكانت المنطقة بحاجة إلى دعوة إصلاحية تعمم التعليم، وتدعو إلى الله بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، وأسلوب القوة مع المعاندين ومنكري الحق حفاظا على مصالحهم الخاصة.

- تغير أوضاع الدعوة إلى الله تعالى في المنطقة بعد قيام الدولة السعودية الأولى حيث انتفت السلبيات التي سبق الإشارة إليها في النقطة السابقة، فانتشر التعليم في كافة المناطق، واهتم العلماء بتنقية شعائر العقيدة الإسلامية مما خالطها من البدع، واستخدموا العديد من الأساليب والطرق في التعليم والتوجيه والإرشاد، والرد على المعارضين للدعوة، وكشف شبهاتهم، وتمكنت الدولة السعودية الأولى من التصدي لهجمات أعدائها، وإعلان الجهاد لنشر مبادئ الدعوة الإصلاحية.

- استمرار الدولة السعودية الأولى بتوجيه من أئمتها وعلماء الدعوة فيها بالقيام بمهامها إلى نهايتها على يد قوات محمد علي باشا عام 1233 هـ حيث كان لذلك آثاره السلبية على الدعوة لسنوات قليلة انتهت بقيام الدولة السعودية الثانية على يد مؤسسها الإمام تركي بن عبد الله - رحمه الله -، ثم خليفته وابنه الإمام فيصل بن تركي - رحمه الله - اللذين سارا على طريقة آبائهما في نصرة الدعوة ومؤازرة العلماء الذين قاموا بمهامهم بالدعوة إلى الله بكافة الوسائل.

- حدوث الخلاف بين أبناء الإمام فيصل بن تركي - رحمه الله - بعد وفاته في عام 1282 هـ، والدور البارز للعلماء الدعاة في إطفاء نار الفتنة حسب استطاعتهم

واستمرار العلماء وطلبة العلم بالقيام بواجباتهم رغم الظروف الصعبة التي تعيشها المنطقة، وتمسك العلماء وطلبة العلم والعوام بالدولة التي قامت على أساس هذه الدعوة وكتابة العلماء في حث أبناء الإمام فيصل على الاجتماع وتجاوز المحنة، ومودة الناس لهذه الدولة وعلماء الدعوة فيها، وإشراك بعضهم لأئمتها وعلمائها مع والديهم وأهاليهم في أضحياتهم.

جزى الله العلماء العاملين قبل الدعوة خير الجزاء، ورحم الله أئمة الدولة السعودية وعلماء الدعوة الإصلاحية والمدافعين عنها وجزاهم عنا أحسن الجزاء إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

السمات الدعوية في شخصية الملك عبد العزيز

إعداد

معالي الدكتور محمد بن سعد الشويعر

المستشار في إدارة البحوث العلمية والإفتاء

السمات الدعوية في شخصية الملك عبد العزيز

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الداعي الأول لدين الله الحق، الذي أمره ربه بالدعوة، والإنذار عما يخالف أمر الله سبحانه وقال عنه ربه: { ¾íÉ»d @è } { ÓÍè6?$ÇBr ¤ž•Ä / 4?ã «‹$'‹î (þãš¼ þíî™ }[1] وعلى آله وصحابته الأخيار الذين حملوا لواء الدعوة، وبلغوا رسالة نبيهم إلى من بعدهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ومن امتدت رقعة الإسلام على أيديهم، وبذلوا جهدهم في تعريف الآخرين بدين الله الذي ارتضاه لخير أمة على وجه الأرض إنه دين الإسلام.

أما بعد: -

فإن المستقرئ لحوادث التاريخ، يدرك أن آل سعود، لم يكونوا طلاب ملك، أو دعاة سياسيين لنحلة معينة، ولكنهم قبل ذلك حماة لدين الله ودعاة إلى توحيد الله بالعبادة والعقيدة، وإقامة شرع الله في عباد الله، ينفذون ذلك وفق حكم الله، ويدعون القريب والبعيد بأقوالهم وأعمالهم، إلى التمسك بدين الله الحق، الإسلام، بصفائه ونقاوته، كما جاء به محمد r من عند ربه، ومثلما بلغه صحابته الكرام. ويحرصون في أداء شعائر هذا الدين على القدوة الحسنة امتثالا لما سار عليه السلف الصالح من هذه الأمة، وليكون قدوة لمن حولهم ومن يأتي بعدهم، حيث الناس على دين ملوكهم لأنهم شعروا بالأمانة الكبيرة الملقاة عليهم، فاهتموا بأدائها.

وأولهم الإمام محمد بن سعود المتوفى في عام 1179 هـ، قد اختط هذا الطريق عام 1157 هـ الموافق 1744 م، وهذا التاريخ هو بداية نشأة الدولة السعودية، التي امتدت جذورها حتى اليوم.

أكد ركائز الدعوة في أعماق القلوب: حبا وعملا، الإمام محمد بن سعود، مع الإمام

---

(1) سورة يوسف آية : 108 .

محمد بن عبد الوهاب، (1115 - 1206 هـ) رحمهما الله، منذ ذلك التاريخ، عندما وصل الإمام محمد بن عبد الوهاب الدرعية، وتصافحت يده مع الإمام محمد بن سعود، وتعاهدا على الدعوة إلى دين الله، والجهاد في سبيل إظهاره، وإزالة ما علق بالإسلام من بدع ومنكرات وأمور لم تكن من تعاليمه و لم يأذن بها الله ولا رسوله r .

فكان هذا دربا ممهدا لكل واحد منهم طوال العهود الثلاثة للدولة، وحتى الآن حيث إن من سار على هذا النهج لا بد أن تتناوشه سهام المغرضين، وتسلط عليه جهود المناوئين لثنيه عن هذا العمل في محاولة لإسكات صوت الدعوة إلى دين الله والحماسة من أجلها. وهذه حكومة الله فيمن يتصدى لأمر الدعوة في كل زمان ومكان.

ولكن ما إن يكبو جواد، إلا ويهيئ الله همما، تتجدد معها الحماسة، على صهوة جواد آخر، وليقوم برفع الراية شبل من تلك الأسود، متحمسا للدعوة، غيرة على دين الله.

وفي 5 شوال من عام 1319 والموافق 1902 هيأ الله البطل عبد العزيز - رحمه الله - لينهض بالدعوة متحمسا لإعلان دين الله، وتطبيق شريعته.. فبدأ بالرياض مستعيدا قاعدة الانطلاقة، للعمل الجاد، الذي انبعثت ثماره فيما بعد.

فعبد العزيز قد عرفت عنه الغيرة على دين الله منذ نشأ، حيث كان مطبقا على نفسه، متحمسا في دعوته، بعيدا عن سفاهة الشباب، يقول لينفذ، ويهتم ليرسخ الأمور على الواقع المحسوس.

وكلماته - رحمه الله - تبرز ما يخامر عقله، إذ في المؤتمر الإسلامي الذي عقد عام 1344 هـ الموافق 1925م بمكة في 18 جلسة تقريبا، تحدث الملك عبد العزيز خلاله للوفود بكلمات تدل على أن الدعوة إلى دين الله، وتنقية الإسلام من المنكرات والبدع الدخيلة على تعاليمه، هي هاجسه والمسيطرة على مشاعره، فكان مما قاله لوفد علماء الهند:

أعترف أمام الله، وأمام المسلمين، بأني لا أريد إلا العودة إلى دين الله الصحيح القديم الذي جاء به محمد r البعيد عن العقائد الوثنية، التي ليست من الإسلام في شيء وأن

عقائدي هي عقائد أجدادي الأطهار الأتقياء، عاداتنا هي عاداتهم، شعائرنا هي شعائرهم، وأننا نعود في كل شيء لأحكام القرآن الكريم، والسنة المطهرة، ونحاول أن نعيش كما عاش الخلفاء الراشدون، وكل ما نطمع فيه أن يتحد العلماء المسلمون، فيتحد العالم الإسلامي.

نريد أن يكون اتحادنا قويا متينا، وأن يخضع العالم الإسلامي خضوعا تاما لأحكام القرآن والسنة [1].

وقد أوضح خادم الحرمين الشريفين في مناسبات عديدة عن الملك عبد العزيز، أن حب الدعوة إلى دين الله الحق قد تعمق في أحاسيس قلبه، وسرى في جسده سريان الدم في العروق، ومن ذلك ما قاله في مناسبة عيد الفطر، 3 شوال عام 1403 هـ، ضمن كلمته التي وجهها - حفظه الله - للمواطنين وجاء فيها: لقد جاء موحد هذه الجزيرة، وجامع شملها الملك عبد العزيز - رحمه الله - ليقيم دولة التوحيد، والشريعة الإسلامية، والدعوة السلفية، رمز الإسلام الحقيقي، ومظهره العلمي، حيث يتحد الدين بالدنيا، وتسير الأمة كلها في طريق الجهاد الصادق، والعمل المثابر [2].

(1) انظر : كتاب الملك الراشد لعبد المنعم الغلامي ، ص 50 .

(2) انظر : كتاب المصحف والسيف إعداد محيي الدين القابسي ، ص 32 ، 33 .

السمات الدعوية في شخصيته

انصهرت سمات الدعوة في الملك عبد العزيز - رحمه الله - فكانت جزءا من كيانه يحرص عليها منذ تشبعت نفسه بدور أسرته في نصرة الدعوة، وأن كيان دولتهم لم يقم إلا على هذه الدعوة الناصرة لدين الله، وقد كان من كلمات الملك فيصل - رحمه الله - البيت السعودي هو بيت دعوة قبل أن يكون بيت ملك [1] والملك عبد العزيز فرع من تلك الدوحة، أحب الدعوة إلى دين الله الحق ونما فيه مع الأيام الاهتمام بدين الإسلام الصافي من الأكدار والدخائل، وتعمقت جذوره في أحاسيسه منذ حداثته، فقد رضع سمات الدعوة مع جرعات اللبن من ثدي أمه، لما عرف عنها من الصلاح والدين، وسداد الرأي والورع، والأم مدرسة تؤصل في أبنائها الأمور الكريمة، والصفات الحميدة منذ يبدأ التفتح في براعمهم.

فكانت أم عبد العزيز تهتم بغرس بذور الخير، وتحرص على تأصيل القيم الإسلامية، في أعماق ابنها عبد العزيز لأنها أم مدركة، وذات عقل كبير، صهرتها الأحداث المحيطة بها، يقول عنها أحمد عبد الغفور عطار: وأم عبد العزيز من أسرة آل السديري، ونساء هذا البطن مشهورات بالذكاء ورقة الطبع، وحسن الخلق والتقوى، مع جرأة لا تنافي الأنوثة، كما اشتهر رجالها بصباحة الوجوه، وفتنة الطلعة، وحب الخير والشجاعة.

ولقد كانت معجبة جد الإعجاب، بابنها عبد العزيز وسجاياه، تنغرس فيه مخايل النجابة، وأمارات الزعامة وسيماء البطولة تلوح في تقاطيع وجهه، وهو في سني الطفولة.

فهذه الأم الكريمة في نسبها وخلقها، قد ورثت خير الصفات، كما اكتسبت من أخلاق البيئة أفضلها، فجمعت بين الوراثة والاكتساب، حتى أصبحت امرأة كاملة، مشرقة الرأي، كبيرة العقل، كثيرة الأناة والتفكير في مهام الأمور، هدتها تجاربها للحياد، وروضتها مشاركة زوجها الآلام والمصائب في سبيل الدين ثم الوطن، وكانت تقوم بتربية

(1) انظر : كتاب شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز لخير الدين الزركلي ، 1 : 30 .

أبنائها تربية إسلامية عربية خير قيام [1] .

وإذا كان التربويون يرون أن الطفل أول ما ينفتح ذهنه على الدنيا، يرى في أمه المثل الأعلى فيقلدها، ويحاكيها ويأخذ توجيهها أمرا مسلما، لأن عينيه تفتحتا على حنانها وحدبها عليه، وعقله بدا يدرك التعليمات التي تلقيها علبه قبل معرفته للآخرين وسمعه لم يعرف مدلول الكلمات، وما يعنيه الأمر والنهي قولا أو على قسمات الوجه، إلى من الأم.

فإن عبد العزيز قد تربى في حضن أم، نشأت في بيئة صالحة متدينة، وتعلمت من أسرتها وبيئتها صفات النبل، والحرص على التمسك بتعاليم الإسلام، وقد أصل تلك التعاليم ورسخها فهما وتطبيقا، بيت الزوجية الذي عاشت فيه، مع الإمام عبد الرحمن والد الملك عبد العزيز، الذي عرف عنه التدين وكثرة العبادة ورقة الطبع وحصافة الرأي، يقول الشاعر العربي في أثر الوالدين على تربية الأولاد:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على مـــا كان عـــوده أبـــــوه

فانعكست خلفيات الوالدين على شخصيته، منذ بدأ يعي ما حوله، وتأصلت في أعماق قلبه منذ صغره محبة الدعوة لدين الله، لأنها الأساس لصلاح الفرد والمجتمع، فبدأ بتوجيه نفسه، ثم من حوله من الأتراب، إلى هذا المنهج الذي انغرست جذوره كيانا محسوسا في تصرفاته وعلى قسماته، عملا يؤديه وعبادة محببة إليه منذ الصغر، وحبا للآخرين بدعوتهم لهذا الكيان، الذي وجد في قلبه له طعما، يختلف عن مذاق الأكل والشرب.

فكان إحساسه الصغير بهموم الآخرين في أمور دينهم، يدفعه إلى دعوتهم برفق وأناة للمعروف، ونهيهم عن المنكر، وكلما كبر جسمه، نمى مع جسمه هذا الإحساس، لأنه

(1) انظر : كتاب صقر الجزيرة لأحمد عبد الغفور عطار ، 2 : 200 .

متأصل في أعماق قلبه، الذي فاق نمو جسمه، لاستيعابه الدروس الأولى مع والدته الفاهمة المدركة أولا، ثم مع والده المجرب الذي عرفته الأيام، وعصرته الحوادث.

فالوالدان تخيلا في ابنهما عبد العزيز علائم النجابة، فحرصا على تنشئته بما يتلاءم مع الدور الذي يطمحان وصوله إليه، وقد رأيا أثر جهدهما فيه، توجيها وتعليما، بارزا على أعمال وتصرفات عبد العزيز الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره: عبادة وإنكارا للمنكر، ودعوة إلى الخير، وترغيبا فيه.

ثم لما زاد نموه أدرك من شيخه: عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ ما يعنيه مفهوم قول رسول الله r لبلال، عندما يحزبه أمر، أو تهمه بعض الشدائد: { يا بلال أرحنا بالصلاة [1] } لأن الصلاة كما أوضحها الله في كتابه الكريم، تحجز النفس عن ارتكاب المنكرات، وتحميها عن الفحشاء، قال جل وعلا: { 4 Sz? oq-ÁA9$žc Î oq-ÁA9$ÉÏ‰r } أدرك ذلك [2] { ÇÍÈ bqãYÁ? $B Ð-èƒ ª! $# ç9ò2 & «! $#ãø‰!r ì3Z3¢ ä!$±ó¡ÿ¨$ÇÆE ã } تعليما، وأن دور الصلاة الذي يجب الاهتمام به، والمحافظة عليه، ثم وعيه جيدا، دور كبير في تنمية حب الدعوة إلى دين الله الحق، وإظهاره في الملأ.

وكما كانت توجيهات الإمام عبد الرحمن، بقلبه الكبير، وإدراكه الواعي، وقد انصهرت في طبائع ومعرفة زوجته والدة عبد العزيز، فإنه أيضا صار يعطي ابنه جرعات متتالية في التوجيه والنصح: قولية وفعلية، لما للفعل المقرون بالوقائع من أثر في الرسوخ، وذلك عن مكانة الإسلام والمحافظة على شرائعه وتعظيمها في النفس، لأنه عماد الأعمال، وأساس المهمة التي خلق الإنسان من أجلها، كما قال سبحانه: { £ßgs9 ãNßgs9 ×M»t6Íz $Br

(1) أخرجه أبو داود عن سالم بن أبي الحق جامع الأصول ، 6 : 263 .
(2) سورة العنكبوت ، الآية 45 .

{ ÇÎÈ [illegible] } [1] هذا الأصل لا يتأكد في النفس محبة، إلا بالعمل، والحرص على المحافظة منذ الصغر، لأن العلم في الصغر كالنقش في الحجر.. فعبادة الله يجب أن تؤدى كما أمر الله، بعقيدة صافية، ونية صادقة.

وهذا أيضا، ما نماه فيه والده، وفهمه عبد العزيز جيدا بدليله في دراسته للتوحيد والتفسير والفقه والحديث.

فمن التوحيد عرف حقيقة إخلاص العمل لله، وما يجب على الموحد أن ينشر ما عرف في الآخرين لتخلص أعمالهم لله، فلا يشرك المخلوق مع الخالق في الأعمال التعبدية: كالدعاء والذبح، والنذر والخشية، والخوف والرجاء، وغير هذا من أنواع العبادات، لأن الله طيب لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبا.

ولذا يرى المتابع لجميع كلماته ونصائحه التي يرسلها للبلدان، ثم في خطبه في مواسم الحج وفي المناسبات، واهتماما بتأصيل هذه الأمور، ووجوب إخلاصها لله سبحانه، لأنها سمات عرفها تعليما في الصغر، ورسخت في عقله من الأبوين تربية وتعويدا، ومكنها المجتمع المتدين تطبيقا، وإنكارا على من يخطئ في العمل والتصرف.. فاختزنت كل ذلك ذاكرته، ليبثها في الآخرين دعوة وتعريفات بحقائق دين الإسلام. ومن التفسير: أدرك ما جاء في كتاب الله سبحانه، وفي المصدر التشريعي الأول في دين الإسلام: من أوامر ونواهي، وما تعنيه شريعة الله، من صفات الداعي إلى دين الله، الحريص على إنقاذ البشرية مما وقعوا فيه من مخالفات لأمر الله، وأمر رسله جميعا.

وما استعصى عليه فهمه من أمور جاءت في كتاب الله نبهه شيخه إلى توضيح ذلك من حديث رسول الله ﷺ الذي أبان فيه عليه الصلاة والسلام لأمته ما أشكل عليهم من دلالة ما جاء في كتاب الله.. فكان الحديث شارحا ومبينا المعنى الذي خفي على بعض

(1) سورة الذاريات الآيتان : 56 - 57 .

الناس.

كما كان الحديث النبوي، الذي درسه عبد العزيز في صباه معينا له، ولكل مسلم على صفاء العلم وحسن الأداء في الأمور العقيدية والتعبدية.

ومن الفقه: عرف كل ما يتعلق بالعبادات والمعاملات، وما يجب أن يدركه كل فرد مسلم في علاقته بربه، مقرونا بالدليل الشرعي، ومبتعدا عن النواهي والمحظورات، ومن ذلك ما فهمه من سر الحث على تعويد الصغار على الصلاة، من السابعة، وضربهم عليها في العاشرة، والتفريق بينهم في المضاجع، من عمق في التربية واهتمام بحسن التوجيه يقول r { مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع [1] } .

هذه السمات التي تنوعت مصادرها عند عبد العزيز ما هي إلا كالحجر عندما يلقى في الماء، فإن الدوائر تتسع وتكبر، والمعارف تزداد مع نمو العقل، وسعة الإدراك، فقد بدأت بالأم المدركة الفاهمة، ثم الأب المجرب المطبق، ثم مع المجتمع المحافظ المتدين، ثم مع معلميه وشيوخه، الذي أسقوه جرعات من العلم الشرعي، المستمد من كتاب الله وسنة رسوله r ثم في مجالس والده ومع الآخرين الذين عصرتهم الأحداث في تتبع لأخبار التاريخ، وحوادث الأيام، وسير آل سعود الذين اهتموا بالدعوة، وجندوا أنفسهم لها مع الإمام محمد بن عبد الوهاب منذ عام 1157، ثم مع العلماء بعده.

يذكر محمد علي رفاعي، عن حرص الإمام عبد الرحمن على صحبة ابنه عبد العزيز في كثير من المواقف عندما كان صغيرا، حيث لم يتجاوز الثانية عشرة، ليكون في هذا تعجيل بإشعاره بما عليه من واجب، وتحميله مهمات الكبار يافعا، وذلك لما رأى عليه من علامات أراحت نفسه، وجعلته يهتم بما يذكي جذوة الخير في ابنه، لأن أهم ما يعتز به الأباء، نجابة أبنائهم، كما روي للشافعي - رحمه الله -:

(1) أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص : جامع الأصول ، 5 : 187 .

نعم الإله على العباد كثيرة وأجلـــــــهن نجابـــــــة الأولاد

فيقول عن ذلك محمد علي رفاعي: وفي جميع هذه الصحبة، كان الإمام عبد الرحمن يغذي في ابنه عبد العزيز، الروح الدينية، ويغرس في قلبه حب التضحية والجهاد، في سبيل إعلاء كلمة الله، ويذكره بالعهد الذي تم بين جده محمد بن سعود، وبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب، من العمل على نشر الدعوة، وتمكين عقيدة السلف في قلوب الناس، والتمسك بكتاب الله، وسنة رسوله r [1].

(1) ينظر كتابه : رجال ومواقف ، ص 16 .

نشأته

تحدث خادم الحرمين الشريفين - الملك فهد بن عبد العزيز - في افتتاح المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز في شهر ربيع الأول عام 1406 هـــ، فكان مما قاله عن والده، في إعادة مجد البلاد، المبني على دعائم الإسلام الخالد، وتطبيق الشريعة الإسلامية في كافة الأمور:

إن الملك عبد العزيز كان يستشعر في مسعاه واجبا دينيا وخلقيا، كان يمثله سلوكه الشخصي، منذ نعومة أظفاره، في طهارته وورعه وتقاه، فقد كان يرحمه الله قوي الصلة بالله U لا ينام من الليل إلا قليله، وكان يقضي أكثره راكعا أو ساجدا، يطلب العون من الله، ويستمد النصر منه سبحانه، في كل أمر من أموره، وكان يؤمن إيمانا مطلقا بأنه لا يتوفر للعقيدة عزة وانتشار وخلود، إلا في ظل كيان آمن مطمئن، يقوم على رعايتها وتبليغها، والدعوة إليها، والدفاع عنها، حيث توضح ذلك إحدى خطبه الجامعة بقوله:

إنني أعمل جهد الطاقة، في سبيل إعلاء كلمة الله، ورفعة هذا الدين، وإحلال عقيدة السلف، وسنة رسول الله r وما جاء عن الخلفاء الراشدين مكانها المناسب، وإنني مسلم أحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين، ويتحد شملهم، ويعلو شأنهم [1].

ومن حرص والدي عبد العزيز على تنشئته النشأة الصالحة، قد اهتما بتربيته التربية الفريدة، في عمقها وأصالتها لأنها مبنية على الإسلام روحا ومعنى، فهي متمثلة في أصالة تعاليم الإسلام، والتعود على تطبيقها.

فسارت هذه التربية في نشأة عبد العزيز، في مسار رصين وبمنهج قويم، لا زيف فيه، ولا اعوجاج، يقول أحمد عبد الغفور عطار عن تربية عبد العزيز في نشأته: جمع عبد العزيز فضيلتين: ورث عن أبيه صفات الرجولة الكاملة، كما ورث عن أبيه وأمه صفات الأناة

(1) انظر : كتاب المصحف والسيف جمع وإعداد محيي الدين القابسي ، الطبعة ، ، لعام 1418 هـــ ، ص 35 .

والروية والأريحية، وبالطبع قد اكتسب صفات البيئة والرحلات، والاحتكاك بمختلف الناس، كما تحدرت إليه صفات بالوراثة: فأمه شاركت أباه - زوجها - الآلام والمصائب، في سبيل الدين ثم الوطن، كانت تقوم بتربية عبد العزيز على الدعوة لدين الإسلام، ولذا فإن طفولة ابن سعود لم تكن عادية، فأدوار حياة البطل العظيم مفعمة بالبطولة والقوة..

فقد كان يتزعم أترابه الأطفال ويأمرهم فيطيعون، حتى إذا بلغ الخامسة من عمره، بعثه أبوه إلى مدرسة الرياض - الكتاتيب - يتلقى علوم الشريعة فيها، ولكنه وجد السير فيها بطيئا متعثرا، ووجد مستوى تفكيره، ودرجة إدراكه، أرفع من مستوى تلاميذها ودرجات إدراكهم، فخرج منها، وأخذ يدرس على العلماء، الفقه والتوحيد، والتفسير والحديث، والتاريخ والآداب، حتى حذق منها شيئا كثيرا، وأصبحت معارفه التي وعاها، وهو في هذه السن تضارع من يتقدمونه من الفتيان، ولو وزن عقله لرجح على عقول الشباب المتعلمين إذ ذاك.

ولا نكران في أن يبذ عبد العزيز أقرانه الأذكياء، ويسبقهم بمراحل طويلة واسعة، لن يستطيعوا أن يحاذوه إلا إذا قطعوها وثبا، وهم لا شك لن يستطيعوا ما دام هو عبقريا، وهم عاديون، أو فوق العاديين بقليل [1].

ولأن والد عبد العزيز، كان شديد الحرص على أن يلازمه ابنه منذ بدأ يعي ما حوله، ليسمع ويتعلم، ويدرك من مجريات الأمور ما ينبغي له فهمه واستيعابه في بدء تنشئته، ليكون لديه أسس تؤصل القيم، وترشد إلى المواقف المهمة في بناء عقول الرجال، فقد كان الشاب عبد العزيز يفتح عقله ليمتلئ بالعلوم النافعة، والمعارف المشرفة التي يأخذها دروسا من مجلس والده الذي يدور فيه ذكر سير وأعمال الحكام العادلين من آل سعود ودورهم في الدعوة لدين الله في الدورين الأول والثاني من أدوار دولتهم.. وما يتخلل الحديث عنهم

(1) انظر كتاب : صقر الجزيرة لأحمد عبد الغفور عطار ، 2 : 22-221 .

من إبراز حماستهم الدعوية وجهودهم في هذا السبيل، مع اهتمامهم بالأمر بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وبعثهم الدعاة والوعاظ، لتوعية الأمية والنصائح بين وقت وآخر للقرى والمدن، وللحاضرة والبادية، في جميع البلاد وخارجها.

فقد كانوا حماة للدين، وقادة في الدعوة، إلى توحيد الله الخالص.. كل هذا جعل عند عبد العزيز قناعة مبكرة، بمكانة الدعوة، وأهمية توسيعها، والحماسة من أجلها، حيث سرى حبها في دمه، وأصبح الاهتمام بها جزءا من أحاسيس نفسه، لما في هذا من نصر لله، وقدوة برسول الله r في تبليغ ما أمره الله بتبليغه في عباد الله، وقد سار على دربه الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام، ومن تبعهم بإحسان، فأقام الله دولة الإسلام، وارتفع ظل دوحتها في الآفاق، وله فيهم أسوة حسنة، فيجدر به القدوة والتأسي، لأن الله سبحانه يقول: { ÇÈ ßB#‰ M}¡ Ï ÇZ? b} [1] .

كما تعهد الله بنصر من ينصر دينه، وعز من يسعى لعز الإسلام، ورفع مكانته، كما قال الله جل وعلا: { ÇÎÈ } [2] ويدافع عنهم سبحانه كيد الأعداء، الصادين لهم عن هذا الطريق، الذي هو سبيل رسول الله r ومن تبعه في المنهج، والنية الصادقة في الدعوة، والإخلاص في العمل، كما قال تعالى: { ßB#ä ûï‰ÇÃ ß‰ãŽc } [3] .

لقد كان الشاب عبد العزيز يعتبر مجلس أبيه، وما يدور فيه من أحاديث ومواعظ، وما يذكر فيه من سير تاريخية للسلف الصالح، وما كان عليه أجداده من اهتمام بالدعوة إلى دين الله الحق، وحرص على التوحيد الصادق، ثم ما تحملوا جميعا هؤلاء وأولئك في هذا السبيل. كل هذا كان يعتبره الشاب عبد العزيز دروسا مهمة، يسمعها بشغف ومحبة،

(1) سورة محمد آية : 7 .
(2) سورة غافر آية : 51 .
(3) سورة الحج آية : 38 .

ليرصدها في ذاكرته كترا يفيده في كل خطوة من خطوات مسيرته.

وكان والده يرمقه بعينه، ويحتويه بقلبه، وهو ساكن يستمع، أو سائل يسترشد فيفرح بذلك ويحرص على أن يزيد ما يلقى عليه من جواب، بما يمكن حب دين الإسلام، والدعوة إليه، في قلب هذا الشاب المتحمس، لعله يمتلئ بذلك الخير، قبل أن تلج فيه الأمور الدنيوية المتعددة مسارها.

ثم يزوده الأب بين الحين والحين، بجرعات من نصائحه، لعلها تساعده في إضاءة الطريق أمامه في مستقبل أيامه: يا بني... ألم تسمع مقالة عمر بن الخطاب t لبعض رجاله القادة: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمتى ابتغينا العز بغيره أذلنا الله. يا عبد العزيز: إن الله يرفع أقواما بهذا الدين، متى تمسكوا به ودعوا إليه، ويضع أقواما آخرين به إذا ابتعدوا عنه، وأهملوا الدعوة إليه، يا بني: إن أجدادك كانوا كغيرهم من أمراء البلدان، ورؤساء العشائر، ولكن الله مكن لهم ورفع شأنهم بالدعوة إلى دين الله، وخمل اسم غيرهم لتقصيرهم في هذا الأمر، فاحرص على الدعوة إلى إعلاء كلمة الله تؤجر في الآخرة، وتعتز في الدنيا.

وقد كانت علائم النجابة والالتزام الصادق، ظاهرة على هذا الشاب، الذي توسم والده وغيره من الوجهاء والعلماء فيه خيرا.

ولقد صدق حدس هؤلاء، إذ عندما كان عبد العزيز مع والده وأسرتهم في الأحساء، بعد خروجهم من الرياض في عام 1309 هـ، كانوا في ضيافة أحد وجهاء وأثرياء الأحساء، بمدينة الهفوف، وبعد الغداء جرى الحديث في أمور عدة، فقال الإمام عبد الرحمن لمضيفه، مشيرا لأولاده الذين كانوا معه: من تتخيل في أولادي هؤلاء الذي يقوم بالأمر؟ فأشار المضيف لأحدهم وقال: هذا فقال الإمام عبد الرحمن: أما أنا فلا أرى لهذا الأمر إلا هذا، وأشار إلى عبد العزيز.. ومال إلى رأيه بعض الحاضرين.

وقد علل رأيه بمواقف عجيبة من ابنه عبد العزيز، لأن الملازمة تبرز معها المخايل وعلامات النجابة فلم يقل الإمام ذلك إلا لأنه كان يرمق أولاده، ويرى بعض تصرفا لهم،

فيفحصها بما آتاه الله من عقل وفطنة، وينقدها بما وهبه الله من بعد نظر، فكان يرى من عبد العزيز مواقف وعلامات، جعلته يحكم بهذا القول لمضيفه، لأنه رأى من عبد العزيز عقلا يفوق سنوات عمره، واستيعابا للأمور الكبيرة مع صغر سنه، علاوة على الدين وكثرة العبادة، مما يضاهي تبتل الشيوخ، مع صفات برزت فيه تنبئ عن هدوء طبع، وحكمة وعقل راجح.

فصدقت بعد ذلك فراسة والده فيه، وهذا أحمد عبد الغفور عطار، يصف طباع عبد العزيز التي جبل عليها يقوله: لم يكن عبد العزيز في شبابه متهورا، بل كان هادئ الطبع، متزنا وقورا، وكان المثل الرفيع للشباب المسلم الصالح، التقي العفيف، لم يترك صلاة الجماعة، بل كان حريصا على أدائها في المسجد، وكان يصوم منذ العاشرة، وكان يظن به البله، لوقاره وهدوئه، وكثرة صمته، فإذا تكلم فالمنطق الخالب، والإيجاز المحكم، والرشد والزكانة، وسعة الذهن، وكبر العقل وصحة التفكير [1].

(1) انظر كتاب : صقر الجزيرة تأليف أحمد عبد الغفور عطار ، 2 : 229 .

صفاته

كثيرة هي تلك الصفات التي يتخلق بها الرجال، والسجايا التي يحرصون على التمسك بها، ومن ثم العمل بموجبها، ولكن من تلك الصفات والسجايا ما هو متكلف يصطنعه الموقف الذي وصل إليه ذلك الرجل، ومنها ما هو طبع في نفسه: خصال أحبها وحافظ عليها، وسجايا نشأ عليها. تعليما وتربية، أو أحبها لأثرها في الآخرين فاعتقدها في قرارة سويداء قلبه، كجزء من العقيدة التي يؤمن بها، فيجد فيها رغبة مكينة في نفسه: مصالح عاجلة يتلذذ بأثرها المريح فيمن حوله، وآجلة يدعو إليها دينه الحق - دين الإسلام خاصة - فيهتم بذلك عن عقيدة، وبدافع وجداني...

فتكون في النوع الثاني: خلقا في صفاته، لا تكلف فيها ولا مراءاة.

والملك عبد العزيز - رحمه الله - الذي عرف بصفات عديدة هي مثال النبل، وحسن مكارم الأخلاق، التي يحبها الله، كما { قال رسول الله r لسفانة بنت حاتم الطائي، لما وقعت في الأسر، وذكرت مكارم والدها لرسول الله r لعله يطلق سراحها، فأجابها صفوة الخلق، ورسول رب العالمين، الذي مدحه ربه بحسن الخلق في قوله تعالى: { 7ŘÎr çÍÈ 5Šàã @æz 4?è9 } [1] قائلا: يا جارية هذه صفات المؤمن، لو كان أبوك إسلاميا لترحمنا عليه، خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق. ثم أسلمت وحسن إسلامها [2] } .

وقد جهزها رسول الله r لتلحق بأخيها عدي بن حاتم في الشام، ودعت أخاها للإسلام لما وجدت من حسن خلق رسول الله r فوفدا على رسول الله r في المدينة، فاسلما وأسلم من جاء معهما من قومهما [3] .

---

(1) سورة القلم آية : 4 .

(2) انظر : كتاب أعلام النساء لعمر رضا كحاله 2 : 197 ، وأسد الغابة لابن الأثير ، 7 : 143 .

(3) تراجع ترجمة عدي بن حاتم في أسد الغابة لابن الأثير ، 4 : 8- 10 .

وصفات عبد العزيز المستمدة من تعاليم الإسلام كانت طباعا راسخة في نفسه يطبقها عملا برغبة وحب في ذلك، لتكون قدوة لمن يحب التأسي بها ودعوة إلى دين الله الحق فيأسر القلوب ويقترب إليه البعيد لأنه يهتم بتمكينها فيمن حوله ولفت النظر إليها إذا رأى تصرفا لا يتفق مع ما يدعو إليه الإسلام في تقويم الأعمال أو فيما يمس العقيدة.

وهذا أسلوب عملي في الدعوة لأن العمل أمكن من القول.. وأمكن الصفات في الرجال ما لازموا التخلق به والدعوة إليه، كما أن أكثرها أثرا في الآخرين ما كان سجية لا تكلف فيها ولا مراءاة. وأقلها نفعا والأسوأ أثرا في الآخرين ما كان يتغير من موقف وموقف ويتنافى مع الدين.

والإسلام لا يدعو إلا إلى الصفات الحميدة وهي من الأمور المحببة للنفوس الأثيرة في كل بيئة؛ هذه الصفات التي تتمكن أكثر عندما تظهر النتائج منها على الفرد والجماعة.

وللصفات التي تمسك بها الرجل المسلم، العظيم في مركزه ومكانته، الموفق في أعماله، كالملك عبد العزيز، الذي أحبه وأعجب به من كان يناوئه بالأمس، أثر كبير لما وجدوا فيه من ثبات على المبدأ وحب للخير وتسامح وكرم نفس وبر وعفو عند المقدرة ودعوة عملية وقولية لدين الله الحق ولا يخشى في ذلك قالة متقول مع حب للمسلمين في كل مكان؛ ورغبة في تآلفهم وتجميع كلمتهم وإزالة ما بينهم من شحناء وتدابر وحكمة في معالجة الأمور.. وغير ذلك من صفات تمكنت من نفس الملك عبد العزيز وطبعت في لحمه بعد سريانها في دمه سريان الغذاء في البدن.

فصارت تلك الصفات التي أعجب بها كل من درس سيرة الملك عبد العزيز: طبعا لا تطبعا وخلقا لا تخلقا، حيث فرضت على أعدائه احترامه قبل أصدقائه؛ وسرت في العامة قبل الكبراء دعوة صادقة لدين الله والحرص على فهمه جيدا لدى الآخرين.

فاستحق الملك عبد العزيز الزعامة لسيطرته على القلوب، بما جبل عليه من طبائع فلا يقترب منه إنسان إلا ويتبدد ما يجد في نفسه عليه من أمور سببها دعايات مغرضة وأقاويل ملفقة بقصد الحط من قدره والتنقيص من دعوته.

فتتبدل الجفوة إلى محبة لأعمال وأقوال عبد العزيز؛ لأنها تمثل نقاوة الإسلام وطهارته وتحفظ الحقوق التي يحرص عليها الإنسان وتربط المخلوق بالخالق: عقيدة في تصحيح المفاهيم وإزالة الدخائل علي الدين، وعبادة في حسن القدوة والمحافظة على شعائر الدين، ودعوة إلى ذلك الخير بالحث والترغيب، وإبانة ما يوصل الإسلام لدى الناس في أعمالهم ومعاملاتهم وحثا بالرفق والملاينة لأن النفوس الصافية ترنو إلى الخير وتتلمس الطرق المؤدية إليه، والمشكلة تتراجع تدريجيا بالإقناع والملاحظة.

وقد لين الإله القلوب له في الجزيرة بذلك. فحصل الوئام والالتفاف حول عبد العزيز بطواعية ومحبة في وحدة وطنية يسيرها الإسلام وتجمع بينها سماحة تعاليمه ونقاوة جوهره؛ كما استجابت أفئدة كثيرة في الخارج متأثرة بمنهج عبد العزيز وصفاته.

تلك الصفات التي استمدها من سيرة رسول الله r ومن أعمال سلف الأمة؛ وتطبعت بها نفسه منذ حداثة سنه وطبقها عملا.. قد حرص عبد العزيز على أن تكون هي منهجه الذي يبينه للناس والطريق الذي يسلكه في تنظيم دولته.. حيث كان أول عمل أبرزه في المحافل الدولية: أن جعل الدستور الذي تسير بموجبه الدولة في كافة شئونها القرآن الكريم، واعتز بذلك عندما أصر على عدم تقديم غيره لهيئة الأمم المتحدة عندما تشكلت.

وهذه السجايا والصفات التي ارتبطت بشخصية عبد العزيز أثرت في الكاتبين عنه حتى بلغ الأمر بالأستاذ فهد المارك أن يقول: آمل أن تكون شمائل الملك عبد العزيز، دستورا عمليا، يسعى إلى الأخذ به وتطبيقه كل رئيس حكومة عربي، وكل رئيس دولة، بل وكل حاكم عربي ومسلم، يستهدف بأخلاقه وسلوكه ومثله توحيد أمة العرب، على النهج الذي وحد به عبد العزيز الجزيرة العربية [1].

وليته قال، وهو الذي درس سيرة عبد العزيز جيدا وخطبه في المناسبات السنوية وأعجب بذلك: وكل زعيم وعالم مسلم يود أن يتحد المسلمون، وتزول الشحناء

(1) انظر : كتاب من شيم الملك عبد العزيز لفهد المارك ، 1 : 20 .

والانقسامات بينهم، لأن صفات عبد العزيز إسلامية، قاعدتها المكينة تعاليم الإسلام.

وعبد العزيز بصفاته وسجاياه يعتبر داعية إلى دين الله، وحريصا على تطبيع الأمة، على منهج التعاليم الإسلامية الصافية، في أمور عديدة، هي من الإسلام مثاليات، تدعو إليها تعاليمه، وحرص هذا على طهارة الفرد والمجتمع... لما في ذلك من مصالح عديدة، وعمله لا تكلف فيه لأنه ينطلق من قناعة وإيمان وخلق من طباعه..

وأبرز الصفات التي عرفت في عبد العزيز ذات العلاقة بدين الإسلام، والوثيقة الصلة بالدعوة لدين الإسلام، والعودة إلى صفاء تعاليمه، هي تلك التي تمسك بها مع كل خطوة خطاها، في توحيد الجزيرة العربية، وتعامل بها مع الخاص والعام، و لم يتخل عنها في أحلك الظروف وتركت آثارا حسنة في الآخرين مهما كانت مواقعهم، يمكن إيراد خمسة عشر عنصرا منها إجمالا هي: -

1- عزة النفس.
2- الوفاء والصلة.
3- العفو والحلم.
4- الكرم.
5- بره بوالديه.
6- حفظ الجوار.
7- صلواته ليلا ونهارا.
8- قراءته وأوراده ودعاؤه.
9- تواضعه وبساطته.
10- محبته للعلم والعلماء.
11- قدوته الصالحة في جميع أعماله.
12- دعوته إلى تطهير العقيدة.
13- بغضه للبدع والمنكرات.

14- حبه لاجتماع كلمة المسلمين.
15- اهتمامه بإقامة شرع الله وتنفيذ الحدود والأحكام الشرعية.

وقد أفاض المتحدثون والمعجبون بسيرة الملك عبد العزيز وأعماله، من مسلمين وغير مسلمين عن صفات عبد العزيز عموما، ولكن المسلمين أكثر اهتماما بالصفات السابقة، لما لها من أثر في جذب الأنظار، ولدورها الذي حصل من اتساع الدعوة السلفية في العالم الإسلامي، نتيجة لذلك، حيث كان - رحمه الله - عندما يتحدث يخرج كلماته من أعماق قلبه، فيلاقي قبولا من قلوب متفتحة، فتتقبل، وعندما يقول فإنه يصدق قوله بالعمل، فكان من أبرز ما لاحظه الحجاج والزوار، بعد دخوله مكة في عام 1343 هـ: الأمن في طريق الحجاج، وزوال جفوة البادية، والاهتمام بالحرمين وإصلاحهما، وتشمير طلب العلم بهما، وإشاعة العلم في البلاد، وعموم الرخاء لأرجاء البلاد، بما في ذلك ما يتعلق براحة الحجاج وغذائهم.

بل اتسع جهده إلى العالم الإسلامي، في المساعدات وبناء المساجد، والدعوة إلى الله، وتعليم أبناء المسلمين، حتى يدركوا صفاء العقيدة، ونقاوة تعاليم الإسلام، وينقلوا ذلك لبلادهم تأثرا، ثم تعليما.

إن التحدث عن كل صفة من الصفات المذكورة، والتي كان عبد العزيز متخلقا بها، ثم اقتران الحديث باستدلالات واقعية، لما أحدثته كل صفة من أثر في استمالة القلوب، والدعوة إلى دين الله، وفتح بعض الأذهان المغلقة إلى جوهر الإسلام، ومكانته في معالجة الأمور وإصلاح العقائد، والمجتمعات، كل هذا يقتضي حيزا أكبر من المتاح بهذه المناسبة، ولكن كما قالت العرب في أمثالها: الأثر يدل على المسير.. ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

سيرته

للدعوة الإسلامية طرق ينتهجها الدعاة المخلصون، منها القولي، ومنها العملي.. ولكل من الطرفين معابر يسير معها، بحسب الداعية ومكانته، وبحسب قدرته على النفاذ إلى قلوب الناس، وتوصيل الدعوة إلى أفئدتهم بل بحسب إخلاصه وصدقه يجعل الله له القبول عند الآخرين. ذلك أن الكلمة إذا صدرت من القلب وقرت في قلوب متلقيه، يقول r { من رأى منكم منكرا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه [1] } .

والملك عبد العزيز قد أخذ بالأمرين: اليد واللسان، وذلك فيما تحت يده، أو تناله ولايته، منذ بدأ مسيرته في توحيد البلاد، والقضاء على التنازع والفرقة، إلى أن تم الاستقرار.

وباللسان والتعلم مع الآخرين خارج ولايته، إبراء للذمة في مسئولية الدعوة إلى الله.

وقد أخذت دائرة الدعوة عنده تتسع، في داخل نفوذه وخارجه، بحسب الوقائع والمناسبات، حيث حرص على إقامة شرع الله، وتعليم الناس أمور دينهم، وبث الدعوة بينهم، وإيقاف الأعمال وقت كل صلاة، ذلك أن سيرة الملك عبد العزيز واهتماماته، تسير وفق ما تشبع به من علوم دينية، حيث يعتبر من طبقة العلماء المدركين لمفهوم الدعوة والعبادة: حرص على التطبيق منذ حداثة سنه، وثبت على المبدأ بعدما شب عن الطوق، فكانت الأمور الدينية عنده جزءا من حياته اليومية، وواجبا يحافظ عليه، في نفسه عملا وفيمن حوله متابعة.

ولذلك عرفت عنه الصرامة في الأمور الدينية، والشدة في أمور العقيدة، والاهتمام بالصلاة التي هي عمود الإسلام بالحث عليها. ومتابعة من يقصر في أدائها حضرا وسفرا، حيث يقول ضمن كلمة توجيهية لموظفي الدولة في عام 1346 هـ: نحن نطلب منكم:

(1) رواد مسلم عن أبي سعيد الخدريجامع الأصول لابن الأثير 1 : 324 .

أولا: إقامة الصلاة في أوقاتها ولا يجوز التخلف عنها.

ثانيا: اجتناب جميع المحرمات، والابتعاد عن مجالسة الأشرار ومجالس السوء [1].

كما حرص بادئ ذي بدء على الاهتمام بالعلم والعلماء، لأن العلماء هم ركيزة الدعوة والوسيلة التي تبين الحق من الباطل وفق دليله الشرعي.

والدعوة التي اهتم بها الملك عبد العزيز، لا تقوم إلا على الأساس الراسخ من كتاب الله وسنة رسوله r فكان يولي العلماء عناية خاصة ويترلهم المكانة المرموقة، التي يستحقها حامل كتاب الله، والمبلغ عن رسول الله r فيستشيرهم، ويطلب رأيهم في المسائل الشرعية، ويعمم نصائحهم وفتاواهم، ويجزل العطاء للطلاب تشجيعا لهم على المواصلة، ويمدهم بتوجيهاته ونصائحه، رغم أن موارده المالية في بداية أمر الدولة ضعيفة، إلى حد شبه عدم التوفر.

- كما كان في اهتمامه بتوطين البادية، وتهيئة الهجر لاستقرارهم، ترغيب منه لهم بالقول والعمل. وحرص على تعليمهم: كبارا وصغارا، إذ كان يرسل لكل هجرة واحدا من طلاب العلم، يختاره العلماء بالرياض. ليكون لهم معلما ومرشدا وإماما ومتوليا شؤونهم الدينية، في تعليم أمور العقيدة، وأمور العبادات وقضايا النكاح والطلاق، وغير ذلك من أمور الدعوة إلى دين الله، وتبصيرهم بما يحتاجون إليه في أمور دينهم وكل ما يعترضهم من قضايا.

- ويحرص في أسلوبه الدعوي، على إرسال القضاة، ليفصلوا بين الناس فيما يعرض عليهم، وإصدار حكم الله في كل قضية تمر بهم، وتأكيده عليهم بإبانة شرع الله، حتى تحصل القناعة مع المعرفة، من قول الله وقول رسوله r وما عرف عن السلف في كل حكم يصدر منهم، وبحصول القناعة لديهم المقرونة بالمعرفة فإنه يتم توقير شرع الله، الذي يصدره القاضي، وأنه لا أصدق ولا أحسن من حكم الله وأمره، وتوعية النفوس بالخضوع

(1) انظر : كتاب المصحف والسيف جمع محي الدين القابسي ، ص53 .

لأمر الله؛ لأنه فوق كل أمر، وبذلك تعظم مكانة القاضي عند المحكوم له، والمحكوم عليه، ويحترم ويستأنس بما يصدر منه، من فتوى أو حكم، وقبول ما يقدمه من نصائح وإرشادات، وتكبر مكانته عند الخاص والعام؛ لأن مكانته من مكانة شرع الله، وتعظيم ما يصدر عنه تعظيما لحكم الله وحدوده التي يجب الوقوف عندها.

وفوق ذلك كان الملك عبد العزيز يتوخى في اختيار القضاة والمرشدين

محبة الدعوة إلى الله والقدرة على العمل، والحكمة في حسن التصرف، وسعة الاطلاع، والمثالية في العمل والسلوك، ومتى بان غير ذلك في أثناء العمل من أحدهم سرعان ما يزيله عن موقعه، وقد لا يسند إليه عملا شرعيا، ولكن ذلك كان نادرا، لمعرفة الجميع بمنهج عبد العزيز وقوته في الحق، إلا أن للنادر حكمه.

فيحرص كل من يتولى عملا لعبد العزيز، على المثالية، والتحلي بالصفات التي يهتم بها عبد العزيز؛ لأنها من صفات الإسلام، وسمات الدعاة إلى دين الله، فيحرص عليها في أعماله، ومع من حوله ممن يعمل بينهم، ويستمد المشورة من الأقدم والأكبر منه في مثل هذا العمل، علما وسنا وتجربة،

- والقضاة لم يكونوا عند عبد العزيز مخصصين لفصل المنازعات فقط، بل هم دعاة لدين الله، كما أنه هو داعية له، حريص على عدم المساس بأطراف الإسلام، أو الإساءة إليه من قريب أو بعيد، لغيرته عليه، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم.

ولو تجرأ عليه شخص في التوسط في حكم شرعي، أو في أمر يمس العقيدة، فإنه تتغير سماحته ورفقه، إلى شدة وغضب؛ لأنه لا يرضى التساهل في شرع الله، ولا الشفاعة في تعطيل حد من حدوده، ولذلك كان يكلف القضاة بتعيين أوقات للدعوة إلى الله في أماكن التجمع والبيع والشراء، والغالب ضحى يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، ولوعظ الناس وتبصيرهم بما يجب عليهم في معاملاتهم وصفاتهم بيعا وشراء، والإجابة عن التساؤلات العديدة التي تطرح.

- كما كانوا يكلفون بتنظيم حلقات لطلاب العلم، كل في موقعه، لاستقبال وتعليم

الراغبين في الأخذ العلمي، ويلتف حولهم كثير من العامة للسماع والاستفادة والتبصر في دين الله، في أوقات الدروس، التي تكون عادة بعد صلاة الفجر حتى الضحى، وبعد العصر أو بين المغرب والعشاء.

- وفي المساجد يقرأون على الناس ما يرد من كبار العلماء، ومن الملك نفسه في كل مناسبة، وبين وقت وآخر، من نصائح وإرشادات، تبصرهم بأمور الدين والعقيدة.. كما يخصصون دروسا في كتب الحديث والتفسير في المساجد بعد صلاة العصر، وبين الأذان والإقامة في صلاة العشاء في رياض الصالحين، وبلوغ المرام، وتفسير ابن كثير وغيرها... كجزء من الدعوة إلى دين الله.

ومن اهتمام الملك عبد العزيز في بداية أمره، أنه عندما أدرك قصورا من بعض الناس في فهم العقيدة التي هي محور العمل، تشاور مع العلماء في الطريقة المناسبة لسرعة توعية الناس بأمور التوحيد الخالص، فحصلت القناعة، بإبلاغ أئمة المساجد والدعاة والمرشدين، الذين بعثهم في أنحاء البلاد، أهمية تحفيظ الناس - وخاصة العامة والشباب - بعض الرسائل الصغيرة، التي تبصر الناس بأمور دينهم، عقيدة وعبادة، مثل الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، والقواعد الأربع له أيضا، والعقيدة الواسطية لابن تيمية، وكشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وآداب المشي إلى الصلاة له أيضا، وغيرها مما هو مختصر ومبسط، مما يكتبه بعض المشايخ المعتبرين..

ويكون هذا في البادية والحاضرة، ومع الفلاحين والرعاة، وحتى البحارة الذين يتكسبون في البحار، يصلون إلى الجميع في أماكنهم.. حيث اهتم الملك عبد العزيز أن يجعل العلم يأتي إليهم، لما وراء ذلك من مصلحة قد لا يدركونها دون أن يجعلهم يسعون وراء العلم.

ثم بعد التوسع في فتح المدارس، عندما كان الشيخ محمد بن مانع مديرا للمعارف، أدخلت بعض هذه الرسائل في المناهج الدراسية في المرحلة الابتدائية، لينشأ الطفل فاهما لأمور دينه، مدركا حقيقة العقيدة الصافية. التي جاء بها محمد r من عند ربه... وأوصى

بتبليغها جيلا بعد جيل.

وقد رغب القادرون على أداء هذه المهمة في المساهمة، فكان نفيرا عاما، في الدعوة والتوعية، لا مثيل له، شمل الجميع على مختلف المستويات. سبق الملك عبد العزيز به الحملات الدولية لمحو الأمية.

- والمتابع لخطب الملك عبد العزيز، وكلماته في مواسم الحج، منذ دخل مكة في عام 1343 هـ، والتي توافرت في جريدة أم القرى مع مناسباتها، يدرك من سيرة الملك عبد العزيز، ما كان يبثه من دعوة للآخرين، مغتنما الفرص والمناسبات التي يرجو من ورائها أثرا في النفوس بالرفق والحكمة، والموعظة الحسنة، ليدعو إلى الله على بصيرة حيث يخاطب العلماء، وكبار الوفود العالمية، كما أنه في مجالسه تنظم دروسا في بعض الكتب في الحديث والتفسير يسمعها كل وافد إليه، ولا يسمح بالتحدث أثناء التصدي للدروس، رغبة في إفادة الحاضرين.

وما ذلك إلا أن سيرته في كافة أعماله، تنطلق من قناعته بواجب الدعوة إلى دين الله، وإبلاغ الآخرين ما أمر الله بنشره من أمور هذا الدين، وإزالة ما يناقض ذلك، مما قد يكون علق بالأذهان امتثالا لقول الله سبحانه: { bqèóê $ôr 7Bö)ïr 7©ö! ¼çRr

ÇíÈ } [1] وقد أورد محيي الدين القابسي في كتابه: " المصحف والسيف " مختارات من كلمات الملك عبد العزيز تنبئ عناوينها عن محتواها: من اهتمام بالدعوة، وحماسة دينية، وحث على التمسك بتعاليمه، وحرص على المواظبة على الصلاة، ومتابعة للمتخلف، وتبيين ما أوجبه الله على عباده من شرائع وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، والتشدد في ذلك، وفي أمور العقيدة بصفة خاصة، ليأخذه عنه الآخرون منهج عمل، وجدية في التطبيق.

ولأن الكتاب - كما يقال - يقرأ من عنوانه، فإن محتوى تلك الكلمات التي اخترنا

(1) سورة الزخرف آية : 44 .

نموذجا منها خمسة عشر عنوانا توضح المحتوى

وهي:

1 - نريد أن نسير إلى الأمام.. كلمة ألقاها الملك عبد العزيز أمام عدد من كبار موظفي الدولة ربيع الأول عام 1346 هـ.

2 - هذه عقيدتنا، كلمة ألقاها أمام رؤساء وفود الحجاج بالقصر الملكي بمكة غرة شهر ذي الحجة 1347 هـ.

3 - نصرنا الله بقوة التوحيد، خطاب وجهه بمناسبة عزمه على السفر من مكة إلى الرياض، يوم 23 محرم سنة 1348 هـ.

4 - فخرنا وعزنا بالإسلام، كلمة ألقاها في أمانة العاصمة بمكة غرة ذي الحجة عام 1348 هـ.

5 - أساس أحكامنا هو الشرع الإسلامي، كلمة ألقاها بمناسبة الجلسة الافتتاحية لمجلس الشورى 7 ربيع الأول سنة 1347 هـ.

6 - في المؤتمر الوطني، خطاب ألقاه في المؤتمر الوطني الذي دعا إليه للنظر في شؤون البلاد 15 محرم عام 1350 هـ.

7 - العلم والعمل، كلمة ألقاها في استقباله لأول دفعة تخرجت في المعهد العلمي السعودي بمكة أول صفر عام 1350 هـ.

8 - لا عز لنا إلا بالإسلام، خطاب ألقاه في الطائف في كبار رجالات الدولة والأعيان 18 محرم سنة 1351 هـ.

9 - أحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، خطاب ألقاه في تكريم كبار رؤساء الحجاج بمكة يوم 5 ذي الحجة سنة 1351 هـ.

10 - أنا قوي بالله تعالى، كلمة له في تكريم الحجاج مكة تعرض فيها لتصفية الخلاف مع إمام اليمن 5 ذي الحجة سنة 1352 هـ.

11 - الاعتصام بالله من صالح النفوس، كلمة ألقاها في حفل كبار الحجاج في شهر

ذي الحجة سنة 1356 هـ.

12 - إننا سلفيون محافظون على ديننا، خطاب ألقاه أمام كبار الحجاج بمنى عام 1365 هـ في 10 ذي الحجة.

13 - أصل المعتقد، كتاب وجهه لعموم الأهالي عام 1337 هـ.

14 - الدين النصيحة، منشور بعثه لأبناء شعبه في عام 1360 هـ.

15 - يجب أن نتمسك بحبل الله، خطاب ألقاه في الحفل التكريمي لكبار الحجاج 10 ذي الحجة عام 1362 هـ [1].

إلى غير ذلك من كلمات ونصائح كلها دعوة إلى دين الله؛ لأن حماية دين الإسلام، والدعوة إليه هي هاجس الملك عبد العزيز، فهو يرى نفسه داعيا، قبل أن يكون ملكا.

وهكذا كانت حياته، كلها دعوة وتوجيه، ونصح وتبليغ، تسير معه أينما سار ويهتم بها في كل لحظة، فهو مثلا:

1 - في الكلمة رقم 2: هذه عقيدتنا يقول: يسموننا بالوهابيين، ويسمون مذهبنا الوهابي، باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة، التي كان يبثها أهل الأغراض، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه السلف الصالح، ونحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي، وأحمد وأبي حنيفة، وكلهم محترمون في نظرنا، فعقيدتنا مبنية على توحيد الله U خالصة من كل شائبة، منزهة من كل بدعة، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها وهي التي تنجينا مما نحن فيه من محن وأوصاب [2].

2 - وفي الكلمة رقم 5: أساس أحكامنا هو الشرع، يقول أمام مجلس الشورى في أول جلسة له: إنكم تعلمون أن أساس أحكامنا ونظمنا هو الشرع الإسلامي، وأنتم في

(1) يراجع في هذا فهرس كتاب : المصحف والسيف لمعرفة مواقع كل كلمة ، ص 335-339 .

(2) انظر : كتاب المصحف والسيف جمع وإعداد محي الدين القابسي ، ص 55 .

تلك الدائرة أحرار في سن كل نظام، وإقرار العمل الذي ترونه موافقا لصالح البلاد، على شرط ألا يكون مخالفا للشريعة الإسلامية، والضرر كل الضرر هو السير على غير الأساس الذي جاء به نبينا محمد r [1].

3 - وفي الكلمة رقم 12: إننا سلفيون محافظون على ديننا، يقول: نحمد الله الذي حفظ علينا ديننا وعروبتنا وقوميتنا، وما ذلك إلا ببركة دعوة محمد r فقد أمننا الله في ديارنا، وحفظها من الأسواء، ووقاها الشرور، وخير ما أنصح به المسلمين أن يتمسكوا بدينهم، ففيه العروة الوثقى التي لا انفصام لها. ثم شرح دلالة لا إلا إلا الله، وما تعنيه عقيدة وعملا [2].

4 - وفي الكلمة رقم 15: يجب أن نتمسك بحبل الله، نراه يشرح أركان الإسلام الخمسة ومكانة الصلاة على النبي r وبقية شرائع الإسلام التعبدية في أسلوب سلس سهل الفهم قريب التناول [3].

وهكذا نرى الدعوة والرغبة في حماية جناب التوحيد، والحرص على تطبيق شريعة الله التي أمر الله بها ودعا إليها رسول الله r جزء من حياة الملك عبد العزيز، تسير معه أينما سار، وتنبع من أعماقه لأنها تأصلت جذورا ومحبة منذ نعومة أظفاره، وكبرت مكانتها مع نمو جسمه، ثم ما هيأه الله له من مكانة رأى لزاما عليه أن يؤدي هذه الرسالة عن عقيدة، وبصدق وإخلاص - رحمه الله - حيث أكد ذلك بقوله: والله إنني لا أحب الملك وأبهته، ولا أبغي إلا مرضاة الله، والدعوة إلى التوحيد [4].

(1) انظر : المصدر السابق ص 65 .
(2) انظر : المصدر السابق ، ص 128 .
(3) انظر : المصدر السابق 121 .
(4) انظر : المصدر السابق ، ص 56 .

وسائل
تأهيل الداعية

إعداد

عبد الله بن حمد الشبانة

وكيل الوزارة المساعد لشؤون المساجد

وسائل تأهيل الداعية

مدخل

الحمد لله الملك الحق المبين إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرضين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد المصطفى الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى من أجل الأعمال بل هي أجلها وأشرفها، لكونها وظيفة أشرف الخلق وهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلقد بعثهم ربهم لدعوة أقوامهم وأممهم إلى الدين الحق ولدلالتهم على الصراط المستقيم الذي يوصلهم إلى رضوان ربهم ونعيمه المقيم، يقول تعالى: { ©Ïs\ø9$# (#qãZtø.$# Ædkptø:$# ÏM»tƒ#uä ×pyJômu‘ Ÿw tbqãZÏB÷sè? «!$# ÏM»oYÏB÷sßJø9$# ÏM»tƒ#uä ×pyJômu‘ Ÿw tbqãZÏB÷sè? «!$# ÏM»oYÏB÷sßJø9$# } [1] (النحل: 36).

ويقول سبحانه: { ÏM»t6Íh‹©Ü9$# ÏM»oYÏB÷sßJø9$# ÏM»tƒ#uä ×pyJômu‘ Ÿw tbqãZÏB÷sè? «!$# ÏM»oYÏB÷sßJø9$# ÏM»tƒ#uä ×pyJômu‘ Ÿw tbqãZÏB÷sè? «!$# } [2] (إبراهيم: 4)،

ويقول سبحانه: { ÏM»t6Íh‹©Ü9$# ÏM»oYÏB÷sßJø9$# ÏM»tƒ#uä ×pyJômu‘ Ÿw tbqãZÏB÷sè? «!$# ÏM»oYÏB÷sßJø9$# ÏM»tƒ#uä ×pyJômu‘ Ÿw tbqãZÏB÷sè? «!$# } [3] (الأنبياء: 25)، فإنه ما من رسول ولا نبي إلا وهو داعية في قومه يدعوهم إلى الحق إخراجا لهم من الباطل إلى الهدى وإنقاذا لهم من الضلال ومن سخط الله وناره وعذابه إلى رضوان الله وجنته ونعيمه المقيم في الآخرة.

ونبينا محمد r هو إمام الدعاة جميعا فقد بعثه ربه لدعوة الناس كافة قومه وغيرهم، وأرسله بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة فختم بنبوته النبوات وبرسالته الرسالات. فكانت رسالته خاتمة شاملة ممتدة بامتداد المكان حيث يوجد إنسان وبامتداد الزمان إلى قيام

---

(1) سورة النحل آية : 36 .

(2) سورة إبراهيم آية : 4 .

(3) سورة الأنبياء آية : 25 .

السباعة، يقول تعالى: { ŵ Ä $Z9$ŽYò2 & £Å»9r #•ƒÉRr #ŽËÈ0 Ä $Y-Ì ÞZ0Y2 ŵvÎ 7»¥ÈÙ™Ö& $Br } (1) { ÇÑÈ šc qß=êƒ (سبأ: 128).

وقد أمره ربه بالدعوة إلى سبيله على بصيرة وعلم من ربه: { ¢ãš& þíŠî™ ¾íÉ»d Ø@è } (2) { ÇÑÈ šú üÏÎî3 ß$`Ï $B& $Br «! $`»s6Ù3r ÓÍè6?$ÇBr $B& ž•Ã/ 4?ã «! $'‹Î (يوسف: 108)، وبتبليغ دين الله المترل إليه من ربه إلى كل أحد: { AÌRé$B õ¥ Ãqß9$$ŠÑ7 * } (3) { Ä $Z9$`Ï š• ßÃè ª! $# ¼çG9$™í MøŠ7 $Jù @èÿ? ÓÉbÎr 7Îc `Ï š• øÎ (المائدة: 67).

ولأن رسالة الإسلام عالمية شاملة ممتدة بامتداد الزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فإن الدعوة إليه ماضية إلى قيام الساعة يقوم بها ورثة الأنبياء من العلماء العاملين والدعاة المخلصين، لمسيس حاجة البشرية إليها لإخراجها من ظلمات الشرك والوثنية والجهالة والخرافة والبدعة والمعصية إلى أنوار التوحيد والعلم والسنة والطاعة والانقياد له رب العالمين وحده لا شريك له.

وعلى امتداد التاريخ الإسلامي نجد عناية الدولة الإسلامية بهذه الدعوة المباركة ورعاية القائمين بها، وإعانتهم على تحقيق هدفهم في دعوة الخلق للحق إلى أن نصل إلى الدولة السعودية الحديثة الفَتِيَّة، التي اصطلح على تسميتها بالدولة السعودية الثالثة، والتي أسسها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود - رحمه الله - وأقام بنيانها على أساس متين من كتاب الله وسنة رسوله r.

فقد أعلن الملك عبد العزيز مؤسس هذا الكيان الشامخ: الدولة السعودية الحديثة، أنه

(1) سورة سبأ آية : 28 .
(2) سورة يوسف آية : 108 .
(3) سورة المائدة آية : 67 .

إنما جاهد ليقيم شريعة الله كما جاءت في كتابه الكريم وسنة رسوله r وتراث السلف الصالح من علماء المسلمين، فكانت تلك هي السمة التي عرفت بها المملكة العربية السعودية منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا.

وانطلاقا من تأسيس هذه المملكة الفتية على هذا النهج القويم، وربطها بين الدين والدنيا في تواؤم تام ليمثل منهجها الوسطية التي هي منهج الإسلام وأبرز خصائصه، فقد اعتنى المؤسس - رحمه الله - بالدعوة إلى الله اهتماما عظيما، فكان رحمه الله يختار من متعلمي المدن القريبة من الهجر والقبائل في البادية من يذهب لتعليم الناس في تلك الهجر أمور دينهم، حيث يبدأون بتعليمهم القرآن الكريم وأركان الإسلام والعبادات ومبادئ القراءة والكتابة.

ولا يقتصر عمل " المطّوع " أو " المرشد "، كما كان يسمى آنذاك، على التعليم بل كان هو واعظ القبيلة وخطيب مسجدها وإمامها في صلواتها، وقد يكون مرجعها الديني في كل شيء وله رأي مسموع في شئونها العامة والخاصة [1].

وسار على منواله في ذلك أبناؤه من بعده، حيث تجسدت عنايتهم بهذه الدعوة في إنشاء المؤسسات التي ترعاها وتنظم شؤونها وتشرف عليها، حيث كان الإشراف على الوعاظ والمرشدين موكولا إلى " دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية " التي أنشئت عام 1374هـ برئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، رحمه الله.

ثم أصبح الإشراف على أمور الدعوة وتنظيم شؤونها موكولا إلى " رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد " التي أنشئت عام 1391 هـ تعديلا للمسمى السابق، وعدل مسماها إلى " الرئاسة العامة لإدارات... " عام 1395 هـ، حيث إن من أهم اختصاصاتها وواجباتها: (نشر الدعوة الإسلامية، والتخطيط لها في إطار ما ثبت عن رسول الله r وأصحابه الكرام وسلف الأمة الإسلامية في داخل المملكة

(1) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز للزركلي ص 172 بتصرف .

وخارجها، وذلك بتوضيح العقيدة الصحيحة وتعاليم الإسلام. وبيان المخالفات الشرعية والأخطاء الشائعة والبدع والمحدثات، وتحذير المسلمين من الفتن والإشاعات التي يدبرها أعداء الإسلام [1].

واستمرت الرئاسة المذكورة مسؤولة عن الدعوة وشؤونها حتى تم إنشاء "وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد" عام 1414 هـ، فانتقل إليها أمر المسؤولية عن الدعوة والعناية بها والاهتمام بكل شؤونها، ولا شك أن تخصيص وزارة مستقلة تكون الدعوة في مقدمة مسؤولياتها دليل أكيد على عناية هذه الدولة المباركة بالدعوة والدعاة واعتبارها الدعوة إلى الله جزءا من مسؤولياتها الكبرى.

(1) مراحل تطوير تنظيم الإدارة الحكومية في المملكة لعبد الله السنيدي ص 211-212 .

المبحث الأول

أهمية تأهيل الداعية

إن عملية تأهيل الداعية وإعداده إعدادا خاصا تأتي من أهمية العمل الذي يقوم به وهو الدعوة إلى الله تعالى وهداية الخلق إلى الحق. ذلك العمل العظيم الذي قلنا إنه أشرف الأعمال وأجلها؛ لأنه عمل الأنبياء والمرسلين، ومهمة تابعيهم من الدعاة والمصلحين. فإن هذا العمل الجليل يقتضي أن يكون القائم به ذا صفات ومواصفات خاصة تؤهله للقيام بهذه المهمة الجسيمة، فيكون مدركا لقيمة ما يدعو إليه، عالما بأساليب الدعوة التي تحقق له هدفه من دعوته، عالما بمدعويه ونفسياتهم، وأفضل الطرق التي توصله إلى قلوبهم.

ولأن الدعوة هي دعوة إلى الله وإلى سبيله، فإنه يلزم أن تكون وفق منهج الله الذي وضعه لرسله وأنبيائه وخاصة خاتمهم نبينا محمد ضدنا، الذي ربى صحابته رضي الله عنهم على أساس من ذلك المنهج وربى الصحابة رضوان الله عليهم تابعيهم ومن جاء بعدهم على ذلك الأساس.

فالداعية الذي يدعو الناس إلى الله عليه أن يلتزم بمنهج الله ورسوله في الدعوة لا بمناهج البشر أيًّا كانوا. وعليه أن يكون ذا وعي وإدراك لمميزات الدين الذي يدعو إليه وفضائله ومحاسنه، وأن ينطلق في دعوته من منطلق القوة والاعتزاز بإيمانه وبدينه ودعوته، وأن يكون قدوة حسنة لمن يدعوهم، فيكون أول العاملين بما يدعو إليه ولا يخالف قوله فعله، فيكون ذلك مانعا من تأثيره فيمن يدعوهم وقبولهم لما يقول. وأهم من ذلك كله أن يخلص عمله في هذا المجال المهم لله وحده سبحانه فلا يبتغي به غير وجه الله عز وجل.

ونتيجة توافر هذه المقومات في الداعية إلى الله أن تلقى دعوته القبول، فتنداح لها قلوب المدعوين، وتنشرح لها صدورهم، فيتحقق بذلك هدفه من الدعوة المتمثل في تعريف الخلق بخالقهم، وإبانة الطريق السوي لهم ليسلكوه إليه سبحانه، ليفوزوا برضاه عنهم وبالحياة الطيبة الآمنة المطمئنة في الدنيا، والثواب الجزيل والعقبى الحسنة في الآخرة.

ومن هنا يكتسب تأهيل الدعاة وإعدادهم، ليكونوا قادرين على تحقيق ذلك، أهميته؛

لأن لا يفيد في هذا الميدان البالغ الأهمية إلا المؤهلون المعدون إعدادا خاصا، أما سواهم فربما كان ضررهم أكثر من نفعهم أو كان نفعهم محدودا على الأقل.

ولكي يكون الداعية قادرا على القيام بهذه المهمة السامية على خير وجه، ومحققا لأهدافه منها، ينبغي أن يعد بشكل خاص يتوافق مع شرف هذه المهمة وعظمها وسمو الهدف المرجو تحقيقه منها.

ذلك أن الداعية يتحمل مسؤولية جسيمة ويقوم بعمل غير عادي، إنه يسهم في نقل المدعوين من حال إلى حال، وتغيير واقع الفرد أو المجتمع الذي يدعوه إلى واقع أحسن منه وأهدى سبيلا، أي أنه يبني في مقابل الهدامين ويصلح في مقابل المفسدين، فهي إذًا مهمة شاقة وعسيرة تحتاج إلى أن يهيأ من يقوم بها ويؤهل تأهيلا خاصا. فيؤهل بالعلم الشرعي المتمثل في معرفة الله U وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله وأنبيائه، ومعرفة ما أخبر الله عنه مما وقع في الماضي أو يقع في المستقبل، ومعرفة ما أمر الله به ورسوله r أو نَهَيَا عنه وهو الشريعة والأحكام.

ويؤهل بتعويده على اتباع الحكمة والتحلي بها، وهي الإصابة في الأقوال والأفعال ووضع الأشياء في موضعه بإحكام وإتقان، فيكون ذا رفق ولين في دعوته، آخذا بالموعظة الحسنة، مجادلا بالتي هي أحسن، مستفيدا من تجاربه وخبراته وتجارب من سبقوه في هذا الميدان وخبراتهم. متحريا للوقت المناسب لدعوته وللأسلوب المناسب لها والطريقة الأجدى في تحقيق ما يرمي إليه منها.

ويؤهل أيضا بتخلقه خلق الحلم وتعويد نفسه عليه، فيضبط نفسه وطبعه عن هيجان غضبه فالغضب ليس من صفات من يدعو إلى الله لأنه ينفر المدعو فيقضي على كل أمل في استماعه للحق أو قبوله له، وصدق الله العظيم إذا يقول { Éú)8Bá‹îî $âù MYäöqr

7ïöm ôB{qÒÿR]w } [1] (آل عمران: 159).

(1) سورة آل عمران آية : 159 .

ويغرس في الداعية خلق الأناة والتثبت من كل ما يرى ويسمع بحيث يكون من ذوي العقل والرزانة والتؤدة، لا من أهل التسرع والطيش والرعونة، ملتزما بأدب القرآن في هذا الشأن، حيث يقول الله جل جلاله: { b& (þßö6Gù *6^Î 7Å$ù Oää!` bÎ (þßB#ä ûï‰ÍS$ÍS»7 } [1] (الحجرات: 6).

{ ÇÏÈ ûüÏ‰»R Oçèù $B 4?ã (qßîÁçù 7#»g¿2 $Bö (qçŠÅê

ومن أهم ما ينبغي تأهيل الداعية به الصبر، ذلك الخلق العظيم الذي امتدحه الله في كتابه وأثنى على المتصفين به. وإذا كان الصبر مهما لكل أحد فهو في حق الداعية أكثر أهمية، وينبغي أن يكون عليه أشد حرصا، وبه أعظم تخلقا لأنه بدونه لا يحقق غرضه ولا يصل إلى النتيجة التي يتوخاها من دعوته. فلا بد للداعية أن يصبر على دعوته، وعلى ما يلقاه في سبيلها من مشقة أو لأواء أو شدة، وأن يصبر في حال إعراض المدعوين أو مصادمتهم لدعوته فذلك شأن أئمة الدعاة من الأنبياء والمرسلين، الذي يقول عنهم ربنا تبارك وتعالى آمرا نبيه محمد r بالاقتداء بهم في ذلك: { `Ï Ò“èø8(qßrÉŽ9 ¹ $J. ŽÉÒ $Ï } [2] (الأحقاف: 125).

{ Ï‰Ç° @É èGó¡ Ÿwr ÈÏ3•9$

ولعل حسن الخلق لا يقل أهمية عن كل ما تقدم مما ينبغي تأهيل الداعية به، فبحسن الخلق يجتذب الداعية مدعويه إليه، ويملك عليهم عقولهم وقلوبهم وتنشرح لدعوته صدورهم، ويحبونه ويأنسون به ويركنون إليه فهو لا يستطيع أن يسعهم بماله ولكنه يستطيع أن يسعهم ببشاشته في وجوههم وتبسمه لهم وحسن خلقه معهم فيلين القول لهم ويحتمل ما قد يصدر منهم ويأخذ بجانب اليسر والسهولة في تعامله معهم [3]. ولكي يكون الداعية مقنعا لمن يدعوهم من جميع الطبقات والمستويات باعتباره فردا من المجتمع

(1) سورة الحجرات آية : 6 .

(2) سورة الأحقاف آية : 35 .

(3) مجلة التوعية الإسلامية العدد (213) ذو الحجة 1417هـ مقال (مقومات الداعية) للشيخ سعيد القحطاني (بتصرف) ص 72-75) .

يعيش في أوساط مختلفة علميا وثقافيا فإنه ينبغي تأهيله بمختلف ألوان الثقافات التي يحتاج إليها في دعوته، والتي تكبره في عيون مدعويه وتفرض عليهم احترامه وتقديره، وتجعل لديهم الاستعداد لسماع ما يقوله لهم.

فيلزم تأهيله بالثقافة القرآنية بحيث يعرف كتاب ربه فهما لمعانيه وإدراكا لمراميه وتأدبا بآدابه والتزاما بالمنهج الرباني للدعوة الذي رسمه القرآن الكريم وبينه أوضح بيان، ثم يحسن الاستدلال بآياته أثناء دعوته فيجمع الآيات المتعلقة بموضوعه ويعمل على تصنيفها بما يلائم غرضه، ويوضح نظرة القرآن إلى الموضوع الذي يتحدث عنه أو يكتب فيه، ويحرص على التأسي بأسلوب القرآن في إيراد القصص في مجال الدعوة والبلاغ، فيعتني في مجال دعوته بهذا الأسلوب الناجع المفيد مركزا على الدروس المستفادة من تلك القصص والعبر المستخلصة منها.

وعلى الداعية في مجال الثقافة القرآنية أن يستعمل في دعوته النماذج القرآنية التي تصور الشخصية الإنسانية في مختلف أحوالها، كنموذج الغني الشاكر في شخصية نبي الله سليمان عليه السلام، ونموذج الحاكم العادل الذي لم تمنعه سعة ملكه عن عبادة ربه ورعاية شعبه في شخصية ذي القرنين، ونموذج المبتلى الصابر في شخصية نبي الله أيوب عليه السلام، وشخصية الشاب المتعفف عن الحرام رغم قدرته عليه وتوافر دواعيه في شخصية نبي الله يوسف عليه السلام، وغير ذلك من النماذج الكثيرة للشخصية الإنسانية في القرآن الكريم.

وعلى الداعية في مجال الثقافة القرآنية اتباع المحكم من آيات التنزيل العزيز، وعدم الخوض في المتشابه منها، وألا يفكك النصوص القرآنية ويجزئها تجزئة تضيع معالمها وتتداخل معانيها فلا يتحقق الغرض من إيرادها والاستدلال بها.

ثم يلزم بعد ذلك تأهيل الداعية بالسنة النبوية فهما للأحاديث النبوية وتمييزا للصحيح منها من غيره وحذرا من وضعها في غير مواضعها ومن الاستدلال بالأحاديث الموضوعة أو الضعيفة الواهية.

ولا بد للداعية مع ذلك من قدر مناسب من الثقافة الفقهية، بحيث يعرف أهم

الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والآداب ويكون قادرا على مراجعة ما زاد عما يعرفه في مظانه من المصادر والمراجع الفقهية المعتبرة، وأن يحرص على ربط الأحكام بأدلتها من الكتاب والسنة، وأن يتزود بالقدر الكافي من علم أصول الفقه ليعرف كيف تستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، ومن الذي يجوز له الاستنباط... إلخ. وليعرف الراجح من المرجوح من الأقوال ليأخذ بالراجح ويعذر الآخذين بالمرجوح أو يقنعهم بالأخذ بما أخذ به، لا بد له من ذلك كله لأنه وهو يقوم بالدعوة في أوساط الناس سيتعرض لأسئلتهم واستفساراتهم واستفتاءاتهم فيحسن أن يكون مستعدا لإفادتهم وشفاء غليلهم.

ومن الثقافة اللازمة للداعية الثقافة التاريخية، بحيث يعرف تاريخ الإسلام والأمة الإسلامية خاصة وتاريخ الإنسانية عامة بقدر الاستطاعة والإمكان، ليتعلم من المواقف الحاسمة منه، ويطلع على الملامح الرئيسة فيها، وليتسع أفقه من خلال دراسته له ومعرفته به ووقوفه عليه باطلاعه على أحوال الأمم وتاريخ الرجال وتقلبات الأيام، ولأن التاريخ أصدق شاهد على ما يدعو إليه الدين من قيم ومفاهيم، ومن خلاله تتجلى سنة الله في الكون والحياة والأحياء فاستخلاص الدروس والعبر من أحداثه هو ما ينبغي أن يدفع الداعية لدراسته، وصدق الله إذا يقول: { ’Ír‡ ¤žÖÄ ‹ÎÃÁ% ’Î šc %. Ø)9 } { É»6Ø$ } [1] (يوسف: 111).

ومن الأهمية بمكان أن يتم تأهيل الداعية في مجال اللغة العربية، فيعد ليكون متحدثا بارعا بلغة سليمة فصيحة خالية من العيوب اللغوية والأخطاء النحوية التي تشوه الكلام وتنفر السامعين، وقد تحيل المعنى المقصود وتغير المراد، وما أشد قبح تلك الأخطاء حين تكون في شيء من الوحيين القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة.

ولا يقل عن ذلك أهمية أن يكون الداعية ملما بقضايا عصره الذي يعيش فيه، عارفا بما يسود فيه من نظم ومذاهب وأفكار وتيارات مختلفة، وما يحركه من عوامل، وما

(1) سورة يوسف آية : 111 .

يصطرع فيه من قوى، لئلا يكون الداعية خارج نطاق عصره بعيدا في تصوراته وأفكاره عن الواقع، وليكون قادرا على التعامل مع هذا الواقع من خلال دعوته إبرازا للحق وإظهارا له وإعلاء لشأنه ودحرا للباطل وتحذيرا للناس منه [1].

والداعية الذي يعد ليعمل في بيئات تختلف عن بيئته المحلية، ينبغي أن يضاف إلى تأهيله بكل ما تقدم تأهيله بمعرفة كل ما يتعلق بالبيئة التي سيعمل فيها، بدءا من لغة من سيدعوهم بحيث يجيدها ليستطيع إيصال ما يريد إيصاله إليهم بلغة فصيحة جيدة سليمة من الخلل والأخطاء، وانتهاء بعادات أولئك وتقاليدهم وأعرافهم وأقصر الطرق إلى قلوبهم وأفضل الأساليب لدعوتهم وجغرافية بلادهم وتاريخها وحاضرها... إلخ.

فكل ما تقدم مما يلزم أن يؤهل به الداعية الذي يراد له أن يكون داعية بحق، داعية ناجحا مؤثرا قادرا على تحقيق النتائج الموجود من الدعوة، وعلى إقناع المدعوين بالإنصات إليه والاستماع لما يقول، ومن ثم الاقتناع بما يقول وبصحة ما يدعوهم إليه لامتلاكه قلوبهم واستحواذه على أسماعهم، لما يتصف به من إمكانات وقدرات، ولما يحسونه من حرارة كلماته وصدق لهجته وظهور إخلاصه وحرصه على نفعهم وإسعادهم، فهو طبيب القلوب الذي يعالج أدواءها وعللها بصدق واقتدار معا.

(1) ثقافة الداعية د . يوسف القرضاوي الصفحات 21 ، 27 ، 28 ، 35 ، 80 ، 102 ، 140 (بتصرف) .

المبحث الثاني

وسائل تحقيق هذا التأهيل

هذا التأهيل المتعدد المناحي للداعية، الذي تحدثنا عنه في الأسطر السابقة، يحتاج تحقيقه على أرض الواقع إلى وسائل عدة يمكن بواسطتها إعداد الفرد القادر على القيام بهذا الواجب العظيم بطريقة تحقق أهدافه، ويوصل بها إلى الغرض منه ويمكن إيجاز تلك الوسائل فيما يلي:

1 - المساجد والدروس والحلقات العلمية فيها، وهو ما يمكن تسميته بالتعليم غير النظامي.

2 - التعليم النظامي من خلال:

أ - المعهد العلمي السعودي بمكة.

ب - مدرسة تحضير البعثات بمكة.

جـ - دار التوحيد بالطائف.

د - كلية الشريعة بمكة.

هـ - المعاهد العلمية والكليات بالرياض.

و - كليات الدعوة المتخصصة ببعض الجامعات.

3 - الممارسة الشخصية للدعوة من قبل الداعية والدورات التدريبية.

4 - الملتقيات الدعوية والدورات التدريبية.

وغير خاف أن وسيلتي التعليم غير النظامي ثم النظامي غير خاصتين بإعداد الداعاة وتأهيلهم فقط، وإنما كانتا لإعداد القوى البشرية العاملة في مختلف أوجه الحياة الأخرى، حيث كانت تلك المؤسسات، سواء كانت مساجد أو مدارس أو كليات أو جامعات، تخرج المدرس والقاضي والمحتسب والموظف الإداري وغير ذلك.

وغير خاف كذلك أن مفهوم الدعوة والداعية كان في الماضي مفهوما عاما وليس تخصصيا، فكان يقوم به القاضي والمدرس والمحتسب وإمام المسجد وغيرهم لترابط المجتمع

واقتصاره على أهله فقط دون سواهم من مقيم أو وافد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ذلك يعود إلى كون التعليم في بداياته. فلما تطور مستوى التعليم في المملكة تبعا لتطورها جملة وأصبح التخصص سمة من سمات هذا العصر لزم تخصيص أشخاص معينين لهذا العمل (الدعوة)، وتخصيص وظائف محدودة لهم، وتخصيص جهات رسمية تنظم عمل هؤلاء الدعاة، وترعى شؤونهم وتكون مسؤولة عنهم، وتخصيص كليات أو أقسام في الجامعات تعنى بتعليم هذا التخصص وتخريج من يعمل فيه وتأهيلهم لهذا العمل الجليل وإعدادهم له خير إعداد.

ونحاول أن نتحدث بشيء من التفصيل عن تلك الوسائل التي أوجزناها في ما سبق على النحو الآتي:

أولا: التعليم غير النظامي (الدروس والحلقات العلمية في المساجد):

يعتبر التعليم من خلال المسجد من أبرز وظائف المسجد وأهم معالم رسالته في المجتمع الإسلامي، وقد كان تاريخ المسجد في الإسلام حافلا بذلك على امتداد الرقعة الإسلامية، ومنذ المسجد الأساس لكل مسجد في الإسلام وهو مسجد النبي r بالمدينة، فلا غرو أن تهتم الدولة السعودية في أطوارها الستة بهذا الجانب اهتماما عظيما وأن تحيي رسالة المسجد التعليمية إحياء يلفت الأنظار، ويبرز عناية هذه الدولة المباركة بالعلم الشرعي وتعليمه وبالدعوة إلى الله في آن واحد. وبما أن الذي يعنينا هنا هو ما يتعلق بالدولة السعودية الثالثة التي أسسها الملك عبد العزيز - رحمه الله -، فإننا سنقصر الحديث في هذا الجانب على اهتمام الملك عبد العزيز - رحمه الله - وأبنائه من بعده بذلك:

" فقد ركزت حركة المصلح الملك عبد العزيز - رحمه الله - على طلب العلم من داخل المسجد بجانب المعاهد والمدارس ومن حينها نمت حلقات علمية كبرى في مساجد المملكة وقراها يتصدرها مشايخ وقضاة أفاضل على جانب كبير من الفقه والخلق الحسن

والحرص على إخلاص العقيدة وتوثيق معلوماتهم ودعوتهم من منهلها " [1] .

وكنموذج لذلك نشير إلى دروس سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في مسجد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف - رحمهما الله - في حي دخنة بالرياض، فقد شغل جل وقته في نشر العلم منذ صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء. وكان يدرس عليه مختلف فئات الطلاب صغارا وكبارا ومتوسطين، وكان يدرسهم مختلف العلوم من النحو والفقه والحديث والتفسير والعقيدة والفرائض.

كما نظم الملك عبد العزيز - رحمه الله - شؤون التدريس في المسجد الحرام، حيث أصدر، عندما دخل مكة سنة 1343 هـ، نظاما جديدا للتدريس في الحرم المكي، ثم أصدر في 15 هـ أمره بتأليف لجنة علمية برئاسة الشيخ عبد الله بن بليهد تتكون من أربعة أعضاء تسمى " الهيئة العلمية "، تقوم بالإشراف على سير الدروس في الحرم المكي، وانتقاء الكتب النافعة، وتعيين الأساتذة المشهود لهم بالكفاية وحسن السيرة والسير على طريقة السلف الصالح.

وقد اهتم هذا الأمر بمضمون التدريس في المسجد الحرام، حيث حدد مواد التدريس وأوقاتها بأن يدرس فقه المذاهب الأربعة والعلوم العربية بكرة وأصيلا، وأن تكون دروس التوحيد والحديث والوعظ بين العشاءين، وأوجب على المدرسين عند تدريس أصول العقائد ومباحث الصفات أن يبينوا مذهب السلف الصالح الذي أجمع عليه أئمة أهل السنة على أنه أسلم المذاهب وأحراها بالقبول، وأن يبينوا أثناء دروسهم البدع التي شوهت سمعة الدين الحنيف وأنواع الخرافات التي أخرت المسلمين وهبطت بهم إلى الحضيض [2] .

واستمرت حركة التدريس في المساجد خلال كافة عهود هذه الدولة مرورا بعهد الملك سعود - رحمه الله -، فالملك فيصل - رحمه الله -، فالملك خالد - رحمه الله - وصولا إلى العهد الحاضر الذي ينعم بقيادة وريادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن

(1) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز للدكتور محمد ناصر الشثري ج1 ص 362 .
(2) المرجع السابق ص 363- 368 (بتصرف) .

عبد العزيز - حفظه الله -، حيث تغص معظم المساجد في كافة أنحاء المملكة بالدروس العلمية المنظمة، التي يتولاها عدد من طلبة العلم والمشايخ والدعاة والقضاة الموثوقين، فيفيدون الناس ويلتف حولهم الراغبون في النهل من هذا المنهل العذب الصافي. وتشرف على تنظيم هذه الدروس وترتيبها مراكز الدعوة والإرشاد المنتشرة في كافة مناطق المملكة، وهي المراكز التي تشرف عليها وتتولى رعايتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

وكنموذج لذلك فإن دروس سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله، المفتي العام للمملكة ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء، تشبه إلى حد كبير دروس شيخه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله -، التي سبق الحديث عنها في شمولها وتنوعها واستيعابها لمعظم فترات الأسبوع، رغم مسؤوليات كليهما والأعباء التي حملاها.

ثانيا: التعليم النظامي من خلال:

أ - المعهد العلمي السعودي بمكة:

تم تأسيس هذا المعهد سنة 1345 هـ بمكة، وأطلق عليه في البداية اسم " المعهد العلمي الإسلامي "، وحددت الدراسة فيه بثلاث سنوات، ولم تبدأ فيه الدراسة فعليا إلا في عام 1347 هـ ويعتبر أقدم مؤسسة تعليمية حكومية في المملكة لما فوق المرحلة الابتدائية، وكان الملك عبد العزيز - رحمه الله - مهتما بهذا المعهد ويتابع تطوره، وقد شارك في اختيار مديره وأساتذته، كما اختار خمسين طالبا من نجد للدراسة فيه، وبلغ من اهتمامه - رحمه الله - به وبطلابه أن التقى بأول دفعة تخرجت منه وخطب فيهم حاثا إياهم على قرن العلم بالعمل وأن يعرفوا قدر ما تعلموه... إلخ.

وتشمل المواد الدراسية في المعهد: القرآن الكريم مع التجويد، والدروس الدينية، والإملاء، والحساب، والقراءة، والمحادثة، والإنشاء، والقواعد، والخطابة، ومسك الدفاتر، وتقويم البلدان، وسنن الأخلاق، واللغة الفرنسية. وبعد نجاح تجربة هذا المعهد تقرر فتح

فرع له في المدينة، وقد استمر المعهد وفرعه في تأدية رسالتهما حتى عام 1381 هـ، حيث حلت محلهما معاهد إعداد المعلمين [1] .

ب - مدرسة تحضير البعثات بمكة:

تم تأسيسها في سنة 1355هـ بمكة، وهي أول مدرسة ثانوية بالمفهوم الحديث، وقد كانت نافذة على العلوم الحديثة حيث فتح المجال لتخصصات جديدة، بعد مرور عشر سنوات على تأسيس " المعهد العلمي السعودي "، لتؤهل الطالب بعد التخرج منها للالتحاق بالكليات المتخصصة النظرية والعملية في الجامعات العربية وخاصة في مصر، وقد دل اتجاه الملك عبد العزيز - رحمه الله - إلى إنشاء هذه المدرسة على سعة أفقه، إذ أدرك بثاقب نظره أن تقدم البلاد ورقيها.

والقيام بواجب الدعوة ونشر الإسلام، يحتاجان كلاهما، بالإضافة إلى العلوم الدينية والشرعية، إلى التعرف على أسباب المدنية والأخذ بالعلوم الحديثة. والمتتبع يلحظ أن من أبرز خصائص هذه المدرسة استشراف المستقبل، والإفادة من العلم الحديث بخطوات محسوبة في ضوء تعاليم الدين الحنيف [2] .

وقد كانت هذه المدرسة من أجدى المعاهد السعودية نفعا في ذلك العهد، حيث وضع لها منهج الدراسة في مصر، وزودت بمعمل للمواد العلمية (الكيمياء والطبيعة) وببعض وسائل الإيضاح العلمية الحديثة. وكانت مدة الدراسة بها أربع سنوات للقسم العام، وخمس سنوات للقسم الخاص، ضمانا لثقة الكليات وما في مستواها في الخارج - ولا سيما في مصر - بخريجيها، انتدب للتدريس فيها عدد من المدرسين المصريين الأكفاء.

وقد تخرج من البعثات التي أوفدت من خريجي هذه المدرسة إلى الجامعات المصرية

(1) المرجع السابق ص 457 ، وكتاب من جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله ص 151 (كلاهما بتصرف) .

(2) المرجعان السابقان (بتصرف) .

ثلاثة وأربعون طالبا فيما بين عامي 1365هـ و 1368 هـ [1].

ورب قائل يقول: وما دخل هذا المعهد وهذه المدرسة في تأهيل الدعاة، ونجيبه بأن فاتح آفاق العلم أمام الطالب المسلم يعتبر إسهاما في تهيئته ليكون عضوا فاعلا في مجتمعه عاملا لخدمة دينه وأمته. وما الدعوة إلى الله إلا جزء من تلك الآلية المطوبة، والعمل المتواصل لخدمة الدين وإعلاء شأنه بنشره وبيانه والدعوة إليه.

جـ - دار التوحيد بالطائف:

أنشئت بالطائف سنة 1364 هـ فكانت نواة لتطوير مؤسسات التعليم الديني، وتخريج الأفواج الأولى من المؤهلين لمتابعة دراستهم العليا في المجال الديني، كما كانت نموذجا للمعاهد العلمية الدينية التي فتحت بعدها بست سنوات عام 1370هـ، واتجاه الملك عبد العزيز - رحمه الله - إلى إنشاء هذه الدار كان يهدف إلى تحقق غاية تعليمية سامية هي فهم الإسلام فهما صحيحا متكاملا، وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها، وتزويد الطلاب بالقيم والتعاليم الإسلامية.

لقد وفق الملك عبد العزيز - رحمه الله - بافتتاحه هذه الدار في تجربة جديدة من تجاربه التعليمية، وكأنما كان يستشرف المستقبل ويرى الطريق الذي ستفتحه دار التوحيد أمام تطور مؤسسات التعليم الديني في المملكة وازدهارها على جميع المراحل والمستويات. وأن تطور هذه المؤسسات التعليمية الدينية ما هو إلا تطوير في الأساليب الدعوية التي كان لها أكبر الأثر في نشر الدعوة السلفية في أنحاء الجزيرة العربية [2].

وقد اهتم الملك عبد العزيز - رحمه الله - بهذه الدار كاهتمامه بالمعهد العلمي السعودي أو أشد، فكان يتابع أخبارها ويشرف عليها إشرافا مباشرا تمثل في ربطها بالقصر، وأمره لسمو الأمير منصور بن عبد العزيز بتلبية كل مطالبها، واختياره للشيخ محمد بهجة البيطار، العالم الأثرى الشامي المعروف، لإدارتها لخبرته في تأسيس المعهد

(1) شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز ج2 ص 638 .

(2) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ج1 ص 459-461 .

العلمي السعودي السابق بمكة وفي التدريس بمدارس دمشق ومعاهدها.

ولقد ارتكزت مقررات دار التوحيد على تقديم منظومة معرفية عن العلوم الدينية بشكل مرتبط بالتخطيط المستقبلي لمصير الطلاب المتخرجين من هذه المؤسسة التعليمية، وبالنظر إلى التطور التاريخي للمواد التي تقدمها الدار يمكن معرفة شدة العلاقة بين تاريخية الدعوة الإصلاحية وقيام دار التوحيد، الأمر الذي جعل فكرة قيامها تحظى بالقبول لارتباطها الوثيق بالخدمة الدينية للدعوة السلفية دولة الوحدة [1].

د - كلية الشريعة بمكة:

أنشئت بمكة سنة 1368هـ كامتداد طبيعي لتأسيس " دار التوحيد "، ومن قبلهما المعهد العلمي السعودي، ليواصل خريجوهما دراستهم العالية للعلوم الشرعية، وهكذا بدأت أول تجربة رائدة للتعليم العالي في المملكة العربية السعودية لتخريج المدرسين في العلوم الدينية والعربية ومناصب القضاء [2].

وبإنشاء هذه الكلية يكتمل عقد المراحل التعليمية في المملكة فهي عهد مؤسسها جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله - فقد افتتحت مدارس ابتدائية في الحجاز، وأسست سنة 1362 هـ مدرسة طيبة الثانوية بالمدينة ومدرسة ثانوية بجدة، إضافة إلى ما سبق بيانه من افتتاح المعهد العلمي السعودي ثم دار التوحيد.

ولم تدخل سنة 1369 هـ إلا وفي نجد والمنطقة الشرقية وحدهما أربع وثمانون مدرسة يدرس بها ما يزيد على ثمانية آلاف طالب [3] وقد كانت هذه الكلية تابعة لوزارة المعارف ثم ضمت إلى جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وفي سنة 1401 هـ أنشئت جامعة أم القرى التي صارت هذه الكلية هي النواة الأولى لها [4].

---

(1) مجلة الدارة العدد الثالث سنة 1416هـ ص 151 ، 178 (بتصرف) .

(2) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ج1 ص 463 (بتصرف) .

(3) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ج1 ص 645 .

(4) الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية ص 97 (بتصرف) .

هـ - المعاهد العلمية والكليات بالرياض:

واستمرارا للحركة التعليمية النشطة التي بدأها الملك عبد العزيز - رحمه الله - عهد إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بافتتاح المعهد العلمي بالرياض والإشراف عليه وكان ذلك عام 1370 هـ، ثم افتتاح كلية الشريعة، ثم كليه اللغة العربية عام 1374هـ وكلتاهما بالرياض.

ثم تتابع افتتاح المعاهد بعد ذلك، فافتتح معهد عنيزة عام 1370 هـ، ومعهد بريدة عام 1373 هـ ومعاهد المجمعة وشقراء وسامطة عام 1374 هـ، وهكذا حتى بلغت حاليا ما يزيد على ستين معهدا، وكانت تتولى الإشراف على هذه المعاهد والكليتين الإدارة العامة للكليات والمعاهد العلمية التي أصبحت فيما بعد " الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية "، ثم تحولت في سنة 1394 هـ إلى " جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية "، التي تضم ما يزيد على عشرين كلية ومعهدا للعلوم الإسلامية والعربية داخل المملكة وخارجها.

وقد نفع الله بهذه المؤسسة التعليمية الشامخة في كلتا مرحلتيها (معاهد وكليات) و (جامعة) نفعا عظيما، فخرجت الدعاة إلى الله القضاة والمدرسين، وسدت فراغا كبير،، وأحدثت نقلة كبيرة في المستوى التعليمي في البلاد.

و - جامعة أم القرى بمكة:

تم إنشاء هذه الجامعة في عام 1401هـ، وسبق أن أشرنا إلى أن كلية الشريعة بمكة التي كانت قد أنشئت عام 1386هـ كانت هي النواة الأولى لها، وتضم حاليا عددا من الكليات والمعاهد المتخصصة التي تعنى في معظمها بالدعوة وتأهيل الدعاة وتزويدهم بالعلوم والمعارف التي تعينهم على القيام بواجب الدعوة وتعدهم للإسهام في هذا الميدان بعلم وبصيرة.

ز - الجامعة الإسلامية بالمدينة:

أسست هذه الجامعة عام 1380 هـ، لخدمة العالم الإسلامي وإمداده بالعلماء والدعاة والمدرسين والأئمة، حيث خصص 85% من نسبة من تقبلهم من الطلاب من خارج المملكة و15% من السعوديين وقد بلغ عدد جنسيات طلاب الجامعة حوالي مائة وستين جنسية، ولقد أرادت حكومة هذه البلاد - وفقها الله - من إنشائها أن تكون منارة إشعاع في مهبط الوحي ودار الهجرة ومأرز الإيمان عاصمة الإسلام الأولى، لإيقاظ همم أبناء العالم الإسلامي الوافدين إليها، وتزويدهم بالعلوم والمعارف التي تنفعهم في دينهم ودنياهم، وإعدادهم ليكونوا دعاة في بلادهم لأقوامهم بألسنتهم بعد السنوات الأربع التي يقضونها في إحدى كليات الجامعة.

وقد آتت هذه الجامعة أكلها الطيب وثمارها اليانعة فتخرج منها الآلاف من أبناء هذه البلاد والبلاد الإسلامية الأخرى، فما من بلد إسلامي إلا وفيه أحد من خريجيها.

ح - كليات الدعوة المتخصصة ببعض الجامعات:

تحتوي بعض الجامعات في المملكة على كليات متخصصة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، حتى إنها لتحمل هذا الاسم ذاته (كلية الدعوة) مضافا إليها (الإعلام)، باعتباره تشمل عددا من الوسائل البالغة الأهمية لاستخدامها في مجال الدعوة (الصحافة، الإذاعة المسموعة، الإذاعة المرئية (التلفاز).

حيث يوجد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كليتان للدعوة والإسلام، إحداهما بمقر الجامعة بالرياض والأخرى بالمدينة، كما يوجد بجامعة أم القرى كلية للدعوة وأصول الدين، وكذلك توجد كلية مماثلة بالجامعة الإسلامية بالمدينة، ولا شك أن هذه الكليات، التي أنشئت خصيصا لتأهيل الدعاة وتخريجهم، أدق في مسألة إعداد الدعاة من الكليات التي تعنى بالتأهيل لتخصصات متعددة تأتي الدعوة إلى الله من ضمنها عرضا لا قصدا ككليات الشريعة وأصول الدين والقرآن الكريم والحديث وعلومه ونحوها.

فهذه الكليات المتخصصة تعنى بتخريج الدعاة فقط، وهي لذلك تركز على تعليمهم

مناهج الدعوة وطرائقها وأساليبها ووسائلها وتارخيها، وسير أبرز الدعاة إلى الله بدءا بالرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثم كبار الدعاة والمصلحين بعدهم على امتداد تاريخ الإسلام. وهي بذلك تعد من يتخرج منها ليكون داعية متمكنا قادرا على خوض غمار هذا الميدان البالغ الأهمية، متسلحا بالعلوم والخبرات التي تمكنه من النجاح في مهمته وتحقيق هدفه منها، وهو بيان أحكام الإسلام وتعاليمه عقيدة وشريعة وأخلاقا وآدابا وإيضاحها لمن خفيت عليه، وتذكير من نسيها أو غفل عنها بها، ونشرها في الآفاق بوعي وحكمة وبصيرة.

كما أن تلك الكليات المعنية بالدعوة وإعداد الدعاة تسهم في خدمة هذا الميدان الهام بالبحوث والدراسات التي تتطلبها مسيرة الدعوة ويقتضيها تطورها وازدهارها.

المبحث الثالث

ممارسة الداعية للدعوة

وهذا من أهم عناصر تأهيل الداعية لهذا العمل المهم، فليس كالممارسة الشخصية في مجال التأهيل لأي عمل من الأعمال، فضلا عن هذا العمل الذي يكتنفه الكثير من الحساسية، ويحتاج إلى المزيد من الصبر والتحمل والتضحية وبذل الوقت والجهد وربما المال أيضا، تحبيبا للناس فيما يدعوهم إليه وفتحا لمغاليق قلوبهم وتألفا لهم.

فهذه الممارسة المباشرة تكسب الداعية خبرة حية يعيش أحداثها ويرى آثارها ويتعامل بموجبها في كل خطوة من خطوات دعوته، وكلما ازدادت خبراته به وإدراكه لخفاياه فيصبح نتيجة هذه الخبرات المتراكمة أكثر حنكة في دعوته وأقدر على التفاعل معها والارتياح لها والبذل في سبيلها برضى وطمأنينة نفس وراحة بال، وسيجد من خلال هذه الممارسة اليومية ما لم يجده في بطون الكتب أو على ألسنة المدرسين والأساتذة في فصول الدراسة ومدرجات الكليات.

وإذا كان حب أي عمل شرطا للنجاح فيه فإن ذلك يظهر أوضح ما يكون في عمل الدعوة، فإنه لن ينجح فيه إلا من أحبه واعتبره واجبا ومسؤولية دينية بالدرجة الأولى ورسالة لا وظيفة محددة فقط، وذلك لما يكتنف هذا العمل من مشقة، وما يصاحب أداءه من عقبات لتعلقه بالتعامل مع الناس تعاملا مباشرا والتعامل المباشر مع الناس بمختلف مستوياتهم وطبقاتهم لا يخلو من أذى في الغالب الأعم، ولذلك نجد الرسول r يدعو إلى التعامل مع الناس ومخالطتهم والصبر على أذاهم في الوقت نفسه في قوله عليه الصلاة والسلام: { المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم [1] } .

(1) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ح (939) ص 652 الطبعة الثانية (المكتب الإسلامي) .

المبحث الرابع

الملتقيات الدعوية والدورات التدريبية

وهذا أيضا إحدى وسائل تأهيل الدعاة وإعدادهم إعدادا جيدا للقيام بعملهم على خير وجه. وهو في المملكة عمل قائم متواصل تقوم به الجهات المسؤولة عن الدعوة والدعاة كوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ورابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، أو الجهات المهتمة بالدعوة والدعاة؛ كالجامعات وبعض الهيئات والمؤسسات الخيرية الأخرى.

فهذه الملتقيات الدعوية فرصة لتلاقي الدعاة وتدارس شؤون الدعوة وشجونها، وإعداد البحوث عنها واستعراضها وكل ذلك يزيد حصيلة الداعية ويعمق فهمه لعمله الذي تصدى له.

كما أن التدريب المستمر للدعاة عن طريق إقامة الدورات التدريبية لهم، تلك التي يحاضر فيها عليهم من سبقهم في هذا الميدان من أصحاب الخبرة والتجربة وأهل العلم. هذا التدريب شديد الأهمية واضح الأثر في ارتفاع مستوى أداء الدعاة الذين يتاح لهم، لعملهم وإفادتهم من هذا التدريب في شحذ هممهم وتطوير ملكاتهم وتقوية عزائمهم للاستمرار في السير في طريق الدعوة بكل صبر وثقة وتفان.

وكثيرة هي الملتقيات والدوريات التي عقدتها تلك الجهات المسؤولة عن الدعوة أو المهتمة بها في الداخل والخارج في مختلف أنحاء العالم مما لا يتسع هذا البحث المختصر لتناوله.

وإضافة إلى هذه الوسائل لتأهيل الداعية فإن هناك وسيلة لا تقل أهمية عنها هي: " الإعلام " بقنواته الثلاث؛ المقروءة، والمسموعة، والمرئية.

فعن طريق الصحافة صحفا ومجلات يمكن الاعتناء بتطوير الدعاة وترقية ملكاتهم والعمل على إعدادهم إعداد جيدا لممارسة الدعوة بواسطة تخصيص صحف أو مجلات مستقلة لذلك، أو عن طريق إسهام الصحف والمجلات بصفحات معينة لهذا الغرض،

والشيء نفسه يقال بالنسبة للقناتين الأخريين (الإذاعة، والتلفاز) فإنه يمكن الإفادة منهما فائدة قصوى في هذا المضمار، وتخصيص برامج محددة في كليهما تهتم بالدعوة والدعاة منهجا وأسلوبا وأداء، برامج يشترك فيها المتخصصون من أصحاب الخبرة والتجربة في ميدان الدعوة من العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات وقدامى الدعاة لصب خبراتهم وعلومهم وتجاربهم في قالب مشوق جذاب يغري الدعاة بمتابعته ويحضهم حضا على الإفادة منه.

خاتمة

وهكذا رأينا أن الدعوة إلى الله تعالى كانت ولا تزال هاجسا في شعور ولاة أمر هذه البلاد، يعيشونها قضية ارتبطت في أذهانهم. بمسؤولياتهم الأخرى عن الدولة والشعب والأمة، وأن ذلك لم يكن بدعا فهو شيء يتوارثه الخلف منهم عن السلف في تواصل حميم يقوم على الاعتزاز بالإسلام والشعور بالمسؤولية عن نشره والدعوة إليه.

كان ذلك شيئا ورثه الملك عبد العزيز - رحمه الله - من آبائه وأجداده؛ فهو شيء مؤسس ارتبط بالدولة وأصبح جزءا من مقوماتها الأساسية، وورَّثه لأبنائه من بعده حتى نصل إلى عهد خادم الحرمين الشريفين - أيده الله، الذي ترجم ذلك الاهتمام بالدعوة إلى الله بإنشاء وزارة مستقلة ترعاها وتنظم شؤونها وتشرف عليها.

ورأينا كذلك أن لتأهيل الدعاة وإعدادهم وسائل عديدة استعرضنا بعضا منها، وهي وسائل كان معمولا بها خلال تاريخ الدولة السعودية الحديثة (الثالثة) التي أسسها ووحد أجزاءها جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله - إلا أن الإفادة من تلك الوسائل كانت متفاوتة نوعا وقلة وكثرة بحسب الظروف والأحوال مكانا وزمانا، وبحسب الإمكانات قوة أو ضعفا.

أريد أن أقول: إن الأخذ بتلك الوسائل والإفادة منها كان يتطور بتطور الدولة وأجهزتها ومؤسساتها وإمكاناتها، فكلما تطورت تلك الأجهزة والمؤسسات تطور استخدام تلك الوسائل. وفي عصرنا الحاضر بلغ تطور الدولة مبلغا عظيما، ولله الحمد، مما ييسر الإفادة من جميع تلك الوسائل تعليما وإعلاما وتدريبا وممارسة.

والله وحده ولي التوفيق.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مراجع البحث

1 - الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الطبعة الثانية، 1399 هـ، المكتب الإسلامي.

2 - خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، الطبعة الرابعة، 1984، دار العلم للملايين.

3 - خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، الطبعة الثالثة، 1985 م.

4 - د. صالح بن غانم السدلان، الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1417 هـ.

5 - عبد الله بن راشد السنيدي، مراحل تطور تنظيم الإدارة الحكومية، الطبعة الأولى، 1409 هـ.

6 - د. محمد بن ناصر الشثري، الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، الطبعة الأولى،

7 - د. يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، الطبعة الثانية، 1399 هـ.

8 - مجلة التوعية الإسلامية، العدد (213)، ذو الحجة 1417هـ.

9 - من جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقام والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى 1419 هـ.

10 - مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة (21)، ربيع آخر وجماديان 1416 هـ.

الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة

معالي الدكتور: علي بن إبراهيم الحمد النملة

وزير العمل والشئون الاجتماعية

الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله تعالى أوجب على أمة محمد ﷺ أن تحمل الإسلام، وتبلغه إلى الأمم الأخرى، فتقيم عليها الحجة. وتأتي هذه الدعوة مطلقة، أي غير مقيدة بزمان ومكان، وإن كانت مقيدة من حيث الأسلوب الذي يقتضي الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، من مقتضى قول الله تعالى: { þZ¡ tø$þàäqJø# þJ3tø$ 7ĥ‘ è@‹î™ 4‹î ä$$ Ð-ã& qèr ¾ï#‹î™ `ã @Ê `Jî Ð-ã& qè 7/‘ bî ß¡ô& ‘ï ÓÉ$ Oßg‰_r Ç¨ÎÈ ûïï‰Gßg }[1].

وعدم تحديد الدعوة إلى الله زمانا ومكانا يقتضي أن تنطلق الدعوة بموجب متطلبات العصر الذي تنطلق فيه، والتركيز هنا ينصب على الوسائل التي تستخدم للتبليغ، والوسائل تتجدد وتتطور وتتغير، بحسب التطورات العلمية والثقافية (التقنية) التي تنطلق بسرعة عجيبة تستلزم المتابعة الدقيقة إذا ما أريد للدعوة أن تؤثر في الناس، وتتماشى مع مستوياتهم التفكيرية التي تمليها عليهم ظروفهم التكوينية في التنشئة والتربية والتعليم.

وينظر إلى هذه الوسائل على أنها ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر. وهي نوعان: وسائل تتعلق باتخاذ الأسباب لتهيئة المجال الجيد المساعد لتبليغ الدعوة إلى الله، ونسميها بالوسائل الخارجية للدعوة، ووسائل تتعلق بمهمة تبليغ الدعوة بصورة مباشرة، ونسميها وسائل تبليغ الدعوة [2] وهي ما يمكن أن يقال عنها إنها تبليغ

---

(1) سورة النحل آية : 125 .

(2) عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، (بغداد) ، مكتبة المنار الإسلامي ، 1401هـ ، 1981 م ، ص 429 .

بالقول، مما يعني أن هناك تبليغا بالفعل كذلك [1].

وعلى أي حال فإن الوسيلة تعالج الكيفية التي تنقل بها الدعوة إلى الآخرين من المسلمين وغير المسلمين. وهذا أمر واسع قابل للتنظير من معظم المهتمين في مجال الدعوة، وهم كثر [2].

ولو تفرغ أحد الباحثين في مجالات الدعوة لحصر وسائلها المعاصرة لخرج بعدد طيب من الوسائل التي بثها من أسهموا في الكتابة عن الدعوة إلى الله. فلا يكاد كتاب أو مقالة تتحدث عن الدعوة في الوقت الراهن تغفل الحديث عن وسيلة أو أكثر من وسائل الدعوة، إما مباشرة أو بطريق غير مباشر. ولذا فإنه من المتعذر حصرها هنا، إلا أن نقول: إن الحديث عنها قد تنوع بحسب الكاتب لها من اعتبار الوسائل المادية إلى اعتبار الوسائل المعنوية المتعلقة بالداعية نفسه، مما يدخل في مقاومات الداعية أو مؤهلاته. أو يدخل في البيئة نفسها [3].

والتكوين في التنشئة والتربية والتعليم كما يختلف زمانا، يختلف كذلك مكانا. وباختلافها في الزمان والمكان تختلف مع هذا الاختلاف الوسائل. ذلك أن مستوى الإدراك والتقبل للدعوة يختلف بهذا الاختلاف، فإن مجتمعات قائمة الآن هي أكثر تقبلا للدعوة من مجتمعات أخرى. وبالتالي فإن هناك مجتمعات يصعب الولوج إليها، ليس لانغلاقها ومحاربتها للدعوة، مما يدخل في المؤثرات الخارجية، وإنما لأن تنشئة ذلك المجتمع بنيت على عدم تقبل أي مؤثرات خارجية عليها.

---

(1) سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، د . م . : د . ن ، 1412هـ م ، ص 126- 130 .

(2) فتحي يكن ، كيف ندعو إلى الإسلام ، ط3 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1977 م 1397 هـ ، ص 168 .

(3) حامد أحمد الرفاعي ، الإسلام والنظام العالمي الجديد ، مكة المكرمة ، رابطة العالم الإسلامي ، 1415ص ، ص 89-93 . (سلسلة دعوة الحق؛ 146) . حيث يذكر المؤلف ستا وعشرين وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية ، جمعت بين الوسائل المادية والمعنوية ، بما في ذلك البيئة .

ويكاد هذا الزعم ينطبق على المجتمعات المسلمة نفسها، التي تخضع لمفهوم الاختلاف في التنشئة والتربية والتعليم بحسب البيئة التي ينشأ فيها الناشئ. فالمجتمع الذي قام في تنشئته لأبنائه واضعا اعتبارا للدين في المترل والمدرسة والشارع أكثر قبولا للدعوة من مجتمع مسلم لم يوفق إلى ذلك، بسبب من مؤثرات خارجية زالت حسا، ولكن أثرها باق في النفوس، مثل مؤثر الاحتلال " الاستعمار" الذي سعى منذ زمن إلى تغريب بعض المجتمعات المسلمة، وسعى كذلك إلى العمل على رفض كل ما له علاقة بالدين من قريب أو بعيد، ولا سيما ما له علاقة بنشر الإسلام بمفهومه الصحيح، القائم على العقيدة الصحيحة والسلوك الإسلامي السليم في العبادات والمعاملات. ولذا فإن هذه المجتمعات التي تعرضت لهذا التيار تحتاج إلى جهد كبير ومتأن وصبور في مجال الدعوة.

فإذا كان هذا يصدق على بعض المجتمعات المسلمة، فإنه يصدق بصورة أقوى وأدق في المجتمعات غير المسلمة التي يراد لها أن تتعرف على الإسلام. ولذا فإنه من الممكن القول: إنه مع اتفاق المكان والزمان فإن المستهدفين من الدعوة يختلفون بحسب التنشئة والتربية والتعليم، ويتبع هذا القرب من الإسلام والبعد عنه. ولهذا مظاهر متعددة، ذكر عبد الله بن حمد الشبانة في كتاب المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية سبعة عشر عاملا منها، ركزت معظمها على المنهج الدراسي على مستوى التعليم العام والتعليم العالي، بما في ذلك العلوم الإسلامية واللغة العربية والعلوم التطبيقية [1].

ومن المهم، عند النظر إلى المجتمعات المسلمة بهدف الدعوة، أن يكون هناك اعتبار لهذا البعد الموجود، بحيث يمكن أن يقال إن الأولويات في مجال الدعوة، أيضا، تختلف من مجتمع إلى آخر داخل المجتمعات المسلمة نفسها؛ فالمجتمع المسلم الذي يعاني من خلل في العقيدة تكون أولوية الدعوة فيه تصحيح العقيدة، وتنقيتها من الشوائب التي ألحقت بها بفعل مؤثرات داخلية أو خارجية على هذا المجتمع ولا يهم كيف يمارس هذا المجتمع جانب

(1) عبد الله بن حمد الشبانة ، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية ، الرياض ، دار طيبة ، 1409هـ ، ص 63-72 .

العبادات في الأمور الفرعية التي تخضع لاجتهادات علماء الأمة، بقدر ما يهم أن تصلح عقيدته وهذا يكون القياس، فإن مجتمعا لا يعاني من خلل في عقيدته لا يركز فيه على التصحيح في الوقت الذي تظهر على ممارساته في العبادات والمعاملات تجاوزات قد تخل في قبول هذه الممارسات.

وأعلم أن هذا الإطلاق لن يكون مقبولا على علاته، إذ إنه لا يخلو من الرغبة في التفصيل الذي يزيد الأمر توضيحا. ولست أنبري هنا لأنظر آتيا بما لم تستطعه الأوائل. وإنما هي أفكار تقدم بهذه المناسبة، فتلقى القبول ويؤخذ بها إن وافقت الحق، وتترك وترد إن جانبت الصواب.

على أنه من المهم جدا النظر إلى أن موضوع الدعوة موضوع واسع، ودخل فيه جمع كبير من المهتمين على اختلاف دوافعهم، بل وتوجهاتهم الفكرية الظاهرة على إسهاماتهم الفكرية. ومن هنا فإنه ينبغي التأكيد على أنه ليس كل من كتب في هذا المجال جاء بالمسلمات التي تقتضي بالقبول المطلق.

بل إن هناك إسهامات فكرية تشطح في التعميم، وتغفل الجوانب الحسنة في المجتمعات المسلمة، وتصمها بالتخلف السياسي والعلمي والثقافي والفكري، على شكل من أشكال اليأس الذي لا يتفق مع منهجنا العقدي في إرجاع كل ما يدور في هذا العالم من مشكلات إلى إرادة الله تعالى، وينبع من مقتضى حكمته التي تستدعي القبول بقضاء الله وقدره، مع عدم إغفال اتخاذ الأسباب والوسائل المشروعة في التغيير.

هذا مع احتمال إقحام الهوى في بعض هذه الإسهامات، بحيث نراها تروج لمفهوماتها هي للدعوة من منطلق تنظيري أملاه أحد المتحمسين، فالتقطه متحمسون آخرون، وأضافوا عليه، وحذفوا منه، وعدلوا فيه، كل ذلك بدافع تغليب الهوى والميل الذاتي لهذا الداعية أو ذاك. مطبقين في ذلك ما عانوه في بيئتهم هم، وفي زمانهم، وكذا المكان الذي نشأوا فيه فأخذ هذا عنهم، وأريد له التعميم المطلق الذي نظر نظرة تشاؤمية لكل المجتمعات المسلمة دون استثناء. وأخشى أن يكون هذا كله على حساب التوجه الصحيح

للدعوة إلى الله [1].

(1) محمد عبد القادر هنادي ، نحو دعوة إسلامية رشيدة : قبسات من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح في سبيل دعوة إسلامية رشيدة ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، 1416هـ 1995 م ، ص ه 17- 179 .

الاتصالات

ومن مقتضيات الزمان اختلاف الوسائل في مجال الدعوة، والسعي إلى مواكبة الزمان بتطوراته الفكرية والثقافية. وبالنظر إلى زماننا هذا نلاحظ أنه يشهد تطورات سريعة جدا في مجالات الاتصال ونقل المعلومات، بحيث يتكرر القول بأن العالم أضحى قرية صغيرة واحدة، كما يتكرر القول بأن العالم اليوم يتجه إلى تبني أسلوب موحد في مواجهة الحياة بشتى مقوماتها السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية، مما يطلق عليه الآن بعصر العولمة، التي تسعى إلى فرض أفكار الغالب على المغلوب، وبالتالي فرض أنماطه السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية بحيث تفرض على المجتمعات الأخرى ذات المقومات، التي تجمع بين المادة والروح، النظرة المادية التي جعلت من الدنيا نفسها غاية لا وسيلة، وعليه فإننا لا نسلم بهذا التوجه، الجديد في المصطلح، القديم في المضمون [1].

ويستخدم توجه العولمة الوسائل الحديث في تقنية المعلومات والاتصالات من القنوات الفضائية إلى شبكة المعلومات العالمية، التي تعارف الناس عليها بمصطلحها الأجنبي " الإنترنت " وأضحى كثير من الناس يردد هذا المصطلح دون أن يدرك أبعاده ومدى ما يقدمه هذا النظام من معلومات، وبالتالي من تأثير، ومدى القدرة على الدخول على الشبكة، والإسهام فيها بالمعلومة الصادقة، واستغلالها الاستغلال الأمثل في مجال الدعوة. وأحسب أن كثيرا من الذين يرددون هذا المصطلح لم يجلسوا أمام مقوماته الثقافية كالحاسوب، ولم يتمكنوا بالتالي من الدخول إلى موقع من مواقعه، بل إنهم لا يحسنون التعامل مع الآلة، وهي وعاء معلومات، ليحسنوا التعامل مع ما تحمله وتنقله من معلومات.

ولن تتعرض هذه الوقفة إلى دورة تدريبية في استخدامات هذه الشبكة العالمية، فإن الاستخدام اليوم أضحى مطلبا تربويا يتقنه تلاميذ المرحلة الابتدائية الذين نشأوا وتربوا

(1) فهد العرابي الحارثي ، موقعنا في الكونية الإعلامية الجديدة : العولمة والفضائيات العربية ، محاضرة ألقيت بمكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض ، 17 /8 /149هـ الموافق 6م ص 66 .

وتعلموا على الحاسوبات التي بدأت ألعابا إلكترونية، ثم تطورت إلى قدرة الفتى على الدخول على شبكات المعلومات الدولية والتعامل معها بكل اقتدار، بز فيه الكبار، ولعب بأعصاب المبتكرين. وتستمر الصحافة السيارة في إيراد الأخبار الطريفة التي تبين مدى سيطرة الصغار على ما صنعه الكبار. ولا يعني هذا الاستخفاف بقدرات الكبار.

ولست أذهب إلى الاندفاع وراء هذه النظرات السريعة إلى التقانة، ولكني لا أغفل قدراتها على اختصار الزمان والمكان، وما لها من ميزات لا تنكر في سرعة نقل المعلومات والتصرف بها، والاتصال بالمواقع الأخرى والتحاور معها، وتصحيح ما أوردته من مآخذ وأخطاء، مما يعد ثورة في نقل المعلومة، وما يدخل في مصطلح النشر الإلكتروني.

وقد بين مساعد بن إبراهيم الحديثي ميزات هذه الشبكة المعلوماتية، وأكد على ضرورة استخدامها وسيلة حديثة من وسائل الدعـــوة إلى الله تعالى، إذ ربما يصـــل مستخدموهـــا إلى مليـــار (1000000000) مستفيد في غضون الأشهر القليلة القادمة، أي قبل نهاية العام الميلادي الحالي (1999 م)، ودخول العالم في الألف الميلادي الثالث، الذي يشهد الآن استعدادات غير عادية، وكأن العالم مع حلول عام ألفين (2000) سيتحول إلى عالم آخر في تفكيره وإمكاناته المادية [1].

ولست أغفل هنا ما وصلت إليه هذه الوسائل من التعقيد. وفي هذا يقول عبد القادر طاش: ولقد تعقدت في عصرنا الراهن وسائل وأساليب الاتصال، وتنوعت فنون الإبلاغ والإقناع، فأصبح من الضروري أن تتوافق برامج إعداد الدعاة وتأهيل طلبة العلوم الشرعية مع هذا التعقد والتنوع في أساليب الاتصال وفنون الإبلاغ، حتى يكون هؤلاء الدعاة وطلاب العلم قادرين على إيصال الرسالة والعلم بأساليب مقنعة وطرق جذابة ووسائل

(1) مساعد بن إبراهيم الحديثي ، الإفادة من شبكة الإنترنت في الدعوة إلى الله دراسات إسلامية ، مج 1 ع 2 ، 1418هـ ص 209- 221 . وأصل هذا البحث ورقة عمل قدمت إلى المؤتمر السنوي للحاسب الآلي المنعقد بجامعة الملك فهد -173- للبترول والمعادن في الفترة من 17-1418ص .

مناسبة [1] .

وهذا يعني السعي إلى تأهيل الدعاة علميا وتدريبيا للتعامل مع التقانة الحديثة في التعامل مع المعلومة، من حيث الوصول إليها، واستخدامها في الدعوة. وقد ظهر من الدعاة اليوم من وفقهم الله إلى التنبه لهذا، فتراهم يحضرون حاسباتهم الشخصية في الأماكن التي يتولون الدعوة فيها كالمساجد وقاعات المحاضرات، ويرجعون إليها مباشرة، بل ويستخدمون الوسائل الإيضاحية الحديثة التي تربط بهذه الحاسبات، كالشرائح والشفافيات والبيانات والنصوص التي تعرض مكبرة على شاشات واضحة مرئية.

وينتظر من الجهات التي تعنى بالدعوة من مؤسسات دعوية ومعاهد عليا تخرج الدعاة أن تولي هذا الجانب اهتماما بالغا لا يكاد عندي يقل عن التأهيل العلمي للداعية، ذلك أن داعية دون وسيلة غير مؤثر، كما أن داعية دون علم غير مؤثر، بل ربما كان ضررهما أكثر من نفعهما.

ويمكن أن يتم التأهيل لاستخدام الوسائل الحديثة في الدعوة بالدورات التدريبية التي هي الآن النمط المسيطر في التغلب على صعوبة التعامل مع هذه الوسائل في نقل المعلومات وتهيئتها للإفادة. ويتم هذا عن طريق معاهد التدريب المنتشرة، أو عن طريق مراكز خدمة المجتمع والتعليم المستمر بالجامعات. هذا مع الأخذ في الاعتبار جانب التعلم الذي ينظر إلى هذه الوسائل نظرة تخصصية، ويقدم في قاعات المحاضرات في الكليات والمعاهد العليا التي تعنى بتأهيل الدعاة، بحيث يتخرج دعاة مؤهلون لهذا الغرض يستفاد منهم في نشر الدعوة إلى الله بالأسلوب الذي يؤثر في المتلقين.

(1) عبد القادر طاش ، رؤى على طريق الدعوة ، الرياض ، المؤلف ، 1408هـ ، ص 200- 201 .

مشروعية الوسائل

وفي خِضم النظر إلى الوسائل في مجال الدعوة ظهر من يقول بالنهي عن اتخاذ الوسائل الحديثة مهما كان تأثيرها وسرعة وصول محتواها إلى " المستهدفين ". ذلك أن من تبنى هذا الرأي لا يرى الخروج عن النمط الذي قامت عليه الدعوة منذ انطلاقتها. ونظر إلى الدعوة بمضمونها ووسائلها وأساليبها على أنها توقيفية، مثلها في ذلك مثل العبادات والمعاملات التوقيفية.

وإن عد هذا الرأي شاذا، إلا أنه يكتسب قبولا من بعض المتلقين، ولا سيما أنه شاع عن طريق استخدام وسيلة حديثة في الدعوة وهي الشريط المسموع !! ذو القابلية السريعة للانتشار بين أوساط الناشئة المتعطشين إلى الكلمة الطيبة والتوجيه السديد، أي أن الذي نهى عن استخدام الوسيلة الحديثة في الدعوة قد أشاع هذا النهي عن طريق وسيلة حديثة [1]. ولعله خشي في نهيه هذا من أن يقع الدعاة أسرى للوسيلة، بحيث تكون هذه الوسيلة أو تلك مدعاة إلى الوقوع في المنهي عنه من الوسائل، فيغفل الداعية مقومات مهمة، أو يتنازل عنها بفعل من تأثير الوسيلة المادية التي قد تطغى على الوسيلة المعنوية المتمثلة في النية الصادقة وسلامة الفكر والقدوة الحسنة والكلمة الطيبة [2] .

على أنه سيظل هناك من يتوقف عند كل وسيله حديثة وقفة الرافض لها خوفا من آثارها السيئة على المجتمع، وخوفا من عدم إباحيتها قياسا على بعض التطورات التي دخلت بعض المجتمعات المسلمة فجأة، فكان موقف الناس منها موقفا حذرا جدا، خشية

(1) ذكر هذا أحد الدعاة في شريط مسموع ، وأكد على عدم جواز الوسائل الحديثة في الدعوة ، كما يؤكد القول بأن مجال الدعوة والخوض فيها من شتى الطرق قد أضحى ميدانا لكل من يريد أن يروج لفكرة من الأفكار ، حتى لو لم تخضع هذه الفكرة للميزان الشرعي الحق .

(2) طه جابر العلواني ، من وسائل الدعوة ا لإسلامية ، في (الدعوة الإسلامية : الوسائل والخطط والمداخل) ، أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في نيروبي بكينيا بتاريخ 26 جمادي الثانية إلى أول رجب 1402هـ الموافق 20- ، 24 من أبريل 1982م ، الرياض ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، 1402 هـ ، ص 71-83 .

أن يكون لها مساس بما يعتقده الناس، مع أن الأصل في الأشياء الإباحة، وإنما الذي يقيد هذه الإباحة بحكم هي النصوص الشرعية من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد r وما اعتبره أئمة السلف من العلماء المجتهدين.

ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين في رد غير مباشر على هذا الرأي: " يجب أن نعرف قاعدة، وهي أن الوسائل بحسب المقاصد، كما هو مقرر عند أهل العلم، أن الوسيلة لها أحكام المقصد، ما لم تكن هذه الوسيلة محرمة، فإن كانت محرمة فلا خير فيها. وأما إذا كانت مباحة، وكانت توصل إلى ثمرة مقصودة شرعا، فإنه لا بأس بها، ولكن لا يعني ذلك أن نعدل عن كتاب الله وسنة رسوله r وما فيهما من مواعظ، إلى ما نرى أنه وسيله في الدعوة إلى الله. وقد نرى أن هذا وسيلة ويرى غيرنا أنه ليس بوسيلة، ولهذا ينبغي للإنسان في الدعوة إلى الله أن يستعمل الوسيلة التي يتفق الناس عليها حتى لا تخدش دعوته إلى الله بما فيه الخلاف بين الناس [1].

ويورد الناقل لهذا النص نصوصا أخرى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز والشيخ صالح بن فوزان الفوزان، ويستنتج من ذلك كله " أن القاعدة في اتخاذ الوسائل والأساليب الدعوية هي مراعاة حال الدعوة زمانا ومكانا [2].

فإذا أخذنا بالرأي القائم على أن الوسائل توقيفية على أنه مثال من أمثلة التعامل مع التقانة الحديثة في نقل المعلومة، فإن هذا يعني أننا نحتاج إلى وقت طويل لنصل إلى نظرة موحدة حول هذه الوسائل، في الوقت الذي نجد فيه غيرنا، مثل المنصرين، الذين لم ينظروا إلى هذا البعد نظرة تحليل أو تحريم، يستغلونها أفضل استغلال، ويحصلون من وراء ذلك على شيء من التأثير الذي يتوقعونه، بل ربما زادت النتائج عما رسموا له، ولا سيما في

(1) نقلا عن إبراهيم بن عبد الله المطلق ، التدرج في دعوة النبي ظلام ، الرياض ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، 1417هـ ص 148 ، (سلسلة الكتاب الإسلامي 2) .

(2) المرجع السابق ، ص 149 .

المجتمعات غير المسلمة [1].

ويقاس على التنصير بعض التيارات الأخرى التي تتعامل مع فكر الإنسان ومنها تلك التي تتحدث باسم الإسلام، وتحجز لها مواقع مهمة في التقانة الحديثة، كالقاديانية، وبعض النِّحَل الأخرى التي انحرفت عن المسار الصحيح للإسلام، فلقيت دعما متواصلا من بعض الذين يحاربون المعلومة الصحية عن الدين الصحيح. وليس في هذا إيحاء إلى اتخاذ الوسائل مهما كانت في سبيل تحقيق الأهداف، فإن الوسائل نفسها تخضع للميزان الشرعي الذي يوجب فيها أن تكون وسائل مباحة طيبة مضمونة النتائج الحسنة بإذن الله تعالى.

(1) للنظر في وسائل المنصرين يرجع إلى علي بن إبراهيم الحمد النملة ، التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته ط 12 لرياض مكتبة التوبة 1419هـ ص ه 5-12 / 1 .

الفضائيات

ومن المشكلات التي نواجهها في طريق استخدام الوسائل الحديثة في الدعوة إلى الله تعالى ضعف استغلال الفضائيات لنشر الإسلام والدفاع عنه، والوقوف في وجه الشبهات التي تثار حوله. وإذا كان قد ظهر من ينهى عن استخدام وسائل الاتصال الآلية كالحاسوب وشبكات المعلومات وقواعدها. فإنه من المتوقع أن يظهر من ينهى عن اللجوء إلى الفضائيات في الإفادة منها في الدعوة إلى الله تعالى، فتترك للآخرين ليستغلوها فيما يغوي الناس، وينشر الرذيلة بينهم.

وفي حديث جانبي مع أحد الإعلاميين المسؤولين عن مرفق إعلامي مهم حمل المسؤولية الدعاة الذين لم يبادروا باستغلال هذا المرفق الإعلامي المهم الذي يراد له أن يبث إرساله لساعات طوال، وبالتالي لا بد من ملء هذه الساعات بما هو متوافر في " السوق " الإعلامية. ومصداق هذا قول محمود محمد الناكوع: " إن المشكلة الحقيقية أن أغلب وسائل الإعلام في العالم الإسلامي لا تزال تابعة، أي أنها تعتمد اعتمادا رئيسيا على شبكات الإعلام الأجنبية، فأغلب ما تردده وسائل إعلامنا هو نقل أو صدى لما تنشره وكالات أنباء بريطانيا وأمريكا وألمانيا وروسيا والصين... الخ [1].

ولقد خطت الفضائيات، من حيث الانتشار وتقانته، خطوات سريعة جدا لا تحتمل التأجيل، وأضحت في عالمنا العربي والإسلامي مدعاة للهو غير البريء. وأضحي الشابق على إرضاء الجمهور هو المقياس الذي تسير عليه هذه الفضائيات التي تصرح بكل وضوح أن الجمهور هو الذي يوجه هذه القنوات، وليست هي التي توجه الجمهور. حتى أضحت معظم هذه الفضائيات وسيلة للصد عن الخير والمثل العليا. ومهما أظهرت من رغبة في تغلب الخير، إلا أن الشر يتغلب، ولا سيما في المسلسلات التي تحرص الناشئة على متابعتها حلقة حلقة مهما تعددت الحلقات، بعد أن " تموع " المثل التي عاشت عليها هذا

(1) محمود محمد الناكوع ، الصحوة الإسلامية وقضايا للتحاور ، لندن ، دار ابن قدامة ، 14101990م ، ص 168 .

المجتمعات [1].

ولقد قيل عن هذه الفضائيات كثير من النقد المباشر وغير المباشر.

كما قيل إنها " فورة " تتابع الناس عليها لفترة لا تلبث أن تزول إذا ما أدرك الناس هذه السطحية التي تشمم بها البرامج التي تقدم على هذه القنوات. ولكنه مع هذا إدراك سيكون متأخرا يعتمد على ما ستفرزه هذه البرامج من مضار على أفراد المجتمع المسلم ذكوره وإناثه، مما سيتولد عنه جيل سيكون نهبا للأفكار والرغبات والتروات غير الأخلاقية، وبالتالي غير المشروعة [2]. يقول فهد العرابي الحارثي في محاضرة له عن موقعنا في الكونية الإعلامية الجديدة:

" إن موقعنا فوق خريطة النظام الكوني الإعلامي الجديد هو موقع متواضع بكل المقاييس. وهو موقع لا يتلاءم مع عمق المساحة التي نشغلها فوق خريطة التاريخ البشري. ولا ينسجم مع الحجم الهائل للكثافة البشرية للمسلمين. إن الحضارة الإسلامية في قوتها الكامنة، وإن أعداد المنتمين إلى تلك الحضارة هي كلها أمور تستوجب وجودا أكثر نباهة في ذلك النظام المثير والخطير " [3].

ولست مع هذا أغفل بعض القنوات الفضائية التي تتسم بالرزانة، وتخاطب العقل، وتسهم في الدعوة. ويمكن أن يضرب لذلك مثالا بالقناة السعودية الفضائية الأولى التي تحرص على التوعية، وتصر على الرقي بالمجتمع، من منطلق أنها تنبع من مجتمع متميز يحمل هم الدعوة، وإن كانت لا تخلو من بعض الهنات التي جر إليها هذا السباق " المحموم " لإرضاء الجمهور.

ثم برزت على الساحة العربية والإسلامية قناة فضائية دعوية جديدة هي

---

(1) علي بن إبراهيم الحمد النملة ، الإعلام وآثاره على السلوك ، في ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي ، فقه الأقليات ، 8- 41419 هـ 31/ 7- 2/ 1998 /8 م ، أدنبرة (ا سكتلندة) ، ص 46 .

(2) عبد الله بن حمد الشبانة ، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية ، مرجع سابق ص73-82 .

(3) فهد العرابي الحارثي موقعنا في الكونية الإعلامية الجديدة : العولمة والفضائيات العربية ، مرجه سابق ، 64-65 .

قناة " اقرأ " المنبثقة عن "راديو وتلفزيون العرب " تلك المؤسسة الإعلامية التي لم تسلم من المآخذ، لما تعرضه على شاشاتها المتعددة من برامج ومسلسلات وأغان ومنوعات وغيرها هي من ذلك النوع من " التسطيح " الذي لا يحترم المتلقي، ولا يسعى إلى أن يرقى به بدلا من جرة إلى الهبوط. ويقوم على القناة الدعوية المنبثقة عن هذه المؤسسة الإعلامية أحد الرجال المعروفين بجهودهم الدعوية، بالإضافة إلى تخصصهم الإعلامي، وما عرف عنه بحمل هموم الأمة من الزواية التي تعنيه، وهو الدكتور عبد القادر طاش محمد.

وتستحق هذه الوليدة الإشادة، لأنها ترسم الآن منهجا للإفادة من الوسيلة الحديثة في الدعوة إلى الله تعالى. ولا نغفل أيضا بعض القنوات العربية التي تقدم برامج دعوية مهما كانت محدودة في الوقت والمضمون، في ظل مزاحمة البرامج الترفيهية السطحية عليها.

الوسائل الأخرى

وهناك وسائل أخرى ربما لا ينظر إليها على أنها حديثة بقدر ما هي مطورة من وسائل سابقة، وربما عدت هذه الوسائل من الدعوة غير المباشرة، أو ربما أطلق عليها مصطلح الوسائل المساندة، التي لا تقتصر على الوصول المباشر للمدعوين باسم الدعوة، ولكن الدعوة نفسها تأخذ من هذه الوسائل غير المباشرة أو المساندة مدخلا لها.

وتتمثل هذه الوسائل في الإغاثة والتعليم والتدريب والتطبيب والتنمية، ذلك أن بعض المجتمعات لا تؤتى بالدعوة المباشرة بقدر ما يؤثر عليها بالمواد الإغاثية العينية، كالغذاء والكساء والفراش والسكن وحفر الآبار، على أنها جميعها من نعم الله على خلقه، وإنما الذي يذكر لجالبيها الذين يوصلونها مستحقيها في أماكنهم مهما كانت نائية بعيدة ومهما كانت حالهم في فهمهم للحياة، أنهم سبب لجلبها فقط. ويكون هذا من منطوق قول الله تعالى: { ÇÌÈ ÉúïÏâ„ qßù ÅMÉ‹ÌB #Œ)r } [1].

ومن الوسائل المساندة كذلك تعليم الناشئة، وفصول محو الأمية للكبار، ولا تغفل فيه المرأة التي تعطى جرعات تعليمية تسهم في التربية الصالحة لأبنائها. ويكون التعليم موجها تعطى فيه جرعات دعوية مناسبة.

وكذا الحال مع التدريب عندما يطوع للمفهوم الإسلامي للعمل. ومثله التطبيب والتمريض الذي يبين فيه الطبيب والممرض المسلم لمرضاه والمترددين عليه، أو من يرتادهم هو في أماكنهم، إنما هو وسيلة وسبب للشفاء، وليس هو الشافي، بل إن الشافي هو الله تعالى، وذلك من منطوق قوله تعالى: { ÇÌÈ Éú ïÏâ„ qßù ÅMÉ‹ÌB #Œ)r } [2] في اللحظات التي يعرض بها المريض على أجهزة الطبيب والممرض وتشخيصهما، فيضع نفسه وعقله وذهنه بين يدي هذا الإنسان الذي يملك في تلك اللحظة أن يقول شيئا مؤثرا.

---

(1) سورة الشعراء آية : 79 .

(2) سورة الشعراء آية : 80 .

ولا تغفل وسائل المواصلات الحديثة، البرية والبحرية والجوية، في الإفادة منها للدعوة، إذ تيسر الوصول بفضل الله ثم بها، إلى أبعد المسافات بأوقات مختصرة، فطويت الأرض للدعاة، وأضحى بالإمكان الذهاب إلى التجمعات السكنية التي تحتاج إلى الإرشاد، وهي من النعم التي يغفل الناس عن آثارها لاعتيادهم عليها على أنها من متطلبات العصر الضرورية.

ومن الوسائل المتطورة كذلك تبني مشروعات التنمية في المجتمعات المسلمة أو غير المسلمة بنية الدعوة، أو على الأقل تبني أجزاء من هذه المشروعات بحسب إمكانات الجهالة الإسلامية التي ترغب في الإسهام في هذه المشروعات. وسد الباب أو بعضه على المجمعيات والهيئات التنصيرية والإلحادية الأخرى التي تسعى إلى تحقيق أهدافها من التنصير والإلحاد بهذه الوسائل غير المباشرة. وهكذا تتعدد الوسائل بحسب الحال [1].

ولا تغفل التجارة والاقتصاد في نشر الدعوة. وهذه وسيلة تقليدية ومتجددة، إذ إن تأثير التجار والاقتصاديين كانت له نتائجه المعروفة لدى مؤرخي الدعوة في كل من إفريقيا وجنوب شرق آسيا، ولا تزال هذه الوسيلة تؤثر في الغرب والشرق على حد سواء. ويكفي من ذلك أن يكون التاجر المسلم قدوة في معاملاته التجارية مع أقرانه من المسلمين وغير المسلمين، " ذلك أنهم يمثلون ثقافة وخلفية ينظر إليها من خلالهم. وهذا مطلب المقل، إذ إن المهمات المناطة برجال الأعمال والتجار تتعدى مجرد القدوة إلى محاولة زرعها بالحسنى بين الفئات التي يتعاملون معها " [2].

(1) علي بن إبراهيم النملة التنصير مرجع سابق ، ص113- 131 .

(2) علي بن إبراهيم النملة التنصير ، المرجع السابق ص121 .

الوسائل التقليدية

ومع الحماس المستفيض للوسائل الحديثة، المتمثلة في الإعلام والفضائيات والاتصالات والإغاثة والتعليم والتدريب والتطبيب والتنمية، فإن الوسائل التقليدية تظل تحتفظ بقدرتها على التأثير مهما زاحمتها الوسائل الحديثة، وذلك لأسباب؛ منها:

1- أن الوسائل التقليدية أكثر شيوعا بين الناس، وأكثر قابلية للنقل والتوزيع كالكتاب والدورية والنشرة والمطوية والحديث المباشر بين الناس في المساجد والمنتديات والمعاهد والمجالس الخاصة والعامة. في الوقت الذي تحتاج فيه الوسائل الحديثة إلى إمكانات ثقافية ثابتة من ناحية، وغالية الثمن من ناحية أخرى، وثقيلة الحمل من ناحية ثالثة، مهما صغرت الأجهزة وأدمجت الأسطوانات، ولذا فإنها ليست متوافرة في جميع المجتمعات المستهدفة للدعوة، التي قد تكون منها تلك المجتمعات التي لا تتوافر فيها التجهيزات الأساسية للإفادة من الوسائل الحديثة، مثل الطاقة الكهربائية وخطوط الهاتف، والعجز المالي الذي يحول دون توفير وسائل النقل الأخرى.

2- أن الوسائل الحديثة، ولا سيما الفضائيات، تتبع أسلوب الطريق الواحد، بحيث لا يمكن فيها الحوار المباشر، مهما قيل عن برامج البث المباشر، وبالتالي فإنها وسائل ذات توجه واحد تملي فيها الفضائيات ما تريد على المتلقين، ويصعب معها العودة إلى الموضوع المطروح أو نقاشه، بخلاف الوسائل التقليدية التي تتيح مجالا واسعا من الحوار، والرجوع إلى المعلومة والتثبت منها.

3- أن الوسائل الحديثة قابلة للتغيير والتطوير في الأجهزة والبرامج، وبالتالي فإنها لا تتيح مجالا واسعا للتخطيط بعيد المدى، وتحتاج إلى المبادرة في استغلالها، ولو مؤقتا، وبالتالي متابعة تطوراتها من حيث البرامج والأجهزة والتقانة عموما، ولا نغفل حاجة هذه الوسائل الحديثة إلى التحديث والصيانة والتدريب المستمر على التشغيل. بينما تظل الوسائل التقليدية محتفظة بنمطها المعتاد، ولا تخضع للتطوير السريع والمفاجئ، ولا تحتاج إلى متابعة دقيقة من المتلقين، بل إن تطوراتها مقصورة على المشتغلين على إنتاجها من

طباعة وتنظيم وتوزيع وتكشيف واستخلاص، مما يدخل في المحسنات التي لا تظهر للمستفيدين منها.

وعليه فإنه ربما لا يكون من الحكمة الاندفاع وراء الوسائل الحديثة على حساب الوسائل التقليدية. ولا بأس من القول بتزامنهما في السعي إلى التأثير في مجالات الدعوة، بحيث لا نتحمس لوسيلة، قديمة أو حديثة، على حساب الوسيلة الأخرى. والمهم في هذا كله هو المضمون الذي تنقله هذه الوسائل، من القول الحسن والعمل الصالح: { ôBr

{ ÇÌlÈ ûüÏÎó Ø¾Ø§ `B ÓÍ_ÏÎ) A$%r $[s÷» ¹ ÑÏÏãr «! #$'‹Î !æŠ `ÐB ZÏÐ% ß ¡ ô% (1) .

ثم يأتي في الدرجة الثانية المجتمع الذي سوف " تسلط " عليه هذه الوسائل، ومدى قدرته على تقبل الوسيلة والتأثر بها. ويأتي في الدرجة الثالثة الناقل نفسه الذي ينتظر منه التأثير الذاتي، ثم استغلال هذه الوسائل الاستغلال الأمثل، والنظر إليها على أنها مجرد وسائل تعين، بإذن الله تعالى، على الوصول إلى الهدف من الدعوة إلى الله تعالى.

(1) سورة فصلت آية : 33 .

الخاتمة

ومهما يكن من أمر فإن بعض الوسائل الحديثة في عالم الاتصال والمواصلات ونقل المعلومات ومعالجتها قد فرضت نفسها على الساحة. وأضحت ضرورة ملحة، تماشى معها بعض الدعاة. بينما بقيت بعض الوسائل شبه مهجورة من الدعاة، رغم ما لها من تأثير قوي على المتلقين.

وإذا ما تجاوزنا مشروعية الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة وأخذنا عن علمائنا الأفاضل أنها وسائل مشروعة بقيدها الذي أوضحه فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، أضحى لزاما على المؤسسات الدعوية، الحكومية وغير الحكومية، القادرة في العالم الإسلامي الإفادة القصوى منها، وتسخيرها للدعوة إلى الله تعالى.

ثم تأتي قدرات الأفراد الذين يملكون الإمكانات المادية والنية الصادقة والعمل الصالح، بالإضافة إلى الإخلاص والصواب في سبيل الإسهام في تيسير هذه الوسائل الحديثة للإفادة منها في الدعوة، ويصبرون على ذلك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، ويتغاضون عن بعض الهنات التي تمر في هذا الطريق الطويل، ولا تستكثر من البشر مهما وصلوا من الوعي والتقى، عندئذ يتوافر عنصران مهمان من عناصر العمل الصالح، وهما الإخلاص والصواب. وعندها تكون لهذه الجهود، بإذن الله تعالى، ثمرة طيبة عاجلا وآجلا.

قال الله تعالى: { brfÞãÈèÅ íÓ Nœ‘ šc qãf ûïÏ B 7 ¡ÿR ì7 $RÈ `ã ¼ç7 $Zÿô& ôB ôÜêÏr $<‰9 sŠ pÝî fÞèNãa 8$Zãa ?Ïr ¼çgô_r ÇÏÈ $Ûê¼çã šc .r ç1qd } (1).

والإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة لا تلغي الاستمرار في الوسائل المتبعة " التقليدية "، بل تتزامن الوسائل حديثها وقديمها بحسب البيئة المدعوة، إذ المراد التأثير بالوسيلة المؤثرة، فلا ينبغي الانبهار بالوسيلة الحديثة على حساب الوسيلة المألوفة،

(1) سورة الكهف آية : 28 .

ولا ينبغي، في الوقت ذاته، إغفال الوسيلة الحديثة التي أضحت مطلبا ملحا في بعض المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية، والاقتصار على الوسائل المألوفة التي ربما يكون الزمان والمكان قد تخطاهما. وبعد هذا كله فإن الدعاة أينما كانوا، وبأي وسيلة دعوا بحاجة إلى الاتكال على الله تعالى فيما يقومون به، فكان الله في عونهم، وكان الله في عون الجميع.

أهم المراجع

- إبراهيم بن عبد الله المطلق.

التدرج في دعوة النبي r الرياض: مركز البحوث والدراسات الإسلامية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1417 هـ، ص 167 (سلسلة ا لكتاب الإسلامي: 2).

- حامد أحمد الرفاعي.

الإسلام والنظام العالمي الجديد، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، 1415هـ، ص 233 (سلسلة دعوة الحق: 46 1).

- سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. م: د. ن، 0 1412 ص- 1992 م، ص 647. - طه جابر العلواني.

"من وسائل الدعوة الإسلامية"، في الدعوة الإسلامية: الوسائل، الخطط المداخل أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في نيروبي بكينيا بتاريخ 26 جمادي الثانية إلى أول رجب 1402هـ الموافق 20- 24 من أبريل 1982 م، الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1409هـ، ص 71-83.

- فتحي يكن.

كيف ندعو إلى الإسلام، ط 3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1977 م- 1397 هـ، ص 168.

- فهد العرابي الحارثي.

"موقعنا في الكونية الإعلامية الجديدة: العولمة والفضائيات العربية"ا محاضرة ألقيت بمكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، 17/ 8/ 1419هـ - 6/ 12/ 1998م. ص66.

- عبد القادر طاش.

رؤى على طريق الدعوة، الرياض: المؤلف، 1408هـ - 1918م ص213.

- عبد الكريم زيدان.

أصول الدعوة، بغداد: مكتبة المنار الإسلامية، 1401ص- 1981 م. ص 496.

- عبد الله بن حمد الشبانة.

المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، الرياض: دار طيبة 1409هـ، 1989 م، ص 204.

- على بن إبراهيم الحمد النملة.

"الإعلام وآثاره على السلوك "، في: ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي، فقه الأقليات، 8- 1041499 ص- 317- 281998 م.- أدنبرة (اسكتلندة): ص 46.

- على بن إبراهيم الحمد النملة.

التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، ط2 الرياض: مكتبة التوبة 1419هـ 1998م ص152.

- محمد عبد القادر هنادي.

نحو دعوة إسلامية رشيدة: قبسات من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح في سبيل دعوة إسلامية رشيدة، الرياض: مكتبة العبيكان، 1416هـ- 1995م- ص 308. - محمود محمد الناكوع.

الصحوة الإسلامية وقضايا للتحاور، لندن: دار ا بن قدامة 1410 هـ- 1990 م.

- مساعد بن إبراهيم الحديثي.

"الإفادة من شبكة الإنترنت في الدعوة إلى الله "دراسات إسلامية مج 1، ع 2 1418هـ ص209- 221.

خصائص المنهج الدعوي
عند الملك عبد العزيز

الدكتور: عبد الله بن محمد العجلان
عضو مجلس والدعوة والإرشاد

خصائص المنهج الدعوي عند الملك عبد العزيز

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:- فلما كانت سيرة الملك عبد العزيز - رحمه الله - غنية بالمواقف الإسلامية الظاهرة والأعمال الجليلة والخطب الثرية وأن البحث في جهوده الدعوية هو بحث في تاريخ جيل وبناء أمة وإقامة دولة على أساس هذا الدين العظيم، فقد سهل ذلك على الباحث كتابة البحث ويسر له مادته الأساسية، لا سيما وأن هذه الشخصية العظيمة قد حظيت بكثير من الدراسات والأبحاث والمؤلفات لما لها من تاريخ عظيم وسيرة فريدة في التاريخ المعاصر، ولكنه لا يزال هناك مجال عظيم للبحث والدراسة عن جوانب هذه الشخصية العامة والكشف عن كثير من جوانبها المشرقة.

ولعل من أهم أسباب نجاح الملك عبد العزيز في مشروعة الحضاري اعتماده في حركته على هذا الدين العظيم ورفع راية التوحيد وقيام عصبية دينية معطية تمثلت في الرجال والشخصيات التي تحيط به والتي استطاع بحكمته وسلامة دعوته أن يستقطبها ويقودها إلى النجاح، وفي مقدمتهم أفراد الأسرة السعودية المالكة ورجالات هذه الأمة من مختلف القبائل والأسر السعودية حاضرة وبادية، وإسهام الجميع مع الملك عبد العزيز في إنجاح مسعاه وتحقيق غايته.

وأحسب أن من المبالغة نسبة كل ما تحقق من إنجازات إلى شخص واحد بمفرده؛ إذ إن الحقيقة أن هذا المجتمع قد ساهم في بناء هذا الكيان العظيم بمختلف فئاته وشرائحه رجالا ونساء، وأن الجميع مسئولون عن المحافظة على هذه المنجزات والعض عليها بالنواجذ، وأن المساهمة في البناء من الجميع تعتبر مفخرة للملك عبد العزيز الذي استطاع أن يكسب رضا الجميع وتوحيد الصفوف ورسم الأهداف المشتركة والمنهج السليم الذي لا يختلف عليه، وأن يقود الأمة وفق هذا المنهج السديد بمهارة فائقة تتساند فيها الحكمة مع القوة وتتلاقى فيها رعاية شؤون الدين مع الدنيا.

وهذه القيادة الفذة والمهارة الفائقة في الإدارة تقود الباحث إلى محاولة التعرف على هذه الشخصية العظيمة في تكوينها الثقافي والسياسي والفكري، ومصادر المعرفة لديها التي استطاعت بها أن تخطط بدقة وتمارس بمهارة وتبادر في بناء مشاريعها بعزيمة ومضاء لا تعرف التردد وأن تقول الحق وتتبعه بالعمل الماثل الملائم للظروف والأحوال، وهذا ما يتجه هذا البحث للوصول إليه وأرجو أن يكون فيه ما يفيد القارئ والسامع والباحث وأن يخلو من الخطأ والزلل والمبالغة التي كثيرا ما يقع الكاتب فيها إذا كان يحمل عاطفة نحو المكتوب عنه، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول منهج الملك عبد العزيز في الدعوة

ثقافة الملك عبد العزيز وروافد فكره

إن تناول منهج الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل في الدعوة إلى الله يتطلب من الباحث أن يتعرف على ثقافة هذا القائد الملهم وتكوينه الفكري وبناء شخصيته العلمية التي غذي بها منذ الصغر، وروافد فكره التي كونت في مجموعها توجهه الفكر القيادي، وزودته بهذه الطاقات الإبداعية الهائلة، لا في مجال واحد هو الدعوة إلى الله محل البحث بل في كل جانب من جوانب الشخصية القيادية المتكاملة، والتي برزت من خلال ممارساته العملية منذ أن دخل مدينة الرياض في عام 1319هـ حتى يوم وفاته - رحمه الله - بهر بشخصيته وإنجازاته كبار القادة السياسيين في العالم، واستطاع بتوفيق الله أن يحقق مشروعه الحضاري المتمثل في إعادة الثقة إلى نفوس المؤمنين بهذا الدين بإقامة دولة إسلامية سلفية تعتمد في تصريف شؤون الحياة فيها في كل جانب من جوانبها على ضوء هذه الشريعة الغراء.

أ- ثقافة الملك عبد العزيز وروافد فكره

وحيث يرجع الباحث إلى المصادر التاريخية المتوفرة لدينا والسماعات التي تناقلها الناس عن هذا الرجل العظيم ليتعرف على ثقافة هذا القائد المؤسس وتكوين فكره يجد أنها ثقافة نقية طاهرة تتسم بالبساطة والوضوح وصدق التوجه، وأنه تدرج في هذه الثقافة منذ نعومة أظفاره على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، إذ أخذ في صغره القرآن الكريم على يد حفاظ متمكنين فضلاء من أمثال عبد الله بن محمد الخرجي ومحمد بن مصيبيح، وختمه في سن مبكرة من عمره، وحفظ سورا منه عن ظهر قلب.

وقد حرص والده على ارتباطه بالشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وجعله في صغره تحت رعاية هذا العالم الجليل، وكان من المعروف عن الشيخ عبد الله بأنه صاحب عقل راجح ورأي سديد وفكر نير إلى جانب كرم جمّ - يكمله رجاحة عقله وحسن تصرفه بماله ونفسه ووقته إلى جانب فهم دقيق للتوحيد، وقناعة تامة بأن الدعوة التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود هي الطريق الوحيد لاستعادة البيت السعودي عزه ومجده وشعب قلب الجزيرة العربية - نجد - أمنه واستقراره وتقدمه.

وليس لدينا في المصادر التاريخية ما يدل على أن الملك عبد العزيز تخرج من مدرسه نظامية فضلا عن جامعة أكاديمية أو كلية عسكرية، بل تخرج من جامعة أهم منهما هي جامعة الحياة بكل ما فيها من نشاط في مختلف مجالات الحياة، وبطريقة تمزج فيها النظريات بالتطبيق والممارسة.

ولهذا فإنه يمكن القول بأن مصادر ثقافة الملك عبد العزيز - رحمه الله - تتسم بالنقاء والطهارة، إذ بدأت بتعلم القرآن الكريم قراءة وحفظا وفهما على يد مقرئ بلده، وبالفهم الدقيق لأصول هذا الدين على يد عالم من أجل العلماء في نجد هو الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف - رحمه الله - وهو أحد رواد مدرسة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في وقته، وأعلم الناس بتاريخ هذا الدعوة الإصلاحية وقادتها ورجالاتها، وأقدر الناس على تحليل الأحداث التي مرت بها هذه الدعوة عبر أدوارها السابقة وما تعرضت له من عقبات

وكبوات، وما حققته من إنجازات ونجاحات، إلى جانب قراءته الخاصة في تاريخ الدولة السعودية منذ نشأتها، وما حفظه عن آبائه وأجداده من تاريخ أسلافه، ومعايشته للأحداث التي مرت بها بلاد نجد والأقاليم المجاورة لها مما شاهده أو سمع عنه، مضافا إلى ذلك كله المعاناة التي مرت بها الأسرة السعودية والتشرد الذي تعرضت له في فترة من التاريخ، وعيشه متنقلا مع والده من مركز القيادة إلى العيش في البادية إلى الإقامة في المنفى.

يضاف إلى ذلك كله استقراره في فترة اكتمال شخصيته في أهم محطة من محطات السياسة الدولية في شبه الجزيرة العربية وقتها - الكويت - التي كانت ملتقى للثقافات ومركزا من أهم المراكز التي تدار منها الأحداث في الجزيرة العربية، إذ كانت الدولة العثمانية لها تواجد في البصرة والأحساء والقطيف، وشركة الهند الشرقية تطل بأطماعها على شبه الجزيرة العربية وتطمع في وراثة تركة ما سمي وقتها بالرجل المريض، ظل هذا التجاذب وتقييم آثاره ووعي دروسه البالغة الأهمية مما أكسبه خبرة ومهارة في السياسة المحلية والدولية ودراية بصناعة القرارات للأحداث التي تجري في شبه الجزيرة العربية.

وإذ كانت ثقافة هذا الزعيم المؤسس في العقيدة والعبادة والدعوة ونهج الإصلاح والتجديد تقوم على أساس الدين، فإن دعوة الإصلاح التي تمت على يد الإمامين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود كانت هي مثله الأعلى وقدوته في مشروعه الحضاري الجديد، وهذه الدعوة الإصلاحية تضرب بجذورها في التاريخ الإسلامي، إذ هي تطبيق عملي لدعوة الشيخين الإمامين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وهي ترتفع إلى طلب العودة إلى ما كان عليه الرسول r وأصحابه من بعده، وما كان عليه سلف هذه الأمة الذين اتبعوا الرسول r بإحسان، وهذا كله يدل على سمو هذه الثقافة وصحة مأخذها وقوة سندها ووضوح رؤيتها وسلامة منهجها، وكفى بذلك عزة وشرفا.

ب- منهـــج الملك عبد العزيز في الدعوة

المنهج هو الخطة الشاملة التي تكون مجموعة كافية من المعلومات والمعارف والأعمال والخبرات النافعة المرتبة ترتيبا منطقيا متدرجا مكتوبًا يهدف إلى تحقيق غايات محددة في المجتمع، ويتكون من أجزاء متجانسة تتساند في البناء الفكري والدعوي للوصول إلى الغاية المطلوبة.

والسؤال المطروح في هذه الورقة هو هل للملك عبد العزيز - رحمه الله تعالى- منهج في الدعوة إلى الله ينفرد به عن غيره ويتميز به عن أسلافه ومعاصريه أم أن منهجه هو منهج أسلافه؟ وأن فضله هو في إحياء هذا المنهج وتجديد عطائه وتوظيفه في تحقيق مشروعه الحضاري في بناء الدولة السعودية المعاصرة لثبوت نجاح هذا المنهج في الماضي والقناعة بمضامينه وأنه بذلك متبع غير مبتدع.

ومن قراءتي المتأنية لما كتب عن جهود الملك عبد العزيز في الدعوة إلى الله ومنهجه السديد في ترسيخ عقيدة التوحيد وبناء الدولة السعودية على أساس مكين من الدين يمكن القول بأن الملك عبد العزيز - رحمه الله - له منهج في الدعوة إلى الله، وإن لم يكن مكتوبا مرتبا إلا أنه كان واضحا في ذهنه تمام الوضوح، وأنه استثمر هذا المنهج في نجاح مشروعه في خطوات متتابعة في الوقت المناسب وبالصورة والحجم المناسبين.

إلا أن هذا المنهج لم ينفرد به الملك عبد العزيز عن أسلافه بل هو منهج أسلافه بلا زيادة فيه ولا نقص منه، وأن أساس هذا المنهج يتمثل في نص البيعة المباركة التي كانت بين الإمامين الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبد الوهاب والتي دخلت بها الأسرة السعودية التاريخ الحضاري من أوسع أبوابه، ومما جاء في هذه البيعة الميمونة كما يقول ابن بشر - رحمه الله - ج1 ص112: " ثم إن محمدا بسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله وإقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " وبقية أجزاء هذا المنهج تتمثل في كتابات الشيخ محمد بن الوهاب وتلاميذته ومدرسته العلمية، وفي التطبيقات العملية في سيرة الإمام محمد بن سعود وأبنائه وأحفاده

في الدور الأول والثاني للدولة السعودية، وأن الملك عبد العزيز قد تشرب هذا المنهج ووعاه وعمل به، ولكنه لم يكن مجرد داعية يقف عند حدود مجرد الإبلاغ وبناء الفكر وتكوين الثقافة، بل كان رجل دولة ورائد حضارة وباني أمة، فكان المنهج الدعوي عند الملك عبد العزيز - رحمه الله - يمثل جانبا هاما من جوانب اهتماماته، إلى جانب مهام أخرى كثيرة تفرضها عليه متطلبات قيام الدولة وتوحيد المملكة وتطوير الحياة في كل جانب من جوانبها وإرساء قواعد الأمن والاستقرار وتحقيق العدل بين الناس.

ويكون للملك عبد العزيز فضل إحياء هذا المنهج السديد والطريق الوحيد إلى الله وإعادة الحياة إليه واستثماره في بناء الدولة الجديدة والحضارة المعاصرة وتفيؤ الناس في ظلاله عملا بالدين على بصيرة وأمنا واستقرارا في كنفه، وعدلا وطمأنينة في استقامة مده وعموم آثاره، وهذا يعد مصدر قوة وثبات لهذا المنهج، وتأصيل في الفكر. وترسيخ للبناء الحضاري الذي أقامه الملك عبد العزيز.

ج- أبعاد منهجه في الدعوة

ومنهج الملك عبد العزيز في الدعوة إلى الله يتكون من أبعاد عدة تمثل في مجموعها أركانه والدعائم التي يقوم عليها، وهي في مجموعها تحقق لهذا المنهج تكامله وإتمام ثباته بصورة مضيئة، وتتضافر على توفير مناخ إسلامي تنمو في ظله الفضائل الإسلامية ويتآخى في كنفه أفراد المجتمع وتتحقق به وحدة الأمة وإقامة العدل بصورة مرضية، وتجعل من المجتمع القائم على هذا المنهج مجتمعا فاعلا ومؤثرا مشبعا بالحياة والحركة والنشاط والمشاركة في الأمور العامة كل بقدر طاقته وفي حدود إمكاناته وبقدر ما يطلب منه أداؤه.

ويمكن إيجاز الأبعاد الرئيسة لهذا المنهج في الأسس التالية: -

1- الدعوة إلى عبادة الله وحده ونبذ الشرك بكل أنواعه وصوره والبراءة منه وأهله، ومحاربة البدع والخرافات بكل أشكالها ومظاهرها، وتعبيد الناس لله وحده لا شريك له في العبادة، وتحريرهم من عبودية الإنسان وغيره من المخلوقات.

2- إقامة دولة إسلامية عزيزة الجانب تلم شمل هذه الأمة المسلمة وتجمع شتاتها وتوحد صفوفها وتؤاخي بين أبنائها وتجعل منها قوة سياسية ودينية فاعلة في المحيط الإقليمي والدولي، وتعمل على محاربة التجزؤ والتفرق والاختلاف والتشرذم وتوفر الأمن والاستقرار وتحمل راية الجهاد.

3- اعتماد نظام الحكم في هذه الدولة الإسلامية المعاصرة على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح من هذه الأمة وصدورها عن هذين الأصلين في كل جانب من جوانب أنشطتها المختلفة ورفض كل ما يخالفهما في كل شأن من الشؤون وجعلها الميزان الذي توزن به الأعمال والأقوال والنظم.

4- تحكيم الشريعة الإسلامية فيما يشجر بين الناس في حياتهم اليومية، ونصب القضاة لإقامة العدل بين العباد علي ضوء الشريعة الإسلامية السمحة، ونقض أي حكم يصدر مخالفا للشريعة الإسلامية، ورفض أي نظام لا يتفق مع مبادئ الشريعة.

5- اعتبار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة من وظائف هذه الدولة المسلمة، تقوم عليها بوضع الخطط واختيار رجال الحسبة من أهل الدين والورع والغيرة، وتوفير متطلبات القيام بهذه الوظيفة مالية كانت أو بشرية أو فنية ومؤازرة أجهزتها.

6- العودة بهذه الأمة المسلمة إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة في الصدر الأول في القرون المفضلة، والاعتزاز بهذا الدين والمنتمين إليه وتجريد هذا الدين والمنتمين إليه من كل ما علق به من أوهام وخرافات أو انحرافات في كل جانب من جوانب الشريعة.

7- النهوض بهذه البلاد والأخذ بأسباب التقدم والنمو في كل جانب من جوانب الحياة الدينية والفكرية والثقافية والاقتصادية والمالية والتعليمية والصحية وغيرها.

8- الالتزام بنشر الإسلام وخدمة المسلمين في مختلف الأقطار وعرض قضاياهم والدفاع عنها بكل وسيلة مشروعة ممكنة، والإسهام في نشر اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وكل هذه الأبعاد الثمانية قد وردت في خطب الملك عبد العزيز وأقواله في مختلف المناسبات، وهي ليست مجرد أقوال لا يتبعها عمل؛ بل هي أقوال يصدقها العمل والممارسة.

ففي خطبته - رحمه الله - في المدينة المنورة عام 1346هـ، التي نشرت في جريدة أم القرى 12 11 1346هـ، كما نقل ذلك خير الدين الزركلي في مؤلفه شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ج2، ص 788،787 قال - رحمه الله - (وإن خطتي التي سرت ولا أزال أسير عليها هي إقامة الشريعة السمحة، كما أن من واجبي ترقية جزيرة العرب والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد الناهضة مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامي الحنيف) .

وفي صفحة 794 من نفس المرجع السابق يقول - رحمه الله - (الإنسان يقوم على ثلاث فضائل؛ الدين والمروءة والشرف، وإذا ذهبت واحدة من هذه سلبته معنى الإنسانية) وفي صفحة 795 من نفس المرجع السابق يقول - رحمه الله - (إنني أدعو المسلمين جميعا إلى عبادة الله وحده، والرجوع للعمل بما كان عليه السلف الصالح؛ لأنه لا نجاة للمسلمين

إلا بهذا) ويقول أيضا: (إنني أفخر بكل من يخدم الإسلام ويخدم المسلمين، وأعتز بهم بل، وأخدمهم وأساعدهم وأؤيدهم) ص 795 من نفس المرجع السابق.

وهذا الكلام الثابت عن الملك عبد العزيز وأمثاله في المحفوظ عنه ليس مجرد كلام يقال ثم لا يتبعه عمل، بل هو قول متبع بالعمل بشكل أوسع وأتم، وجعل في كل بعد من هذه الأبعاد السالفة الذكر معلم بارز من معالم العمل الفعلي، إذ أمَّن البلاد، وأقام وحدتها على أبعاد هذا الدين، وعيَّن القضاة والدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وأقام الشريعة، ونصب موازين العدل الشرعي..

وأخذ بكل الوسائل الممكنة للنهوض بهذه الأمة في كل جانب من جوانب التنمية، ووضع أسس البناء لكل هذه الأبعاد فور إتمام توحيد المملكة بوضع النظم وإنشاء الوحدات الإدارية واختيار القيادات في كل مجال من المجالات بما يحقق أهداف منهجه الدعوي السالف الذكر، جاءت أفعاله كاملة وبما يفوق أقواله، ولهذا فإن الملك عبد العزيز - رحمه الله - كان صادقا حين قال: (أنا ترعرعت في البادية فلا أعرف آداب الكلام وتزويقه ولكني أعرف الحقيقة عارية من كل تزويق).

المبحث الثاني

خصائص المنهج

الدعوة الإسلامية في عهد الملك عبد العزيز -رحمه الله- هي امتداد للدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمامان محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله -، ودعوة لاستئناف هذه الدعوة نشاطها وحيويتها والقيام بواجبها نحو هذا المجتمع وأداء رسالته في الحياة، وهي دعوة كذلك لإعادة الأسرة السعودية إلى مقعد القيادة في الأمة، وموقع الريادة بهذا الدين في الحياة في أمة قد مزقتها الخلافات واضطرب فيها حبل الأمن والاستقرار، وعم فيها الجهل وقل فيها العلماء..

وتهدف إلى نشر عقيدة التوحيد بين الناس ومحاربة البدع والخرافات وكل مظاهر الشرك وتعليم الجاهل وتذكير الناس وحث العاملين على زيادة العطاء والعمل على جمع كلمة الأمة في دولة عزيزة الجانب تحمل راية الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحكم شريعة الله في عباده لتحقيق الأمن والراحة في ربوع هذه الأرض المباركة، وتأخذ بأسباب القوة والنماء في كل مرافق الحياة على يد أحد المؤمنين بهذه الرسالة ومبادئ هذه الحركة الإصلاحية المباركة هو الملك عبد العزيز - رحمه الله - الذي يملك هو وأسرته رصيدا تاريخيا عظيما في الوفاء لمبادئ هذه الدعوة والتضحية في سبيلها وتحقيق الأمن والرخاء في ظلها لهذه الأمة.

وكان للملك عبد العزيز - رحمه الله - فضل إحياء هذه الدعوة وتجديد عطائها وتطبيق مبادئها في فترة كثر التشكيك في صلاحية هذا الدين لقيادة الحياة في ظل الظروف الحاضرة والمتغيرات الدولية.

وقد نجح الملك عبد العزيز - رحمه الله - في إقامة مشروعه الحضاري القائم على مبادئ هذه الدعوة المباركة، وجعل ثمار هذه الدعوة عملا ملموسا متمثلا في وزارات ووحدات إدارية إسلامية ودعوية، وأساسا لنشاط الدولة في كل مرفق من ممارستها ووضع نظمها.

ويعود نجاح هذه الدعوة المباركة إلى سلامة منهج الدعوة وحسن استخدامها وتوظيف معطياتها في صورة أعمال وأنشطة ومواقف إيجابية، إلى جانب ما لهذه الدعوة من خصائص تتميز بها عن غيرها من الدعوات التي تعج بها الساحة السياسية وقتها، ومن أهم هذه الخصائص والمميزات ما يلي:

أهم الخصائص:

1- سمو الهدف

فإن الدعوة إلى الله ونشر العلم الشرعي بين الناس وتعليم الجاهل والدعوة إلى عبادة الله وحده والتحذير من الشرك بكل مظاهره ومراتبه ومحاربة البدع والخرافات والعودة بالأمة المسلمة إلى ما كان عليه سلفها الصالح في القرون المفضلة وجمع كلمتهم على ألحق وتحكيم شرع الله في عباده في كل جانب من جوانب الحياة" وتأمين الخائف ونصر المظلوم وتأمين السبيل وإقامة الحدود الشرعية ومحاربة الجهل والفقر والمرض، والنهوض بهذه الأمة المسلمة من أسمى الغايات وأحسن الأعمال، قال تعالى: } Ÿwöq¨Bé& ßìÏm§ ÒOŠÎ=tæ { بل إن هذا هو الهدف من خلق الجن والإنس جميعا كما قال تعالى: } $B ÇÍÈ tbrßÎgô_ur ÉOó¡Ïm§ ÏM»ysÎ=»¢Á9$# { .[2]

ولهذه الخاصية فإن أحدا من الناس لا يختلف على سموها والقبول بها، واحترام من يسعى لتحقيقها في واقع الحياة، ومد يد العون والمساعدة والتأييد له، سيما وقد عرف سلامة المنهج وتطبيقاته في الماضي وصدق الداعي إليه والتزامه به قولا وفعلا واعتقادا.

(1) سورة فصلت آية : 33 .

(2) سورة الذاريات آية : 56- 58 .

2- الوضوح

وهذا الوضوح يشمل وضوح الدعوة في نفس الداعي إليها، وفي نفس المدعوين لها.

أما وضوحها في نفس الداعي فإنه - رحمه الله - قد وعى هذه الدعوة وتشرب مبادئها منذ الصغر على يد والديه ومعلميه وشيوخه، ومن كتب ورسائل إمام الدعوة وتلامذته، ومن سيرة آبائه وأجداده وتاريخ الدولة السعودية في مختلف أدوارها، وما تحقق لهذه الأمة في ظل هذه الدعوة من عز وتمكين وظهور، وما تركته من آثار عظيمة في نفوس الناس، وما غرسته من أصول المحبة والتقدير والاحترام لحملة هذه الدعوة، قادة كانوا أو علماء أو أفرادا.

ولهذا وغيره فإن الدعوة ومنهجها واضحان في نفس الملك عبد العزيز - رحمه الله - وهو مؤمن بها غاية الإيمان، ويرى أنها هي الطريق الوحيد لإقامة مشروعه الحضاري، وتحقيق غايته، وإسعاد هذه الأمة والنهوض بها.

ومن خطبه- رحمه الله - قوله: (أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله r وما جاء عن الخلفاء الراشدين، وأما ما كان غير موجود فيها فأرجع بشأنه إلى أقوال الأئمة الأربعة، فآخذ منها ما فيه صلاح المسلمين).

- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز - لخير الدين الزركلي ج3 ص 790، ويقول في نفس المؤلف: أنا مبشر أدعو لدين الإسلام ولنشره بين الأقوام.

أما وضوح الدعوة لدى المدعوين، فإن أهل هذه البلاد عن طريق التناقل وقراءة تاريخ هذه الديار يعرفون حالة نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وما كان أهلها فيه من ضيق وشدة، واختلاف وتناحر وفتن، وما كانوا فيه من جهل وفقر ومرض، ويعرفون هذه الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وما تم في ظلها من الأمن والأمان والاستقرار، وكثرة الخيرات، ووحدة الأمة على الدين، وتحكيم الشريعة، وإقامة العدل بين الناس.

بل وقبل هذا، يعرفون نقاء هذه الدعوة، وأنها قائمة على الكتاب والسنة وما أثر عن السلف الصالح، وتعتمد في الفقه على فقه الأئمة عامة، وعلى مذهب الإمام أحمد بوجه خاص، وأن الأحكام يبحث فيها عن قوة الدليل الشرعي، وأنها في مجال تحقيق التوحيد والدعوة إلى الله قد بلغت درجة عالية في دقة الفقه فيه، طهرت به اعتقاد الناس على هدى من القرآن والسنة، مقتدين بقوله تعالى: { ßx ø•Ã / 4?ã «ƒ $ ’Í (þãš þíšî™ ¾íÉ»d ø è } { Ç ÈšúüÏÎî 8 ` Bß x ßr «ƒ $ ` »s 3r ÓÍè6?$ÇBr } [1].

وعرف الناس كذلك ما لهذه الأسرة الكريمة من فضل في نشر هذه الدعوة بكل وسيلة والالتزام بها في خاصة أنفسهم، وفي جميع أعمالهم وتصرفاتهم، ووفائهم لمبادئها، والتضحية في سبيلها بكل غال ونفيس، وتقديمهم قوافل الشهداء من خيرة أبنائها والمؤمنين بها مما جعل الناس يهرعون إلى هذه الراية من أول يوم ظهرت فيه على يد القائد المؤسس، وهذا الوضوح يفسر كثرة المنضوين تحت لواء هذه الدعوة وسرعة امتدادها في كل الاتجاهات، وتسهيل فهم ما تحقق على يد الملك عبد العزيز من إنجازات مذهلة في فترة قصيرة في بيئة شديدة التعقيد والتداخل في الداخل والخارج.

(1) سورة يوسف آية : 108 .

3- الواقعية

ظهرت حركة الملك عبد العزيز في فترة شديدة العتمة لكثرة الجهل وقلة العلم والعلماء، فقلب الجزيرة العربية يموج بالفتن والعصبيات الجاهلية، وعدة الداعية إلى الله هم العلماء ورواد العلم الشرعي وحملته، وكان عددهم إذ ذاك قليلا جدا، ومع القلة فكثير من الدعاة بضاعته في علم الشريعة متواضعة، ولكنه - رحمه الله - استطاع بهذا العدد القليل والعلم المتواضع عند بعض طلاب العلم أن يوظفه توظيفا جيدا لخدمة الدعوة الجديدة، وسد الفراغ الموجود في الساحة.

فكان - رحمه الله - مهتما بنصب القضاة واختيارهم من أفضل الموجودين تنضم إليه يرتفع لواؤها عليها، والقاضي في عهد الملك عبد العزيز ليس مجرد حاكم بين الخصوم، بل هو حاكم ومعلم وداعية ومصدر إشعاع ثقافي وروحي وقدوة للناس في مختلف جوانب الحياة ورائد اجتماعي.

وبعد نصب القضاة تعيين الأئمة في المساجد في المدن والقرى والهجر، والإمام كذلك ليس مجرد إمام في الصلاة، بل هو إمام ومعلم بقدر طاقاته، داعية للخير ومحل اقتداء، وإن كان علمه محدودا وكذا ثقافته، إلا أنها ثقافة موظفة في خدمة الدين.

وتعيين الدعاة إلى الله ممن عرفوا بالصلاح وسلامة العقيدة والقدرة على مواجهة الجماهير والتأثير فيهم ولو كان علمه دون المطلوب في الداعية.

وكان- رحمه الله - يوفر لهذه الوظائف الدعوية الأمثل فالأمثل حسب الإمكان، إذ إن هذا واقع الناس من جهة، ومن جهة أخرى فالدعوة والدعاة تعامل المدعوين بواقعهم، وتخاطبهم بما يعرفون، وتدعوهم إلى أمور هي محل اتفاق، وتعتمد على الدليل من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ولا تتعداه إلى فرض الفروض وتصوير المسائل التي لم تحدث بعد.

4- التدرج

جاءت دعوة الملك عبد العزيز متدرجة في خطين أفقي ورأسي، أما التدرج الأفقي فإن دعوته - رحمه الله - تسبق حركته وتصاحبها وتخلفها في كل البلدان والمناطق التي جعلها هدفا لها، فهي تعلن أن حركة الملك عبد العزيز هي حركة دينية تجديدية إصلاحية تترسم خطى الدعوة السلفية التي قادها أجداده من قبله، وهي تصاحبه في أثناء عمله إذ تكون تصرفاته وأعماله ممثلة لما يدعو إليه قدر المستطاع، مقللا قدر المستطاع أعمال الضرورة التي قد تقتضيها الضرورة أحيانا، وتخلفه في كل بلد أو إقليم يدخل تحت طاعته بنصب القضاة وتعيين الأئمة الدعاة، وتعليم الناس، وجعل كل الأجهزة الأمنية وغيرها في خدمة الدين، وتنفيذ أحكام الشريعة، وإقامة العدل بين الناس.

أما التدرج الرأسي، فإنه يتمثل في توسيع فرص التعليم وتأهيل القضاة والدعاة والخطباء ونقلها من الجهود الفردية إلى جهود الدولة، ومن حلق الدروس في الجوامع إلى توسيع هذه المجالس العلمية وتعميم آثارها إلى إيجاد مؤسسات التعليم وتأهيل القضاة والدعاة والخطباء والوعاظ وغيرهم، بل جعل توعية الشعب كله بكل شرائحه أحد أهداف منهجه حتى ينهض كل فرد بمسؤوليته ويعرف واجبه وحقوقه.

وهذا التدرج واضح المعالم في تاريخ حركة الملك عبد العزيز من أول يوم دخل فيه الرياض إلى يوم أن لقي ربه، وكل ذلك مدون محفوظ يؤكد على الخاصية الهامة في منهج الدعوة إلى الله في عهد الملك عبد العزيز، فمنهاجه في التربية كان متدرجا من منهج واسع لقاعدة عريضة من الناس تتمثل في حفظ كتاب ثلاثة الأصول للإمام محمد بن عبد الوهاب وأركان الصلاة وشروطها وأساسيات العقيدة للعامة إلى الدورس على المشايخ في المساجد في حلق العلم على مستويات مختلفة، مبتدئين ومتوسطين.

5- الشمول

ومنهج الملك عبد العزيز - رحمه الله - في الدعوة يتصف بالعموم والشمول لجوانب الحياة كلها، يتناولها دفعة واحدة، فهو ليس مجرد داعية يقوم بالوعظ في مجامع الناس ويتكلم في الهواء الطلق للجماهير ثم ينصرف وليس في يده منه إلا ما أعده الله للدعاة.

ولكنه رجل دولة وحامل رسالة عظيمة، ومتطلع إلى إقامة مشروع حضاري يتمثل في دولة عزيزة وكيان قوي وشعب متحضر.

فهو وإن كانت الدعوة إلى الله هي الأساس عنده وهي المنطلق الفكري الذي يصدر عنه والرابط الذي يربطه بالأمة يسعى لتحقيقه، فإن متطلبات تحقيق هذه الأهداف السامية تقتضي منه نظرة شمولية واعية تتناول الماضي بعبره والحاضر بمعاناته ومتطلباته والمستقبل بكل آماله وتطلعاته، كما تتطلب دراسة الواقع بكل مكوناته وتداخلاته وبكل أبعاده وتشعباته، وتتناول الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والتدافع الدولي والأمن الداخلي والعلاقات الخارجية وأمور الدين والدنيا جميعا في وقت واحد، بنظرة متوازنة، وإتباع الأقوال أفعالا تؤيدها وتدل على صدقها، فهو مع الدعاة داع، ومع القضاة قاض، ومع الساسة سياسي، ومع الإداريين إداري، وفي مجال رعاية مصالح الأمة والد رحيم، وفي مجال الملك حاكم عدل.

ولهذا فإن مما أثر عن الملك عبد العزيز قوله: (أنا لست من رجال القول الذين يرمون القول بغير حساب، فأنا رجل عملي إذا قلت فعلت)

- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز لخير الدين الزركلي ج 3 ص 798

6- تعدد جوانب الدعوة

مناهج الدعوة عند الملك عبد العزيز كما هي في حركة الإصلاح والتجديد في نجد متعددة الجوانب، فهي دعوة وشرح لما يدعو إليه من أخذ بالكتاب والسنة والعودة بهذه الأمة المسلمة إلى ما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة، وإمام يلزم الدخول في طاعته وتأييده ومناصرته على الحق وإعانته على حراسة الدين ونشر تعاليمه وإقامة العدل بين الناس بتحكيم شرع الله فيما شجر بين أفراد الرعية، وأمر بالمعروف ونهي عن منكر، إلى جانب تحقيق الأمن والاستقرار في البلاد وتأمين السبل وتنشيط الحياة في كل مرفق من مرافقها.

ولكل جانب من هذه الجوانب المتعددة متطلباتها من القوى البشرية المؤهلة للقيام بما يوكل إليها فيه، مع ندرة الكفاءات وصعوبة الإنفاق المادي العزيز المنال، لا سيما مع ظروف نشأة هذه الدولة المعاصرة التي كانت الظروف كلها غير مواتية في ذلك كله، ومع ذلك فقد ضرب الملك عبد العزيز بسهم وافر في خدمة كل جانب من هذه الجوانب المتعددة ووضع أسس لكل مرفق من هذه المرافق، فوضع اللوائح لأنظمه البلاد وقواعد التعامل وأسس أجهزة القضاء والدعوة والإرشاد، ونظم هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحكم الشريعة في كل شأن من شؤون الدولة..

كل ذلك في أوقات متقاربة، وفي خطوط بيانية صاعدة ومتوازية لا يطغى جانب على غيره ولا يصرف الانشغال بأمر عن سواه، فهو يوحد هذا المجتمع بيد وينظم الحياة باليد الأخرى ويقيم صروح الأجهزة الأمنية والقضائية الدعوية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويندب الدعاة ويفكر ويعمل ويقوم الأعمال ويعالج الأخطاء، ويقوم المعوج كل ذلك في حركة دائبة ومتواصلة.

ولهذا فإن تضافر جوانب هذا المنهج ساعد على تحقيق غاياته والوصول إلى هدفه وكان معينا على نجاحه وحصول ثماره متمثلا في دولة رفيعة الشأن وكيان قوي له وزنه في المحيط الإقليمي والدولي، وحقق لهذه الأمة خيرا كثيرا ولا يزال الناس في هذه البلاد

يطمحون إلى المزيد من الرخاء والسعادة والأمن والاستقرار والنمو الشامل في كل مرافق الحياة.

المبحث الثالث

مظاهر الالتزام بالمنهج

لا شك أن ثقافة الداعية وفقهه فيما يدعو له وإيمانه بالله وثقته في صحة المنهج أمر مهم في نجاح الداعية، وأن سلامة المنهج الدعوي الذي يأخذ به يعد من أسس قبول الدعوة، وأن الأبعاد التي يرمي إليها من وراء نشاطه ضرورة لبلوغ الغاية، وأن توفر الخصائص المميزة لمنهج الداعية يوفر له المناخ الملائم للأخذ به وتقبله.

ولكن هذا كله يظل فكرا مجنحا لم يرتبط بالتزام من الداعية لما يدعو إليه، وتطبيقا عمليا على نفسه وعلى غيره، وتجسيد الدعوة في صورة محسوسة وأمثلة شاخصة يشهد بصدق الداعية ويحول المنهج النظري إلى عملي تطبيقي مُعَاش.

وقد أدرك الملك عبد العزيز - بتوفيق من الله له ثم بما منحه الله من سداد الرأي - هذه الحقيقة، وعمل بها في بناء هذه الدولة المعاصرة، القائمة على أساس الدعوة الإصلاحية في نجد ومنهجها في الدعوة والتوحيد والبناء.

وقد استطاع بحمد الله أن يحول هذه الدعوة إلى دولة، وهذا المنهج الدعوي إلى برنامج عملي تطبيقي لهذه الدولة، لا على الناس وحدهم بل على نفسه قبلهم. حتى شهد له بذلك الأعداء قبل الأصدقاء، وصار هذا الالتزام واضحا في مظاهر عديدة منها:

1 - تطبيق منهجه على نفسه

فالذين عاصرو الملك عبد العزيز - رحمه الله - وكتبوا عنه وعرفوا سيرته، وهم بحمد الله كثر، نقلوا وينقلون عنه سيرة وضيئة في نفسه وأهله وولده، فهو رجل عابد لله سبحانه، ملتزم بفرائض الإسلام في السفر والحضر والمنشط والمكره، مؤد للسنن، محافظ على صلاة التهجد في سفره وفي إقامته، وله ورد خاص به يؤديه في الصباح والمساء، وهو مطبوع ومتداول، ومعروف عنه استيقاظه قبل صلاة الفجر لصلاة الليل وبعد صلاة الفجر يبقى في مصلاه ويدعو ويستغفر ويكرر ورده الصباحي حتى تشرق الشمس ثم يصلي قبل أن يترك المسجد، ويحث أولاده وأهله على أداء فرائض الإسلام، ويحثهم على العبادة

والطاعة في كل وقت، ويتفقد أولاده في صلاة الفريضة ويعاقب من يتأخر عن الجماعة، وهذه سيرته في سفره وإقامته، وهو عفيف الجيب طاهر السريرة، ولا يعرف عنه ارتكاب أي مخالفة في حياته اليومية، ومحفوظ عنه - رحمه الله - قوله: (والله ثم والله إني لأفضل أن أكون على رأس جبل آكل من عشب الأرض وأعبد الله وحده من أن أكون ملكا على سائر الدنيا ومن فيها) - شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز جـــ 3 ص 795 -.

وكانت مجالسه وقصره محترمة لا يظهر فيها إلا ما كان موافقا للشرع متفقا مع منهج الدعوة، فلا غرابة أن يشترط في الاجتماع بالملك فيصل حاكم العراق أن لا يكون في المجلس معه موسيقي أو شرب دخان، وقد أبلغ السفير البريطاني بالشرطين في كتاب خاص - انظر السعوديون والحل الإسلامي - محمد جلال كشك جـــ 3 ص 63 -.

وكانت مجالسه رحمه الله مجالس علم وأدب وسياسة، إذ يتناقل الرواة وتحفظ المصادر التاريخية أن مجالس الملك عبد العزيز كانت مجالس علمية تبدأ عادة بقراءة إمام الملك الخاص عبد الرحمن القويز، ويبدأ بتفسير القرآن الكريم ويثني بالتاريخ ولا تزيد مدة القراءة عادة عن نصف ساعة يتنقل فيها من كتاب إلى كتاب ومن فصل إلى فصل، وقد يتكرر الدرس في اليوم مرتين، وكان هذا دأبه - رحمه الله - في الحضر والسفر، يقرأ عليه وهو على ظهور النجائب في الأسفار والمغازي.

ومن الكتب التي كانت تقرأ عليه في الحضر والسفر، الكتب التي كانت محل احترام أئمة الدعوة، ومنها:

أ - **في التفسير** تفسير ابن جرير - وتفسير ابن حبان وتفسير ابن كثير - والقرطبي والبغوي.

ب - **في الحديث** مسند الإمام أحمد - ورياض الصالحين وفضائل الإسلام والترغيب والترهيب.

جـــ - **في التوحيد** فتح المجيد وشروحه - واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.

د - **في السير** سيرة ابن هشام والبداية والنهاية وسراج الملوك والكامل لابن الأثير وتاريخ ابن غنام وابن بشر والسياسة الشرعية والأحكام السلطانية وغيرها.

هـ - **وفي الأدب** كتاب الأغاني والإمتاع والمؤانسة وديوان الحماسة لأبي تمام وديوان المتنبي وروضة الفضلاء وغيرها.

و - **في الوعظ** أهوال القبور لابن رجب، والجواب الكافي لابن القيم، ووظائف رمضان، والتذكرة لابن الجوزي.

وهذه المجالس العلمية الدائمة التي حافظ عليها - رحمه الله - مدة حياته تمثل الروافد الفكرية لهذا القائد المؤسس والتغذية المستمرة له ولجلسائه وأولاده ومحبيه تدفعهم إلى التمسك بما جاء فيها وتطبيقه على أنفسهم في كل حين، وهذا واحد من مظاهر الالتزام بالمنهج في حياة الملك عبد العزيز الخاصة.

2- تعيين القضاة والدعاة

ومن مظاهر الالتزام في منهج الدعوة عند الملك عبد العزيز التأكيد على علماء الشريعة الإسلامية في المملكة بأن يقوموا بواجب الدعوة إلى الله، إلى جانب ما يكلفون به من وظائف أخرى في الدولة كالقضاء والتعليم وغيرها، وأن يؤدي فريضة العلم كل قادر عليه سواء كان وفي وظائف الدولة أو خارجها من المتطوعين، وأن توسع حلقات الدروس في المساجد، ويتصدى للتدريس فيها كل قادر عليها، وقد بادر رحمه الله بتعيين القضاة في كل الأقاليم فور دخول كل منطقة في طاعته وأعطاهم صلاحيات واسعة لا في القضاء وحده، بل في الدعوة إلي الله وتعليم الناس والإشراف على المحاضرات وعلى الدعاة والوعظ في الحاضرة والبادية.

وندب القادرين على الدعوة إلى الله للقيام بواجب توعية المواطنين حاضرة وبادية، وخصص لهم الرواتب والمكافآت، وجعل الأجهزة الأمنية والدوائر الحكومية في خدمة الدعوة ورجالها.

وكانت للعلماء في نفس الملك عبد العزيز مكانة عظيمة وتقدير كبير لما كانوا عليه

من عفة ونزاهة وصدق في الدعوة وإخلاص في العمل وسداد في التدبير، ولما كانوا عليه من الزهد والقناعة وبذل أوقاتهم وإمكاناتهم في خدمة العلم وطلابه وإقامة العدل بين الناس.

وكان الرجل منهم إذا كلف بالعمل في أي إقليم من الأقاليم جلس للناس يدرس الطلاب ويؤهل الدعاة والقضاة، ويفض المنازعات بين الناس ويشغل وقته كله بما ينفع الناس، ومع ذلك فهو لا ينازعهم في دنياهم ولا يشاركهم في تجارتهم ولا يخوض فيما لا يعنيه، بل كان همه كله في تخريج الطلبة على المنهج الصحيح والتعليم الوظيفي النافع، ويقيم علاقات ود ومحبة بهم حتى بعد انتقال عمله عنهم إذ تكون المراسلات بينهم دائمة والتواصي بالحق والصبر عليه مواضيع المراسلات في الأعم والأغلب، ولا يتسع هذا الحيز المحدود الصفحات لهذا البحث لذكر أسماء العلماء والدعاة الذين عينهم الملك عبد العزيز في هذه المناصب ولا لذكر الصلاحيات التي منحت لهم، ويكفي أن يعلم القارئ بأن القضاء كان له الإشراف على كثير من مناشط التعليم والإشراف علي هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتأكد من سلامة منهجهم في الدعوة وتعاملهم مع العامة.

وهذا الاحترام والتقدير من الملك عبد العزيز لهؤلاء القضاة والدعاة لما كانوا عليه من الصلاح والنفع للناس والإخلاص لهذا الدين الذي جعلهم يعطون عطاءا منقطع النظير، ويكون لهم الرأي المطاع في الأمة، ويكونوا مرجعية سديدة تخدم المصلحة العامة للحاكم والمحكوم على السواء.

3- بناء الدولة على أساس الكتاب والسنة

ومن مظاهر الالتزام كذلك في منهج الدعوة في عهد الملك عبد العزيز إصراره على جعل الكتاب والسنة هما الأساس الذي تقوم عليه الدولة السعودية الحديثة في كل شأن من شؤونها، والذي تنبثق منه نظمها ولوائحها وقواعد العمل في كل وحدة من وحداتها الإدارية والتعليمية والفنية وطرح ما يخالفها مما كان معمولا به من قبل قيام الدولة سواء ما كانت عليه البادية في بعض أعمالها أو في بعض بلاد الحاضرة.

وقد ظهر ذلك بصورة جلية بعد فتح جدة وتوحيد المملكة والالتفاف إلى تنظيم مختلف أوجه النشاط في الدولة ووضع النظم والقواعد التي تنظم شؤون الحياة في المجالات المتعددة من قضاء وتعليم وأمن وتنظيمات داخلية أو علاقات خارجية وغيرها.

وكان الملك عبد العزيز - رحمه الله - يعتز بهذا الالتزام والتوجه، وهو فخور به ومصمم على انتهاجه، لهذا فقد جاء في إحدى خطبه - رحمه الله - قوله: (إن اعتصامي بالله وسيري على الطريقة المحمدية واقتدائي بعلماء المسلمين يدعوني - إن شاء الله - لعدم الجموح بالنفس وقد عاهدت الله على ثلاث:

1- الدعوة لكلمة التوحيد وتحكيم الشريعة في الرقيق.

2- الأخذ على يد السفيه وتحكيم السيف فيه.

3 - الإحسان إلى المحسن والعفو عن المسيء).

انظر الدعوة في عهد الملك عبد العزيز - لمحمد بن ناصر الشثري جـــ1 ص 203.

وقد أتبع هذا القول الواضح بعمل مؤسسي يتمثل في كثير من وجوه العمل، يأتي في مقدمة ذلك إلغاء ما كان موجودا في هذه البلاد مما يخالف الكتاب والسنة من قوانين أو أعراف ومواضعات تعارف الناس على الرجوع إليها عند الاختلاف أو الأخذ بها.

وحين سافر الملك عبد العزيز إلى مكة المكرمة عام 1343 هـــ قال: (إني مسافر إلى مكة لا لتسلط عليها بل لرفع المظالم والمغارم التي أرهقت كاهل عباد الله، إني مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها فلن يكون هناك بعد اليوم سلطان لغير الشرع). وتوجه إلى العلماء ورجال القضاء بقوله رحمه الله: (إن كتاب الله ديننا ومرجعنا وسنة رسوله r دليلنا. وفيها كل ما نحتاجه من خير ورشاد، ونحن من جانبنا سنحرص إن شاء الله كل الحرص على إقامته واتباعه وتحكيمه في كل أمر من الأمور.

- الدعوة في عهد الملك عبد العزيز لمحمد بن ناصر الشثري جـــ 1 ص 197، 198. وهو بهذا جعل علماء المملكة أمام مسؤوليتهم تجاه تطبيق الشريعة والالتزام بها وحدها في جميع أمور الدولة ومناشطها.

- ولهذا صدرت فتوى العلماء بتاريخ 88 هـ جاء فيها: (أما القوانين فإن كان موجودا منها شيء في الحجاز فيزال فورا ولا يحكم إلا بالشرع المطهر) الدرر السنية جـ 5، ص 319.

وتبع تعيين القضاة والدعاة الذي كان يتم من أول يوم دخل فيه رحمه الله الرياض عام 1319 هـ تأسيس وتنظيم المحاكم الشرعية وترتيب مسؤوليات القضاء ووضع القواعد والتعليمات للدوائر الشرعية وذلك فور دخول جدة، وقد أعطيت للقضاة صلاحية واسعة في أمور العبادات والمعاملات والتعليم والحسبة وذلك يؤكد الالتزام الكامل بالكتاب والسنة في بناء الدولة وتصريف شؤونها..

ثم تتابعت التوسعات في إنشاء الأجهزة المساعدة للمحاكم والقضاة كإدارة القضاء، وإدارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز عام 1346هـ وأنشئ ديوان المظالم ومجلس الشورى وإدارات التعليم والبلديات وغيرها، مما ساعد على تأدية المسؤولية في التزام الدولة بالكتاب والسنة.

وتعاهد رحمه الله هذه الأجهزة بالتطوير والتحديث، وزيادة إمكاناتها المادية والبشرية ومراجعة النظم والقواعد والإجراءات حتى أصبحت في وضع يتناسب مع دولة إسلامية حديثة تعطي صورة حية عن الإسلام وقدرته على النهوض بالأمة متى التزم أهله به قولا وعملا، وكان هذا الكيان العظيم ردا عمليا على المشككين في صلاحية الإسلام لقيادة الحياة المعاصرة.

4- بناؤه بهذه الدعوة قوة عسكرية لا تقهر

وأعني بذلك حركة الإخوان سكان الهجر، فإن الملك عبد العزيز - رحمه الله - قد استطاع بتوفيق الله ثم بصدق النية وقوة الإيمان بالله أن يبني على هذه الدعوة السلفية الإصلاحية قوة عسكرية لا تعرف رايتها الهزيمة في كل المعارك غير بها موازين القوى في جزيرة العرب وما جاورها لصالحه وخدمة مشروعه الحضاري.

ذلك أن القبائل العربية التي تتجول في قلب جزيرة العرب كانت في الماضي تكون في

صف هذا الطرف تارة ومع ذاك تارة وتدور مع مصالحها حيث تكون، ولهذا فإن أطراف النزاع في هذه المنطقة يتجاذبون هذه القبائل لتحقيق النصر على خصومهم في تأرجح شديد ومتكرر دون أن يكون لأحدهم ميزة على غيره، وكانت القوى الخارجية ذات أثر في تحريك هذه القوى والقدرة على تمييل ميزان قوة على أخرى.

ولكن بعد أن ركز الملك عبد العزيز - رحمه الله - في دعوته الإصلاحية على إحياء الدعوة السلفية التي قام بها الملك عبد العزيز في صفوف الحاضرة والبادية وأعطى اهتماما خاصا بالقبائل العربية ورجال البادية، وربطهم بهذه الدعوة وهذا الدين العظيم وبعث القضاة والدعاة والوعاظ في مضارب البادية وبدأت حركة التدين في صفوف رجال القبائل على يد الدعاة ثم فتح لهم باب الاستيطان في الهجر والعكوف على قراءة القرآن وحفظ ما تيسر منه، وعمرت مجالس الأمراء والوجهاء منهم والعلماء بالدروس العلمية والثقافية والدينية والتفقه على أيدي العلماء والدعاة..

وبدأت هذه المجالس تستقطب كل المستجيبين وتقرأ فيها السيرة النبوية ومغازي رسول الله r وتضحيات الصحابة لإعزاز هذا الدين وبيان ما أعد الله للمجاهدين من النعيم المقيم والحياة الكريمة في الدنيا والآخرة.

وأخذت هذه الدعوة صفة الحركة الشعبية التي تحارب البداوة وتدعو إلى الإقامة في الحضر، والمحافظة على الصلوات في الجماعة وتعلم أمور الدين والتشرب بروح الجهاد وتعميق روح الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين وإمامهم والنفرة من الكفار وأعداء الله أيا كانوا ووجوب محاربتهم بكل وسيلة شريفة ممكنة، فتحولت هذه الهجرة الجديدة إلى معسكرات إعداد للجهاد في سبيل الله تحتمل شعار (إخوان من طاع الله) وتعمق روح الأخوة الإسلامية وما تقتضيه من المحبة والنصرة والتأييد على الحق، وتحارب العصبيات القبلية والنعرات الجاهلية التي كانت سائدة قبل ذلك في قلب جزيرة العرب..

فصار منهم حفاظ القرآن ومن يحيي ليله بالطاعة والعبادة وقراءة القرآن مع الزهد في الدنيا ومظاهرها والقناعة بالقليل والشوق إلى الشهادة في سبيل الله لا في سبيل أي شخص

أو مطمع أو مصالح، بل لتحقيق مرضاة الله ونصرة دينه وإظهار دعوة الحق وإمامها الملك عبد العزيز - رحمه الله.

فبهذه الدعوة ضمن الملك عبد العزيز ولاء هذه القبائل وطاعتها له دون سواه، ممن لهم تواجد في المنطقة، وقطع بذلك العمل أطماع القوى الخارجية من تذبذب ولاء هذه القبائل حسب المصالح التي غالبا ما تكون في أيديهم وبدأ بظهور حركة الإخوان يحس ممثلو بريطانيا والعثمانيون أن الملك عبد العزيز - رحمه الله - بين زعماء العرب هو الذي يملك القوة الفاعلة والأقدر على تحريك الأحداث في هذا الجزء الهام من العالم، وأن غيره مغلوب لا محالة لأنه لا يملك مثل هذا السلاح، وأن الملك عبد العزيز قد تفرد بهذا الولاء من هذه القوة..

ولذا بدأت ألوية الجهاد تأخذ طابعا جديدا يحقق الامتداد السريع في فترة وجيزة لم يستطع خصومه أن يوقفوا هذا التمدد لا منفردين ولا مجتمعين و لم تستطع القوى الخارجية أن تنقذ أتباعها من هذا الاندفاع الجهادي الديني الذي أعطى ولاءه الكامل للملك عبد العزيز - رحمه الله - وحده، إذ إنه صاحب الدعوة الإصلاحية التجديدية وهو سليل الأبطال الأوائل من آل سعود الذين ناصروا الدعوة الإصلاحية في نجد من أول يوم.

ولهذا فإن الملك عبد العزيز كان يقول ويكرر في أكثر من مناسبة: (أنا الإخوان) ويعني بذلك أنه يتحمل مسؤولية أي عمل يقوم به الإخوان لأنه منهم ورائدهم ويتفق معهم في كل تصرفاتهم، فلم يجد المعارضون بدا من التسليم بزعامة هذا الإمام الداعية، و لم تجد القوى الخارجية بدا من الاعتراف به كقوة وحيدة في المنطقة ترتبط به مصالحها ولا تستغني عن التعامل معه لخدمة هذه المصالح ورعايتها.

أما كيف بدأت هذه الحركة الدعوية الإصلاحية السلفية فهذا يطول الحديث عنه، وهل كان الملك عبد العزيز - رحمه الله - هو الموحد لهذه الحركة المؤسس لها، أو أنها كانت موجودة ولكنه تعاون معها واستثمر جهودها، وإذا كانت موجودة فمن الذي بدأ في تأسيسها؟

إن المتتبع لكتابات الذين كانوا يرصدون التحركات في المنطقية مثل (ديكسون) الحاكم البريطاني للكويت (وبلغرايف) الذين يقولون بسبق حركة الإخوان للملك عبد العزيز، ويعزون وجودها إلى عام 1271 هـــ ويعزون كذلك تأسيس هذه الحركة لرجل يدعى عبد الكريم المغربي أو لعبد المحسن بن عبد الكريم أو لعبد الله بن عبد الكريم التميمي، ويرى (جوان جيب) في دراسة عن الإخوان أن مؤسس هذه الحركة هو الملك عبد العزيز، وهذا أيضا ما تقول به كتابات الجنرال (قلوب).

والمتأمل يجد أن هذاه الآراء متضاربة وأغلب ظني أن هذه الدراسات والمعلومات قام بها هؤلاء الغربيون بعد ظهور الإخوان كقوة عسكرية قاهرة في المنطقة، ذات كفاءة قتالية عالية وغير معهودة وأنها جاءت متأخرة عن إنشاء حركة الإخوان في بداياتها، ولهذا لم يستطيعوا أن يصلوا إلى الحقائق الكاملة عنها.

وأحسب أن كل واحد من هذين الاتجاهين معه جانب من الصواب وشيء من الخطأ، فإن جذور هذه الحركة ممتدة متجذرة في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود، وأن الدولة السعودية الأولى وكذا في الدور الثاني كانت متصلة الحركة إلا أنها بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي - رحمه الله - وحصول الخلاف بين أبنائه الإمام عبد الله وأخيه سعود في أواخر القرن الثاني عشر الهجري فقدت الدعوة قيادتها السياسية وتعثرت حركتها وامتدادها بفقدها عنصرا من أهم عناصرها وهو القيادة السياسية ولكنها مع ذلك ظلت دعوة متجذرة في نفوس أتباعها من الحاضرة والبادية، تمارس بشكل فردي وفي جماعات محدودة، وأن سوء أحوال البلاد في هذه الفاترة الحالكة الظلام قد هيأت نفوس أتباع هذه الحركة الإصلاحية للتحضير والبعث الجديد ولكنها كانت في نطاق محدود ثم أخذت في التكاثر قبل دخول الملك عبد العزيز - رحمه الله - إلى الرياض.

ويذكر الرواة من كبار السن أن بعث حركة الإخوان بدأت على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف - رحمه الله - حين طلب منه الإقامة في حائل في عهد ابن رشيد فجلس لطلاب العلم الشرعي في المسجد الذي كان يصلي فيه فاجتمع عليه عدد كبير من

الطلاب أكثرهم من قبيلة شمر وعدد آخر من حرب ومطير، وأن الشيخ - رحمه الله - كان تعاهدهم بالدروس في كتب الإمام محمد بن عبد الوهاب وتلامذة مدرسته، وأن الطلاب أقبلوا عليه بشكل كبير وهم في تعطش للعلم الشرعي وللقيام بواجب الدعوة إلى الدين وإحياء حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وكان الشيخ عبد الله - رحمه الله - رجلا فاضلا كريما بابه مفتوح للطلاب في كل وقت وسفرته ممدودة للجميع، فإذا خرج من المسجد سار خلفه طلابه على كثرتهم يتدافعون طلبا للقرب منه، وكان الشيخ عبد الله - رحمه الله - صاحب عقل راجح ورأي سديد وله هيبة واحترام، ويحظى باحترام الحاكم في حائل. وللعناية به وضع المخصصات السخية له.

ولكن اجتماع الطلاب به وكثرتهم حوله جعلت الوشاة يسعون إلى الحاكم ابن رشيد فاستدعاه وشكره على جهوده وأعماله وعرض عليه السماح له بالعودة إلى الرياض إذا كان له رغبة في ذلك، فشكره على هذا العرض وأستأذن الشيخ رحمه الله بالعودة إلى الرياض فأكرمه ابن رشيد وزوده بما يلزمه في العودة وشرهه، وكان الغرض فيما ينقل إبعاده عن الطلاب الذي تجمعوا حوله، ثم إن هؤلاء الطلاب كانوا هم طلائع البعث الجديد لهذه الدعوة الإصلاحية، وتمركزوا في جنوب حائل بين القصيم وحائل وبدأوا بالدعوة إلى الله على شكل أفراد وجماعات محدودة ثم تكاثروا وصار الدعاة ينشرون الدعوة بين القبائل العربية في البادية يؤمونهم في البرية ويعظونهم في الفلوات.

وأثناء تواجدهم على المياه في فصل الصيف، وفي شهر رمضان، فصار عند البادية تهيؤ لنهضة دينية وتبرم بحياة البداوة وما فيها من تقصير في أمور الدين وضيق في العيش فانتشر الوعي الديني إلا أن هذا العمل التحضيري الذي بدأ قبل دخول الملك عبد العزيز بالرياض وقبل اتصاله بهذا التيار الديني الموجود في الساحة لم يتمثل في حركة محسوسة فاعلة على الساحة السياسية إلا بعد أن اتصل الملك عبد العزيز بهذا النشاط وحمله الوعي الديني وأعطاه بعدا اجتماعيا وسياسيا وحركة منظمة كانت بدايتها عملية توطين البادية على

المياه التي تملكها أولها فيها حق.

ولهذا فإن رواية الأستاذ محمد جلال كشك عن سمو الأمير مساعد بن عبد الرحمن وأنه قال له في مقابلة معه في رجب 1401 هـ أنه لما ظهرت حركة الإخوان كردة فعل على طبيعة للمناخ الحركي الذي أثارته عودة البيت السعودي إلى نجد والجذور المتأصلة للحركة الوهابية في تربة ونجد، فبدأت جماعات من العظيمات من حرب وبني عبد الله مطير تهاجر إلى منطقة ما بين حايل والقصيم وشجعهم عبد العزيز.

ثم عقد اجتماعا حضره الإمام عبد الرحمن الفيصل والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ حمد بن فارس وعبد العزيز جرى فيه بحث هذه الحركة وإمكانات تطويرها، وقد اقترح الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف أن لا يترك هؤلاء في هجر خاصة معزولة في البادية بل يشجعوا على سكنى القرى والمدن، ويقول إن الأمير مساعد رحمه الله يقول:

(إن نظرة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف كانت أكثر بعدا، إذ كان يخشى أن تصبح لهم عصبية خاصة ولكن المجتمعين لم يأخذوا بوجهة نظره التي ثبتت صحتها ففيما بعد) فهذا النص يتفق مع الروايات المتناقلة من كبار السن من أن هذه الدعوة كانت موجودة ومتجذرة في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحية في نفوس الناس بعيد غياب القيادة السعودية بنهاية الدور الثاني للدولة السعودية، وأن حركة بعث جديدة بدأت من دروس الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في حائل وامتدت إلى بعض القبائل بعد ذلك حتى صار لها وجود محسوس للعلماء والراصدين لحركة المجتمع في هذه البلاد.

ولكن هذه الدعوة لم تأخذ بعدها الحقيقي إلا بعد اتصال الملك عبد العزيز بها واحتضانه لحملتها وقادتها، وبدأت بالظهور المحسوس بتوطين البادية في الهجر ابتداء من عام 1330 هـ بأول هجرة وهي هجرة الأرطاوية بقيادة فيصل الدويش، وكان الملك عبد العزيز في أول أمرها حريصا على إخفاء هذه الحركة عن الأجانب والزوار وعدم التحدث عنها أو إتاحة الفرصة لزيارتها حتى اشتهر أمرها وعرفت في ساحات الجهاد.

ولهذا فإن الملك عبد العزيز واللجنة التي اجتمعت لبحث عملية التوطين، اجتمعت قبل

تأسيس الهجر و لم يبحث موضوع الدعوة ونشرها؛ لأنها كانت موجودة، وإنما كان البحث في تطوير عملها وزيادة فعاليتها وتهيئتها للدور المطلوب منها في نصرة الدين في صورة قوات عسكرية ضاربة لا يخاف أفرادها الموت، بل الشهادة في سبيل الله من أعز مطالبها، ولهذا فإنهم معروف عنهم رحمهم الله أنهم عند دخول أي معركة كانوا يلبسون الثياب الجميلة ويتطيبون ويودع بعضهم بعضا ويتواصون بالإخلاص في الجهاد، وبمن يخلفه من مات منهم في الأولاد والنساء في كل معركة ويدخلون المعركة بقولهم: هبت هبوب الجنة وأين أنت يا باغيها؟

وقد وحد الدين بين أفراد القبائل وجعلوا الولاء لله وحده والانتماء لهذا الدين لا للقبيلة ولا للعشيرة، بل كانوا يحاربون العصبيات الجاهلية ويحارب الأخ أخاه إذا خالفه في الدين، وبذلك استطاع الملك عبد العزيز بهذه التربية أن يقاتل الأشراف بالأشراف وحكام حائل بالإخوان من شمر وغيرهم، فلا ولاء ولا طاعة إلا لله ولرسوله ولإمام المسلمين وقتها الملك عبد العزيز.

5- إنشاء مؤسسات تأهيل القضاة والدعاة

ما دام أن الدولة قائمة على الكتاب والسنة والدعوة إلى الله فإن من مظاهر الالتزام بهذا المنهج الاهتمام بإنشاء مؤسسات القضاة والدعاة والخروج بها من الحالة المحدودة التي كانت عليها والمقتصرة على الدراسة في حلق الدراسة على المشايخ في المساجد في كبريات مدن المملكة وعلى جهود تطوعية إلى مؤسسات تعليمية منظمة تسير على النظم والمناهج الحديثة التي كانت موجودة في مصر والشام والبلاد الأخرى ترعاها الدولة الجديدة وتنفق عليها وتجلب لها كبار الأساتذة في مختلف العلوم اللازمة لإعداد القضاة والدعاة وتشجيع الطلاب على الانخراط فيها وتضع لهم من الحوافز ما يجذبهم إلى الدخول في التعليم الشرعي وإغناء الدولة بعد ذلك بخريجي هذه المؤسسات من أوائل وخيرة الطلاب المبرزين في مختلف العلوم.

وإذا كان توحيد المملكة قد تم بضم الحجاز إلى الدولة السعودية عام 1344 ص فإن

اهتمام الملك عبد العزيز بالتعليم يظهر في إنشاء مديرية المعارف عام 1344 هـ وكانت العلوم الشرعية في المدارس كافة تأخذ مكانا بارزا في الخطط الدراسية والمناهج التعليمية في كل المراحل، ومع ذلك فإن الملك عبد العزيز قد اهتم بشكل خاص بمؤسسات التعليم الشرعي فأنشأ إلى جانب المعهد السعودي بمكة المكرمة الذي افتتح في عام 1344 هـ ومدرسة الأمراء عام 1354 هـ ومدرسة تحضير البعثات عام 1355 هـ.

أنشأ كذلك دار التوحيد بالطائف عام 1364 هـ، وهي مؤسسة علمية تعنى بالعلوم الشرعية والعربية وتخرج القضاة والدعاة والوعاظ وغيرهم، كما أنشئت بعدها كلية الشريعة بمكة المكرمة عام 1369 هـ ثم المعهد العلمي بالرياض عام 1370 هـ ثم توسعت المملكة في فتح المعاهد العلمية في مختلف مناطق المملكة حتى كونت شبكة تعليمية واسعة النشاط تعد رديفة لوزارة المعارف ثم أنشأت كلية الشريعة بالرياض عام 1373 هـ ثم حولت كليتي الشريعة في مكة المكرمة والرياض إلى جامعات إسلامية إلى جانب الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة إلى جانب أقسام الدراسات الإسلامية الموجودة في معظم جامعات المملكة.

وهذا كله مظهر من مظاهر الالتزام التام بمنهج الدعوة الإسلامية التي بنى عليه الملك المؤسس مشروعه الحضاري ورسخ بها الدولة السعودية الحديثة التي تجمع بين التمسك بالإسلام والمنهج السلفي وبين الاستفادة الواعية من العلوم الحديثة.

وبذلك وصلت المملكة في فترة وجيزة إلى هذه الإنجازات الضخمة والكيان الراسخ.

6- اعتبار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة من وظائف الدولة

قبل دخول الملك عبد العزيز الرياض كانت الحسبة وظيفة الأفراد الذين لهم غيرة على الدين وعلى طلاب العلم وتخضع لاجتهادات الأفراد.

ولما دخل الملك عبد العزيز الرياض عام 1319 هـ شكل لجنة برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل الشيخ وعضوية كل من: الشيخ عمر بن حسين آل الشيخ والشيخ عبد الرحمن بن إسحاق آل الشيخ والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ

مساعدين له، وتم وضع تنظيم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتزويد هذه اللجنة أو الهيئة بالأعوان والدعاة وجعل معهم جنود رسميون ليقفوا على هذا العمل ذي الطابع الحكومي الرسمي.

ثم عين هيئات تقوم بالحسبة في كل مدينة أو قرية وفق تدرج زمني وتحديد الأولويات ثم توسع نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأعطي رجالها صلاحيات واسعة ودعموا بقوات خاصة صار لهم حق السجن والتأديب وغير ذلك، ثم صار فيه رئاسة للهيئات في المنطقة الوسطى والشرقية وأخرى في المنطقة الغربية ويتبع كل رئاسة من هذه الرئاسات هيئات في كل بلد وهجرة أو قرية في طول البلاد وعرضها، وصارت هذه المهمة من أول يوم من دخول الملك عبد العزيز الرياض وظيفة من وظائف الدولة تقوم عليها وترعاها وتوجهها وتمدها بكل الوسائل الممكنة التي تمكنها من أداء وظيفتها بصورة جيدة.

وكان من التقاليد الحميدة التي أخذ بها الملك عبد العزيز منذ قيام دولته في تخصيص جلسة في يوم من أيام الأسبوع يجتمع فيها بكبار العلماء في جلسة عامة ومتكررة بصفة دائمة وهذه الجلسة مخصصة لبحث أحوال المجتمع وحالة الدعوة وأمور الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتدارس أحوال المجتمع واستمرار هذا المنهج طيلة حياة الملك عبد العزيز، وبعده إلى اليوم وإن كانت خفت المسائل التي تطرح في هذا المجلس لوجود بدائل ووسائل أخرى تقوم مقام الحديث في هذه المجالس، وأكثرها تعتمد على الدراسة والبحث والنقاش. وكانت صلاحيات رجال الحسبة واسعة جدا في أول الأمر تتناول المعاملات والعبادات والظواهر الاجتماعية في مختلف جوانب الحياة في المجتمع، وهذا باب واسع يطول الحديث عنه ويحتاج إلى حيز أوسع، وهو مظهر من مظاهر الالتزام بمنهج الملك عبد العزيز في الدعوة إلى الله.

المبحث الرابع أثر المنهج الدعوى للملك عبد العزيز فيمن بعده

لقد كان لمنهج الملك عبد العزيز الدعوي أثره البالغ في تحقيق مشروعه الحضاري وإقامة الدولة السعودية الحديثة على أصول الدين ومنهج السلف الصالح وسيرة أسلافه رحمهم الله، كما ترك أثرا أبعد من ذلك في وضع أسس بناء دولة المؤسسات القادرة على استيعاب التطورات والتنمية الشاملة ومواجهة التحديات مهما كان نوعها، وتدريب القيادات الرشيدة في مدرسته المتفوقة، ويتمثل أهم جوانب هذا الأثر في الخطوط الرئيسة التالية:

1 - التربية القيادية في مدرسته الحديثة

لم يكن الملك عبد العزيز - رحمه الله - مجرد داعية إلى الله يلقي كلمة الحق على الناس ثم يمضي في طريقه مكتفيا بأداء مهمة البلاغ وبراءة الذمة من كتمان كلمة الحق ونشر العلم، ولكنه كان قائدا فذا طرح الإسلام منهجا لمشروعه الحضاري متعدد الجوانب متساند العطاء استطاع أن يسم منهجه بخصائص متميزة في التكامل وتعدد الوسائل، ثم ألزم نفسه وأهله وكل من دخل في طاعته بهذا المنهج، وجسد هذه الدعوة في صورة واقعية محسوسة مثمرة الأمن والأمان والاستقرار ومقيمة لهذا الدين على أصول الثابتة وقواعده المقررة ليحقق للإنسان في هذا الوطن أمنه وسعادته وطموحه ويفتح له آفاق التنمية الشاملة في مختلف مرافق الحياة.

وهو في هذا العمل الدائب منذ أن دخل - رحمه الله - الرياض في عام 1319 هـ حتى التحق بالرفيق الأعلى في الثمانينات من القرن الهجري عام 1372 هـ لا يعمل وحده في عمليات التوحيد ولا في مهمات البناء ولكنه كان قائد مدرسة علمية وعسكرية وثقافية متعددة جوانب العطاء والتجدد ورائد نهضة حديثة أعاد لأبناء هذه الأمة المسلمة الثقة الكاملة في صلاحية هذا الدين لإقامة نهضة جديدة وحضارة حديثة على أصول هذا الدين الحنيف، وإلى إمكان الجمع بين التمسك بالثوابت في هذا الدين والمحافظة على الأصالة الإسلامية وبين محاولة التجديد في الوسائل وتطوير الأساليب وفقا للظروف

الحاضرة ومواجهة المتغيرات الجديدة.

وكان أبرز طلاب هذه المدرسة هم أبناء الملك عبد العزيز وأحفاده وأفراد الأسرة السعودية الكريمة الذين تربوا في هذه المدرسة فترة طويلة تفوق في امتدادها الزمني السلم التعليمي المتكامل بعشرات المرات في أي مبنى تعليمي تبعد عن المبنى بضعة أمتار ولكن مدرسة الملك عبد العزيز مدرسة عملية مفتوحة على الحياة كلها بكل ما فيها ومن فيها في دوائر متعددة تبدأ الدائرة الأولى بحدود المملكة العربية السعودية ثم تتجاوزها إلى المحيط الإقليمي ثم المحيط الدولي وبكل ما في كل دائرة من هذه الدوائر من أفكار وقسيم وأعمال واتفاق واختلاف وحب وكره وأنشطة وتدافع على القيم والمصالح والمنافع.

والملك عبد العزيز - رحمه الله - في هذه المدرسة هو المعلم الأول والمربي الكبير الموجه لأنشطة هذه المدرسة، والمرسخ لمفاهيمها وقيمها وأعمالها والمسدد لرجالها والمقوم لأداء المنتمين إليها.

وقد تشرب طلاب هذه المدرسة ما لدى القائد المؤسس من أفكار وقيم تصورات وأعمال ومواقف ومعالجات، ووعوا كل الدروس التي ألقاها الملك عبد العزيز في هذه المدرسة واستفادوا من كل المواقف والعبر والسياسات التي مرت بهم أثناء تطبيق منهجه الإصلاحي في مشروعه الحضاري، ولم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن رسخت أقدام أبنائه وحفدته وأسرته السعودية في فن القيادة الإسلامية الراشدة وتأهل الجميع لحمل الأمانة من بعده وبرعوا في حسن الإدارة والقدرة على حماية هذه المكتسبات.

وبعد أن ذاقت الأمة طعم الراحة ونعمة الأمن والاستقرار وفضل الله عدى الجميع بتطبيق الشريعة والعدل بين الناس، ولهذا فإن المملكة العربية السعودية لم تتأثر بغياب الملك عبد العزيز - رحمه الله - لأن أبناءه من بعده قاموا في أمر الأمة بما لا يقوم به أحد سواهم، إذا أكدوا على الأسس وترسيخها وعملوا على إشادة البناء ورفعه في كل مجال من مجالات الحياة في فترة زمنية قياسية لم يسبقوا إليها تشهد بذلك الأرقام الإحصائية في كل المجالات الصاعدة في كل مرفق من مرافق الدولة.

ومرت المملكة العربية السعودية بعد الملك عبد العزيز بمراحل تطويرية متعددة حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم ويشاهده الجميع، وكل ذلك أثر من آثار المنهج الدعوي للملك عبد العزيز ووعيه واستمرار تطبيقه في حياته وبعد موته على أيدي أبنائه البررة والمخلصين من رجالات هذا البلد وأبنائه.

ولا تزال هذه المدرسة تتسع وتخرج وتؤهل الأحفاد للأجيال القادمة لقيادتنا الرشيدة وتوسع نطاق معرفتها وخبراتها بالمستجدات في الحياة المعاصرة، وهي بإذن الله قادرة على مواجهة كل الأحوال والظروف ما دامت متمسكة بهذا الدين وعاملة به ونرجو لها عمرا مديدا في ظله.

2- القدرة على مواجهة التحديات

ومن آثار المنهج الدعوي للملك عبد العزيز - رحمه الله - القدرة على مواجهة التحديات في كل عصر بما يناسبه، ذلك أن هذا المنهج السديد بني على توازنات دقيقة ونظرة شمولية صائبة ونفذ بطرق ووسائل متعددة.

يقوم هذا المنهج على توازن بين القوة والحكمة وبين التعليم والتربية وبين الدين والدنيا وبين الدنيا والآخرة وبين الدولة والدعوة، وينتظر للحياة بكل أجزائها ومكوناتها نظرة واحدة إلى الحاضر والمستقبل في سياق واحد وبشمولية كاملة في الزمان والمكان والأشخاص والأفكار وغيرها.

وبتنفيذ هذا المنهج بكل الوسائل الشريفة الممكنة في كل عصر بما يناسبه بالقول والفعل والمال والممارسة وضرب المثال الشاخص والفعل المحسوس والصور المشاهدة وغيرها من الوسائل المرنة والمؤثرة في الغير وذات الرؤية الشمولية الواضحة.

ومن أجل هذا فإن من آثار هذا المنهج الدعوي عند الملك عبد العزيز القدرة على مواجهة التحديات في الماضي والحاضر والمستقبل إذا أحسن تطبيقه، فقد واجه الملك عبد العزيز بهذا المنهج تحديات كثيرة تتمثل في الاختلاف بين الناس وتفرق الكلمة والتنازع على أمور كثيرة واستحكام العصبيات الجاهلية وما نتج عن ذلك كله من اختلال الأمن

وتفشي الجهل وانتشار المرض وشدة الفقر.

وكان هذا المنهج وتطبيقاته قادرا على استيعاب كل هذه التناقضات وتفكيك أجزائها وإعادة صياغتها في ذلك النموذج الفريد في تاريخ هذه الجزيرة بعد عهد النبوة والعهد الزاهر للإسلام في الصدر الأول، وقد تجاوز بهذه البلاد وأهلها كل هذه العصبيات بالحكمة المصحوبة بالقوة في فترة وجيزة فآخى بين أهلها ووحد كلمتهم على الحق ورص صفوفهم ووحد مشربهم وثقافتهم وانتماءهم لهذا الدين.

وقد واجه أبناء المؤسس - رحمه الله - تحديات من نوع آخر هي الرياح العاتية التي تعرض لها هذا الكيان العظيم في الماضي والمتمثلة في النزعات القومية المعادية للإسلام والمذاهب الاشتراكية التي تمثل وجها من وجوه الشيوعية الدولية والأفكار الإلحادية والقيم الليبرالية، وقد واجهت هذه التراهات والأطروحات بنفس المنهج الدعوي الذي أقام به الملك عبد العزيز هذه الدولة العظيمة فأثبتت بحمد الله رسوخها وثبات أبنائها ورد الله كيد الأعداء في نحورهم وخرجت هذه الدولة من كل هذه المواقف كأشد ما تكون قوة وتماسكا ومضاء.

وهي في نفس الوقت الذي تواجه التدافع الدولي والمذاهب الوافدة تواجه تحديات أخرى في معارك البناء والتشييد في الداخل والعمل على تحقيق التنمية الشاملة للدولة السعودية إنسانا وموارد وإدارة واقتصادا وتشييدا وبناء وتطويرا مستمرا حتى حققت المملكة أعلى نسبة نمو في المنطقة في مجال التنمية ولا تزال تغذ السير وتشيد البناء.

ويتوقع أن تواجه الدولة السعودية في المستقبل تحديات من نوع ثالث يختلف عما سبق من تحديات تتمثل في الحروب الاقتصادية والتكتلات الدولية والنزاع على المياه والممرات والتجارة الدولية ومشاريع الأمم المتحدة التي بدأت تطل على العالم برؤوسها في صورة مؤتمرات للسكان والشباب والتجارة وغيرها، والنظام الدولي الجديد والاتجاه إلى العولمة بما تهدف إليه من رفع خصوصيات الأمم ومحاولة الانتفاض من سيادتها.

ويزيد من خطورة هذه التحديات وقوع المملكة العربية السعودية في مركز الدائرة في

أهم حضارة إنسانية عرفها الناس في التاريخ وفي أهم مركز لتصدير الطاقة التي لا يستغني عنها اليوم، وأن تكون الأمة العربية والإسلامية في أهم بقعة من الأرض بما فيها من موارد مادية وبشرية وممرات دولية، كل ذلك يجعلها محط أنظار العالم ومجال تحركاته.

ونحن على ثقة بالله بأن هذه الأمة ستتجاوز هذه التحديات ما دامت متمسكة بأهداف هذا الدين وملتزمة بمنهج القائد المؤسس الملك عبد العزيز ومربية لأبناء هذا الوطن على هديه في العقيدة والشريعة والعبادة والنظام والأخلاق والقيم، وتكون جديرة بالحراسة من الله جل شأنه.

3- تأكيد التلاحم بين الدولة ورسالتها في الحياة

ذلك أن المنهج الدعوي عند الملك عبد العزيز لم يكن اعتماده على القوة الفعلية فحسب بل كان منهجا مؤسسا على أصول هذا الدين وقواعده الراسخة والمستقر احترامها في نفوس الناس منذ عهد النبوة حتى اليوم، فهي قائمة على العقيدة السمحة الواضحة والدولة الإسلامية الحارسة لهذا الدين والمقيمة للشريعة والمؤكدة على تحرير الإنسان من عبوديته لأخيه الإنسان وجعل الناس كلهم عبادا لله لا شريك له وإخراج الإنسان بهذا الدين من دواعي هوى نفسه إلى عبادة ربه وتحقيق العبودية لله وحده لا شريك له في العبادة والقصد والطلب والتوجه.

ووظيفة هذه الدولة وفق المنهج الدعوي للملك عبد العزيز هي حراسة هذا الدين والدعوة إليه ونشر مبادئه وإشاعة علوم الشريعة وخدمة اللغة العربية التي هي الوعاء لهذه العقيدة ولفكرة الثقافة الإسلامية وإلزام الناس بالطاعة له سبحانه ومنع الخروج عليه تحت أي ذريعة أو عذر أو ضرورة.

وكان الربط واضحا ومكينا في منهج الملك عبد العزيز بين هذه الدولة ورسالتها في الحياة وأنه لا استمرار لهذه الدولة إلا بحملها لهذه الرسالة والتضحية في سبيلها بالمال والنفس والنفيس في كل الأحوال والظروف.

والذين عاصروا الملك عبد العزيز ونهلوا من معرفته وتشربوا حياته وسيرته ومأخذه

للأمور يعرفون مقدار هذا الربط ووضوحه وصدق الالتزام به، وفي مقدمتهم أبناؤه البررة والمخلصون من رجال دولته.

ولهذا فإن هذه الدولة تعتبر هذا الربط والالتزام أحد أهم الثوابت في سياسة المملكة وتعاملها مع الآخرين في الداخل والخارج في كل العهود، ويعتقد رجالها وقادتها أن أي إخلال بهذا الربط والالتزام هو إخلال بأهم مقوم من مقومات الدولة السعودية.

ولهذا فإن التأكيد عليه يتكرر في كل مناسبة ويؤكد عليه في كل الظروف، وهو التزام يعطي بُعده الاجتماعي والجماهيري في نفوس الناس كافة ويؤكد شرعية القيادة واستمرارها ويعد حافزا من حوافز الطاعة لها والبذل في سبيل المحافظة عليها وشرفا في الانتماء إليها، وهذا الربط الدقيق بين هذه الدولة ورسالتها التي حددها المنهج يجعل مداها يتجاوز حدود الزمان والمكان والأشخاص إلى العالمية والأممية المتجددة ويمنحها زخما في الإشادة والبناء والاستمرار.

الخاتمة

بعد هذه السياحة السريعة في خصائص المنهج الدعوي عند الملك عبد العزيز، وأثره والإشارة المقتضبة إلى مظاهر الالتزام بالمنهج والثبات عليه، نستطيع أن نقول: إن التخطيط للدعوة ووضع منهج لها على هذا المستوى من التخطيط والأداء الجيد والتنفيذ المتقن، يقود الباحث إلى استجلاء شخصية المخطط وثقافته ورافد فكره الذي قاده إلى هذا المشروع الحضاري الضخم، وساعده في وضع منهج دعوي سليم أدى إلى عمل ناجح متقن، ومحاولة التعرف على المنهج وأبعاده العديدة، والتي أجملها البحث في عدة بنود رئيسة كما يدفع إلى التعرف على خصائص هذا المنهج والتي أجملتها في سبعة بنود هي:

سمو الهدف - الوضوح في الدعوة لدى الداعية والمدعوين والمنهج نفسه، وأنه منهج واقعي يأخذ الحياة الاجتماعية كما هي ويعالجها بالوسائل المتاحة فيها من غير استجلاب عناصر خارجية عنه بعيدا عن المثالية والخيال المجنح الذي لا يوجد إلا في رؤوس الفلاسفة والمفكرين الخياليين.

وأن من خصائص هذا المنهج التدرج في الدعوة ومراعاة شرائح المجتمع واحتياجاته وحاجاته الدولة في الحاضر وفي المستقبل، ولهذا جاء على مستويات متعددة وأنماط مختلفة يفرق بين العامة والخاصة وبين المبتدئين والمتوسطين والمنتهين وغيرها.

وهو مع هذا كله يتسم بالعموم والشمول لكل مرافق الحياة والأحياء ويشتمل على القوة والحكمة وعلى الدين والدنيا وعلى حاضره والمستقبل، وهو مع هذا متعدد الجوانب في الأمن والاستقرار والقضاء والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوة الفرد والجماعات، ويتناول المال والاقتصاد والسياسة الداخلية والخارجية وغيرها.

و لم لكن هذا المنهج الدعوي مع تعدد خصائصه وأبعاده مجرد أفكار عابرة أو تمنيات مجنحة بل منهجا تطبيقيا ملتزما في المنشط والمكره، في السلم والحرب على العامة والخاصة، بدءا برأس الدولة وإمام الدعوة، وانتهاء بأفراد الأمة ومظاهر الالتزام بهذا المنهج، تمثل معالم بارزة في مختلف سيرة المؤسس - رحمه الله - وسيرة أعوانه وأتباعه وحملة هذه الدعوة في

مختلف مستويات المسؤولية، وفي إنشاء وبناء ودعم مؤسسات الدولة الحديثة وإنشاء وحداتها الإدارية وسن النظم واللوائح وقواعد سير العمل في مختلف الأجهزة الحكومية وإقامة القضاء والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم بصفة عامه وبناء مؤسسات التعليم الشرعي بصفة خاصة يمثل مكانا بارزا في بناء هذا الكيان العظيم، وكلها شواهد صدق على الالتزام بهذا الدين ومنهجه الإصلاحي.

ولا شك أن هذا النجاح العظيم الذي تحقق على يد الملك عبد العزيز قاد إلى نجاحات واسعة على يد أبنائه البررة وحملة الأمانة من بعده لاعتبارات عديدة، ولعل أهمها أنه خلف وراءه مدرسة علمية واعية بحقائق هذه الدعوة ومستوعبة لدروسها وعبرها ومتمرسة على العمل القيادي الناجح في عهد الملك المؤسس وهاضمة للسياسة المحلية والدولية، وقد مارست وطبقت كل الدروس على يد الملك عبد العزيز - رحمه الله -.

ولهذا فإنها قد استطاعت بهذا المنهج السديد أن تواجه كل التحديات التي مرت بها سواء كانت في عهد الملك عبد العزيز أو في عهود من خلفه من أبنائه، وسواء كانت في الماضي أو الحاضر أو في المستقبل، فإن التزام هذا المنهج كفيل بإذن الله بأن يتجاوز كل التحديات بنجاح ما دامت هذه الدولة العظيمة واعية لرسالتها محافظة على منهجها الذي وضع أسسه الملك عبد العزيز - يرحمه الله -، ونرجو لهذه الأمة على يد قادتها العظام كل تقدم ونماء في ظل الإسلام وهدي كتابه وسيرة سلفنا الصالح، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الالتزام بمنهج الدعوة الإسلامية
عند الملك عبد العزيز

إعداد

أ. د: عبد الرحمن بن زيد الزنيدي

عضو هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الالتزام بمنهج الدعوة الإسلامية عند الملك عبد العزيز

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وبعد: فإن الدعوة الإسلامية مهمة المسلم اللازمة بحكم إسلامه، ووظيفة الأمة الإسلامية بحكم شهادتها على الناس، وانتصابها للخيرية التي ميزتها على الأمم سواها { þBé žöz ¤ÑÇZä } (1).

{ «ï Ÿ bqŽBs²r ì 6 Z¤¤ÇÇã šc ög¥?r Å rææJ¤Ÿ br¤ÃÛ? Ä $¥-Ï Ñ M_ ì-zé

ولقد واجهت الدعوة الإسلامية خلال مسيرتها التاريخية أنواعا من العوائق والمشكلات التي كلفتها تضحيات كبيرة وجهودا مكثفة، وهذا من منظور منطقي أمر مفترض للدعوة التي تواجه الوثنية التي استمرأتها النفوس التائهة، والتي تحارب القيم الجائرة ظلما وفحشا وفجورا ودجلا وشعوذة، والمسالك التي جعلها الماكرون والطواغيت مصدر استغلال للناس، واستعباد لهم.

لهذا فالدعوة مهيأة ومؤهلة لمغالبة هذه العوائق؛ طلبا لرضوان الله الذي من أسباب نوله جهد الإنسان وطاقته، وإيمانا بأن الحق - وإن بدأ غريبا - فإنه الأحق بالبقاء والظهور على الباطل وإن انتفش { ß‚ ãð‹ù ¨ $Z9$ßÿZƒ $B $B&r ‚$ÿã Ü dõŠù ‰/"9$$B'ù

{ Çí öF{$'î } (2) لكن هناك نوعا آخر من المشكلات مردها إلى القائمين بالدعوة، أو إلى الظروف التاريخية التي يتعاملون معها، خاصة في عصرنا الحاضر.

ومثل هذه المشكلات هي الخطر الموهن للدعوة، أو الماحق لها إذا تفاقمت تلك المشكلات.

فمثلا: وجود خلل في المنهج الدعوي نفسه لدى شخص أو هيئة، أو حتى كتلة تاريخية خاصة إذا كان انحرافا عقديا، يحيق - بلا ريب - بالدعوة القائمة عليه ويكون

(1) سورة آل عمران آية : 110 .

(2) الآية رقم 17 من سورة الرعد .

وبالا على الإسلام الذي استهدفت الدعوة خدمته.

ومثال آخر: مشكلة وجود الداعية في ظل مجتمع تحكمه دولة غير دعوية، أو أنها تحارب الدعوة الإسلامية أصلا فيقع هذا الداعية - وهو يعمل في مؤسساتها - في انفصام مرهق بين همومه الدعوية الملحة وبين مطالب المؤسسة المعاكسة لهذه الهموم.

ومثل ذلك أيضا: ارتباك الدعوة الإسلامية في مجتمعات كثيرة أمام شخصيات أو مؤسسات أو حكومات قد تكون لا إسلامية، أو أنها تحارب الإسلام، ثم فجأة تدعي الدعوة من قبل أحد هذه العناصر الثلاثة، معلنا هذا الداعي تبنيه هذه الدعوة وحمله لها، هل هذا الإعلان توبة صادقة؟ أو أنه خضوع لضغط ظرف معين أو استدراج للدعوة؟... إلخ.

هذه الأمثلة - من المشكلات - وغيرها كثير، تعاني منها الدعوة في عصرنا الحاضر في كثير من مجتمعات المسلمين.

وهي نتاج لأسباب كثيرة أبرزها: مخلفات عصور الضعف عند المسلمين كما هو جلي في المشكلة الأولى، وكذلك آثار التغريب الذي مارسه الغرب على المسلمين في حياتهم الاجتماعية والتعليمية والثقافية من خلال استعماره لبلاد المسلمين ومسخه لعقول كثير من أبنائهم.

والمجتمعات الإسلامية الآن تحاول وتسعى للتخلص من هذه الآثار، ولكنها لا تزال تعاني من تلك المشكلات.

المجتمع السعودي يبدو متفردا في هذا المجال في عصرنا الحاضر؛ لم تواجهه تلك المشكلات، و لم يعان من تلك الانفصامات، و لم تخدش صفاءه تلك التشوهات.

كيف بدا هذا المجتمع بصفته ظاهرة فريدة بين المجتمعات المحيطة به في هذا المجال؟

ما علة هذه الفرادة؟

الإجابة عن هذه الأسئلة تقتضي أن نشير إلى الخصوصية التاريخية لهذا المجتمع خلال قرونه الثلاثة الأخيرة، والحدث الكبير الذي أعطى هذا المجتمع مسارا اختلف به عن كثير

من مجتمعات المسلمين الأخرى.

كانت مجتمعات المسلمين بعد القرن العاشر الهجري قد وصلت - نتيجة ضعف صلتها بالإسلام الذي كان به ظهورها الحضاري علميا، وخلقيا - إلى حالة مؤسفة من التخلف والجهل وفوضى الحياة وضعف الهمم، وانحراف التصور الإسلامي، وقصور الوعي الديني عموما، حتى أصبح كثير من مجتمعاتهم كما بشريا لا قيمة له في ذاته، ولا أثر له في المجال الحضاري بصفته جزءا من أمة كانت صاحبة السيادة الحضارية.

وكانت الجزيرة العربية في ذلك الوقت تعاني ما تعانيه سائر مجتمعات المسلمين من تخلف وجهل، بل ربما زادت على كثير منها جهلا بالدين، واضطرابا في الأوضاع السياسية، حيث القلاقل ومنطق السلب والنهب، والصراع على الزعامات، حتى أحيانا في البلدة الواحدة التي لا يتجاوز سكانها بضعة آلاف.

في ظل هذه الحالة ظهر في الجزيرة في القرن الثاني عشر الهجري في قرية " العيينة " من قرى نجد المصلح الإسلامي الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - تشكلت شخصيته العلمية من خلال فقه شمولي سلفي لتعاليم الإسلام في مصدرها الأصيل (القرآن الكريم والسنة المطهرة) واستيعاب لتراث الإمام السلفي الكبير شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

وبهذا الزاد الناضج بدأت دعوته تصحح مسار حياة المسلمين التائهة نحو مسلكها الصحيح مستمدة من الكتاب والسنة ومرتكزة على التوحيد وإخلاص العبودية لله.

وقد امتد أثر هذه الدعوة إلى بقاع كثيرة خارج الجزيرة العربية، وإذا كان ما يعنينا داخل هذه الجزيرة التي ترسخت هذه الدعوة فيها حتى أصبحت شخصية المجتمع متماهية معها لدرجات عالية من التمثل.

وكان أكبر عامل في تحقيق هذا التماهي والترسخ للدعوة في المجتمع وعي الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - أهمية تبني القوة السياسية لهذه الدعوة بأن تحمل دولة دعوة التوحيد الإسلامية بشمولها؛ تطبيقا لها ودعوة إليها وجهادا في سبيلها.

وقد وفق له أمير الدرعية الإمام محمد بن سعود الذي اقتنع بالدعوة وتبناها ووجه جهده وجهد إمارته لنشر تعاليمها وتطهير الحياة مما يضادها من شركيات وبدع وضلالات، ومن تشكيل الحياة البشرية في ظل دولته فكرا وأنفسا وحركة تشكيلا إيمانيا جديدا متأسيا بالمجتمع النموذجي الذي صاغه رسول الأمة محمد r مجتمع الصحابة - رضوان الله عليهم -.

مما جعل قاعدة الدعوة (الدرعية) محط الأنظار التي تفاوتت مواقف أصحابها بين إعجاب بها وولاء لها، أو توجس منها وعداء لها، ومن ثم انتصاب لحربها.

وقد قضي على الدولة السعودية الأولى بعد تدمير إبراهيم باشا للدرعية عام 1233 هـ.

وعادت الدولة من جديد بقيادة الإمام تركي بن عبد الله وابنه فيصل لتعود بهما حيوية الدعوة من جديد، ولكن هذه الدولة اضمحلت في مستهل القرن الرابع عشر الهجري.

وقبل ختام العقد الثاني من هذا القرن كان الشاب عبد العزيز بن عبد الرحمن (26سنة) سليل الأسرة السعودية الحاملة للدعوة يبدأ مسيرة مباركة تستهدف إعادة الدولة السعودية بمنهجها الدعوي الذي أصبح جزءا من شخصيتها لا ينفك عنها. كافح الملك عبد العزيز كفاحا مجيدا في ظل تغيرات دولية كبيرة، وظروف عالمية سيئة كان للمجتمعات الإسلامية من سوءاتها النصيب الأوفر:

- عالم إسلامي وعربي تائه بين جهله وتخلفه، وكيد عدوه.

- وعدو حاقد متفوق يمد مخالبه للهيمنة على هذا العالم الإسلامي والعربي باسم الاستعمار.

- وانبهار كثير من أبناء المسلمين بهذا العدو ومن ثم استلاب له، وتنكر لدين أمتهم وتراثها.

كافح الملك عبد العزيز في ظل هذه الأوضاع متحررا بحكم نشأته الفطرية السلفية، ونجائه من لوثات الثقافة الغربية من العقد الكثيرة التي استحكمت في نفوس ومسار حركة

كثير من أبناء المسلمين الذين أورثهم المستعمرون قيادات بلدانهم في ظله وبعد رحيله.

وأثمر كفاحه توحيدا للمناطق التي تشرذمت بين عدد من الولاءات، وإنقاذا لما وحد منها من مخالب الاستعمار التي أنشبها في العالم الإسلامي من حولها.

كما أثمر كفاحه بناء دولة حرة مستقلة هي (المملكة العربية السعودية) تتبنى الإسلام رسالة لها تبنيا قائما على إيمان راسخ بأنه المبدأ الرشيد الذي لا نهضة للأمة ولا حل لمشكلات المجتمع إلا به وحده؛ وهو إيمان مشترك بين القيادة والعلماء والشعب، ومن ثم تصوغ بهذا الإسلام شخصيتها الفردية، والدولية مؤسسات وعلاقات.

تجعل هذا الإسلام بصورته الصافية التي تمثلها الرسول r وأصحابه معيارها الذي تحاكم إليه كل الوافدات عليها، فما انسجم معه قُبِلَ واعْتُمِدَ، وما تنافر معه رُفِضَ أو قُوِّمَ لينسجم معه.

هذه هي علة الفرادة المذكورة للمجتمع السعودي في عصرنا الحاضر، وإذا كان الملك عبد العزيز هو عماد هذه الدولة إنشاء وبناء وتشكيلا لشخصيتها فإنه كذلك كان رجل الدعوة الإسلامية في هذه الدولة عرف قيمتها واستوعب منهجها والتزم بهذا المنهج اعتمادا له، وتفاعلا معه ودعوة إليه.

وقد ظلت الدولة يساندها المجتمع محافظة على ولائها لهذه الدعوة الإسلامية ثابتة عليها آخذة بالسبل الممكنة لدعمها ونشرها.

التزام الملك عبد العزيز بمنهج الدعوة الإسلامية وامتداد هذا الالتزام بعده هو موضوع هذه الصفحات التي سأشير فيها إلى مظاهر هذا الالتزام والاستمرار عليه.

وإذا وعينا أن المنهج الدعوي الذي حمله الملك عبد العزيز وجعله قاعدة الوجود والحركة لدولته هو المنهج السلفي المستقى من تعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة عبر فهوم صحابة رسول الله r وتطبيقهم بعيدا عن الفهوم والتطبيقات الجزئية الناقصة التي حدثت بعد ذلك لدى كثير من المسلمين.

إذا وعينا ذلك أدركنا كثرة مظاهر الالتزام بهذا المنهاج وتنوعها مما يقصر هذا البحث

عن استيعابها، ولكني سأركز على مجموعة من هذه المظاهر تمثل - في تصوري - قضايا بارزة مؤثرة في راهن الأمة الإسلامية مما يجعلها مجال استثمار في حركة ترشيد الصحوة الإسلامية وحركتها الدعوية اليوم، هذه المظاهر تتبلور من خلال العناصر التالية:

1- حمل رسالة الإسلام

تنبثق الحياة في كل مجتمع من مذهبية (أيديولوجية) يعتمدها رواد هذا المجتمع الفكريون وقادتها السياسيون إما بقناعة بأنها المشروع الأمثل للنهوض بمجتمعهم، أو مضاهاة لدول أخرى.

وقد برز في القرن العشرين الميلادي مذهبيتان متناقضتان هما:

- المذهبية الليبرالية.
- المذهبية الاشتراكية.

أخذت بكل واحدة منهما دول كبرى من دول الحضارة الغربية، أما العالم الإسلامي الذي هيمن عليه الاستعمار ثم التغريب فقد جاءت دساتير دوله (متأثرة بخليط من مبادئ النظامين الليبرالي والاشتراكي) [1].

أما المملكة العربية السعودية فقد كونها الملك عبد العزيز - رحمه الله - متحررا من سطوة الاستعمار ومن لوثة التغريب، راسخ القناعة بأن الإسلام وحده سبيل الصلاح والنهوض الحضاري للمجتمع فاتخذه رسالة لدولته، وقاعدة لهوية المجتمع ومنبعا للعلم والحركة، معلنا ذلك بقسوة الواثق بأفضلية الإسلام على كل المذهبيات حتى وإن كانت لها صولة وانتفاش، ولما ينكشف زبدها بعد.

يقول رحمه الله: (دستوري وقانوني ونظامي وشعاري دين محمد r فإما حياة سعيدة على ذلك وإما موتة سعيدة) [2].

وظل اعتماد الدولة للإسلام لها تؤكده كل الأنظمة الصادرة مثل التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية التي صدرت عام 1345 هـ ونظام مجلس الوزراء الصادر في 1373 هـ.

واستمر الالتزام بهذا المبدأ حتى الآن حيث توج بصدور النظام الأساسي للحكم في

(1) مصنفة النظم الإسلامية مصطفى كمال وصفي 137 الطبعة الأول 1397هـ .
(2) الملك الراشد عبد المنعم علامي ، ص 382 ، الطبعة الثانية 1400هـ الرياض .

عام 1412 هـ محددا بوضوح صيغة الحكم التي ستظل المملكة آخذة بها من حيث (إن عماد النظام الأساسي ومصدره هو الشريعة الإسلامية حيث اهتدى هذا النظام بشريعة الإسلام في تحديد طبيعة الدولة ومقاصدها ومسؤولياتها... والنظام الأساسي للحكم، استلهم هذه المبادئ وهدف إلى تعميقها في العلاقة بين الحاكم والمحكوم محكومة أولا وأخيرا بشرع الله كما جاء به كتابه الكريم وسنة نبيه r) [1].

(1) من كلمة لخادم الحرمين الشريفين بمناسبة إصدار أنظمة الحكم والشورى والمناطق " أنظمة الحكم والشورى والمناطق " ص5 ، كتيب المجلة العربية .

2- الفهم الشمولي للإسلام

خلق الله الناس لعبادته وحده دون سواه، والعبادة لفظ جامع يغطي حياة الإنسان كلها فردية واجتماعية في الشعائر والشرائع.

العبادة - كما يقول ابن تيمية - (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة) [1].

ولهذا كان من القواعد المنهجية للاتجاه السلفي أخذ الإسلام بشموليته لكل شؤون الحياة، ورفض النظرات التجزيئية التي تهتم بجزء من الإسلام على حساب أجزائه الأخرى. وعلى هذا الفهم قامت حركة ابن تيمية الإصلاحية في القرن السابع الهجري، وعليه أيضا قامت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - فكانت حركة إصلاحية عقدية عبادية خلقية سياسية اجتماعية.

وبهذا الفهم الشمولي لشريعة الإسلام سعى الملك عبد العزيز - رحمه الله - لتحقيق إسلامية المجتمع السعودي شعبيا ورسميا، وتجلت هذه الإسلامية الشمولية من خلال ما يلي:

أ- تطبيق الشريعة الإسلامية:

تطبيق الشريعة مصطلح رائج في وقتنا الراهن بمفهومات مختلفة أقربها لأذهان عموم الناس هو حصره بجزء من أجزائه المتعددة، وهو تطبيق الحدود العقابية قتلا ورجما وقطعا وجلدا، أو يدخل معها لدى آخرين الأحوال الشخصية.

أما تطبيق الشريعة في المملكة فقائم على ذلك المفهوم السلفي الشمولي للإسلام، ومن ثم كان المقصود به لدى حكام هذه الدولة وعلمائها هو إقامة التعليم عليه بغرس عقيدته السامية في نفوس الناشئة، وإشاعة فضائله الخلقية وإعلاء منار شعائره التعبدية، والتعامل الخارجي على أساسه.

(1) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 38 ، الطبعة الثانية 1404 هـ .

بهذا الفهم وبالتصميم الإيماني لديه طبق الملك عبد العزيز شريعة الله في مملكته، يقول الملك عبد العزيز معلنا هذا التصميم: (إن كتاب الله دليلنا ومرجعنا وسنة رسوله ﷺ دليلنا وفيها كل ما نحتاجه من خير ورشاد ونحن من جانبنا سنحرص - إن شاء الله - كل الحرص على إقامته واتباعه وتحكيمه في كل أمر من الأمور) [1]. وقال أيضا: (إن اعتصامي بالله وسيري على الطريقة المحمدية واقتدائي بعلماء المسلمين يدعوني - إن شاء الله تعالى - لعدم الجموح بالنفس، وقد عاهدت الله على ثلاث:

1- الدعوة لكلمة التوحيد وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل.

2- الأخذ على يد السفيه وتحكيم السيف فيه.

3- الإحسان للمحسن والعفو عن المسيء). [2]

وقد التزم الملك عبد العزيز - رحمه الله - بما تبناه طيلة حياته، وواصلت الدولة نفس الالتزام، حتى والدولة تنفتح على العالم في النصف الثاني من القرن العشرين مما أحدث فيها تغيرات ثقافية واجتماعية ومدنية كثيرة وكبيرة، ولكنها ظلت على التزامها بتطبيق الشريعة الإسلامية، مغالبة الظروف التي تعيشها محلية ودولية، وظل هذا الالتزام مرتكزا على قناعة عقدية لدى حكام هذه الدولة.

يقول خادم الحرمين الشريفين- حفظه الله -: " إن الكتاب والسنة هما الأصلان العظيمان من أصول الإسلام اللذان بهما نهتدي وعليهما نسير ولهما نحتكم. فمن أراد الخير والسعادة فعليه أن يتقيد بهما ويتحاكم إليهما، فإنهما سبب للحياة الكريمة الآمنة المطمئنة. وعليهما بنيت الشريعة الإسلامية السمحة التي لا يكون المسلم مسلما إلا بالعمل بها والمحافظة على ذلك في أمور دينه ودنياه " [3].

ويقول في مناسبة أخرى: " ومن منطلق الإسلام والدعوة إليه، تتحدد سياستنا في

(1) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 198/1 .

(2) المرجع السابق 203/1 .

(3) كلمات منتقاة من خطب خادم الحرمين الشريفين 105/1 .

الداخل في جميع المرافق والمجالات، وأهمها على الإطلاق أسلوب الحكم وطريقته " [1].

وفي مناسبة ثالثة يقول: " نحن في هذه البلاد نفتخر ونعتز أننا متمسكون بعقيدتنا الإسلامية، وسوف ندافع عنها بالنفس والنفيس، وسوف نجعلها هي القدوة سواء كان في تشريعاتنا أو في تنظيماتنا في مختلف حاجاتنا للتنظيم أو في حياتنا اليومية أو الشهرية أو السنوية " [2].

ب- امتزاج الدعوة بالدولة:

في الدولة العصرانية في عصرنا الحاضر كان طبيعيا أن يقع الانفصال بين الدعوة والدولة؛ لأن الدعوة تتصادم مع الخط العلماني الذي تتبناه الدولة دستورا لها.

بعض الدول قد تحسن إلى الدعوة الإسلامية فتضع لها فرعا في وزارة، ولكن بعضها الآخر يشعر بأن الدعوة خطر على المشروع الذي تتبناه، ومن ثم تتخذ موقف المقاوم للدعوة المواجه لها.

وهذه القضية - أقصد قضية الانفصال بين الدعوة والدولة - من أكبر مشكلات المجتمعات الإسلامية اليوم تعقيدا وإثارة للفتنة والتنازع والاضطراب الوطني.

المملكة بحملها رسالة الإسلام وتطبيقها لشريعته وحملها مهمة نشره نجت من هذه المشكلة؛ حيث كانت الدعوة جزءا من بنية الدولة يتشكل الداعية في مؤسساتها التعليمية وينخرط بعد تخرجه في هيئاتها الدعوية في داخل المملكة أو خارجها، ويجد في هذه القنوات المتنوعة المجال الرحب لإفراغ طاقته الدعوية، وخدمة دينه، والدولة تدعم هذه المسارات واثقة أنها تسلك مسارا واحدا متناغم الخطوط.

ولهذا اندمجت حركة الدولة - كما جاء في النظام الأساسي للحكم - في تنوعاتها المختلفة بناء عقديا وقضاء شرعيا وتطويرا مدنيا ملتزما... ودعوة إلى الله مع بعضها حتى إنها تمزج في مادة واحدة أحيانا.

---

(1) المرجع نفسه 10/1 .

(2) المرجع نفسه 57/1 .

- مثلا- المادة الثالثة والعشرون من النظام الأساسي " تحمي الدولة عقيدة الإسلام وتطبق شريعته وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقوم بواجب الدعوة إلى الله " [1].

(1) أنظمة الحكم والشورى والمناطق ، ص 11 .

3- العلمية الشرعية

من المشكلات التي عانت منها الدعوة في أزمنة وأمكنة مختلفة أن تقوم على نقص في العلم الشرعي لدى دعاتهم وضعف في التصور الإسلامي الصحيح لديهم مما ينعكس سلبا على برامجها ومواقفها وأهدافها.

وقد تجلت هذه المشكلة في عصرنا الحاضر في اتجاهات ومواقف دعوية كثيرة.

وكان من أكبر أسباب ظهورها أنه لما هيمن المستعمرون على بلاد المسلمين وأحلوا أنظمتهم ومناهجهم فيها بديلا لما كان موجودا، ومن ثم حصروا علماء الشريعة في مواقع معزولة عن مجرى الحياة الدافق؛ مما جعل المثقفين المستغربين يستبدون بالساحة، ويأخذون ريادة التوجيه الثقافي والاجتماعي بصفتهم مثقفي الأمة الذين يرسمون لها معالم مسيرتها النهضوية، وهي المسيرة التي أوردت هذه المجتمعات صور الانحطاط الشامل والانحدار المريع الذي تئن تحت وطأته.

في ظل هذه الأجواء حملت الحمية الإسلامية المستكنة في نفوس بعض أبناء هذه المجتمعات الإسلامية ممن لم يدرسوا العلم الشرعي من مصادره الأصلية، فهم إما متخصصون في تخصصات معاصرة درسوها وفق السياق الغربي، أو أنهم ممن بنى نفسه ثقافيا بقراءات تراثية ومعاصرة، وإنما تحفزهم غيرة إيمانية، وولاء لإسلامهم ليداخلوا هذا الواقع رافضين ما يشاع فيه من اتجاهات ضالة وداعين إلى العودة إلى الإسلام المتمثل لدى أكثرهم في تعاليم الكتاب والسنة وتراث الأمة دون فرز علمي للصورة المطلوبة من هذا التراث.

وحينما كانت الدعوة الإسلامية تمثل حركة رفض للواقع السيئ وتقف عند حدود المطلقات العامة " رفض التغريب المدمر لهوية الأمة " " العودة إلى الإسلام " " وحدة الأمة الإسلامية " ونحوها لم تبرز المشكلة، لكنها برزت حينما ظهرت الصحوة الإسلامية ووجد " المثقف الإسلامي والحركة الإسلامية " أنفسهما مطالبين بتجاوز تلك المطلقات نحو تقديم مبادئ مذهبية تمثل عناصر نهوض حضاري، ورسم برامج عملية لإصلاح الحياة

الاجتماعية..

فانكشف الأثر السلبي لنقص العلم الشرعي لدى هؤلاء، هذا العلم الذي يستطيع المواءمة بين التزام ثوابت الدين مبادئ عقدية وأحكاما شرعية وتحقيق المصلحة الشرعية في ظل الظروف التي تعيشها الأمة، العلم الذي يقي أصحابه من الذوبان تحت ضغط الواقع الثقيل المخالف للشريعة، وسبب هذا النقص في العلم الشرعي أمام هذا الضغط، صدرت فتاوى واتخذت مواقف كانت وبالا على الدعوة الإسلامية وأهلها [1].

الدعوة الإسلامية في المملكة امتداد لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، وهي حركة عمادها العلم الشرعي في مصادره الأصيلة عقيدة وفقها وتفسيرا وسنة وغيرها.

وهذا ما أدركه الذين درسوا منهج الملك عبد العزيز في تأسيس الدولة، فلقد كان التكوين الفكري للملك عبد العزيز نفسه تكوينا علميا، وكان له جلسات يومية مع العلماء وغيرهم تقرأ فيها أمهات الكتب العلمية في الفقه والتفسير وفنون الشريعة.

كما أنه جعل المساجد مراكز للتعليم الشرعي انتدب لها العلماء الأكفاء وأرسل مجموعات من العلماء للبادية لتعليم القرآن والسنة والعلم الشرعي الذي يصح به تدينهم وتتثقف به أفكارهم، وفي هذا السبيل كان مشروع الهجر حيث يقام مسجد بجانب مورد ماء أو موقع لتجمع أهل البادية ويقوم فيه الوعاظ وطلاب العلم بتعليم هؤلاء أمور دينهم.

وفي عام (1344 هـ) أنشأ الملك عبد العزيز مديرية المعارف لتبدأ في تحويل التعليم من عملية غير منظمة إلى نظام تعليمي شامل ومتدرج؛ حيث تحولت إلى وزارة في عام (1373 هـ).

والقضية المهمة هنا ليست إنشاء هذه الوزارة ولا إقامة التعليم النظامي، فهذا مسلك

(1) حتى اقترح بعضهم -في أحد ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر- تحويل صلاة الجمعة في أوربا ليوم الأحد حتى يحضرها المسلمون مستندا على تصوره مصلحة شرعية ، انظر نماذج لهذا في : (الاجتهاد في الشريعة الإسلامية) يوسف القرضاوي ص 161 وما قبلها ، ط 1402 هـ .

دولي في عصرنا الحاضر، وإنما المهم هو موقع العلم الشرعي في هذا التعليم في المملكة.

لقد كان التعليم النظامي الحديث في كثير من دول المسلمين وبالا على العلم الشرعي؛ حيث أقيم هذا التعليم حسب الرؤية الغربية المتنافرة مع الدين، ومن ثم زحزح التعليم الشرعي أو على الأقل ترك على وضعيته التقليدية لينحسر شيئا فشيئا أمام اكتساب التعليم المعاصر.

في المملكة اتخذت الدولة بتوجيهات الملك عبد العزيز ومؤازرة العلماء الكبار أسلوبا مجيدا في التعامل مع العلم الشرعي تمثل في:

- بناء التعليم بمختلف مراحله وتخصصاته على العلم الشرعي؛ بجعل مواد القرآن الكريم والحديث والعقيدة والفقه والتفسير والتجويد متطلبات عامة يدرسها الطالب في الابتدائي والمتوسط والثانوي.

- تطهير المقررات الدراسية خاصة التطبيقية والإنسانية من كل ما يتعارض مع الإسلام من فلسفات ونظريات وأفكار.

- تقرير مادة الثقافة الإسلامية في الجامعات بمختلف تخصصاتها حيث نصت على ذلك السياسة التعليمية [1].

وهدف هذه المادة تكوين شخصية الشاب السعودي لتصبح شخصية إسلامية إيجابية، تستوعب الرؤية الإسلامية للوجود والكون والإنسان والحياة من جهة، وتعرف ما يموج في عصرها من مذهبيات وأفكار مخالفة للإسلام، ومن قوى معادية له ومعرفة شبهها ونقد هذه الشبه.

- إيجاد التخصصات الشرعية التي تخرج علماء شرعيين قادرين على خدمة أمتهم ودينهم بكفاية في مجالات القضاء والتعليم والإفتاء والدعوة والبحث مثل دار التوحيد بالطائف، والمعاهد العلمية، وجامعة أم القرى.

---

(1) نصت السياسة التعليمية في المملكة ص9 على : (العلوم الدينية أساسية في جميع سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي بفروعه والثقافة الإسلامية أساسية في جميع سنوات التعليم العالي " .

هذا التوجه القوي لدعم مقام العلم الشرعي لم يكن مجرد حماسة التهبت أول الأمر ثم خبت شيئا فشيئا، كلا لقد بقيت الدولة السعودية ملتزمة بهذا التوجه، بل ساعية للارتقاء به وتوسيع نطاقه من خلال ما تنشئه من معاهد وكليات شرعية في الخارج، وما تقيمه من دورات شرعية للمسلمين في مختلف بقاع العالم.

- طبع أمهات الكتب العلمية في الفنون الشرعية المختلفة:

وعى الملك عبد العزيز أهمية الكتاب الأصيل في نشر العلم الشرعي وحمل دعوة الإسلام، فبادر إلى نشر الكتاب المفيد، ولم ينتظر حتى تتوافر المطابع في مملكته وإنما اتجه إلى الدول الأخرى كمصر والهند لطبع ما يريد طباعته فيها، ولشراء ما هو مطبوع مما يناسب هدفه، حيث يتم توزيعها في داخل المملكة وخارجها [1].

(1) انظر هذه المسألة- في الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 503/1 .

4- أولية العقيدة والعبادة

في العنصر الثاني عرفنا أن الإسلام منهج شمولي لكل جوانب الحياة البشرية، وأن الملك عبد العزيز ومن ثم دولته أخذت الإسلام بهذا التصور الشامل متقية التجزيئات التي تختزل الدين في جانب أو جوانب محدودة ملغية ما سواها. الذي أريد تأكيده في هذا العنصر هو أن هذه الجوانب المتعددة متفاوتة المواقع في بناء الإسلام الكلي حيث تأتي العقيدة والعبادة في موقع القواعد والأسس والأعمدة لهذا البناء مما يحتم البدء بها والتركيز عليها وإقامة الجوانب الأخرى على مقتضياتها.

وهذا واضح من منهج الرسول r في تربية أصحابه، وتربية هؤلاء الأصحاب للأمة التي تلقت منهم.

وهو المنهج الذي اعتمدته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله- فجعلت تصفية العقيدة من كل شوائب الشرك ولوثات الوثنية، وتصحيح العبادة من كل صنوف البدع والمحدثات التي زيدت على ما جاء به الرسول r جعلت هذه التصفية والتصحيح المحور الذي ارتكزت عليه تعليما وتربية ودعوة ومناقشات للآخرين وجهادا في سبيل تحقيقها.

هذا المنهج نفسه اعتمده الملك عبد العزيز - محفوفا بالعلماء الأعلام - وراث هذه الدعوة الإصلاحية.

لقد أعلن - رحمه الله - تبنيه لهذا المنهج، يقول رحمه الله: " هذه عقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - الذي أظهر الله به الدين بعدما وهنت أركانه بين العالمين في مراسلاته ومناصحاته ودعوته الخلق إلى دين الله ورسوله [1].

ويقول متحدثا إلى الحجاج في مكة المكرمة: " أما العبادة فلا تصرف إلا لله وحده، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، ولا تخفى عليكم الآية الكريمة } $Br z)©ÎM$$Å£ $YMR § ŽvÎ

(1) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، عبد الرحمن بن قاسم 7/ 305 ، ط2 .

{ ÇÎÈ [illegible] } [1] فالتوحيد خاص بالله تعالى، والعبادة لا تصرف إلا لله والرجاء والخوف والأمل كله بالله ولله، وما بعث محمد ولا أرسل الرسل ولا جاهد المجاهدون إلا لتوحيد الله تعالى [2].

وتحقيقا لهذا التبني ارتكزت السياسة التعليمية في المملكة على تنشئة الطلاب والطالبات على العقيدة السليمة والوعي بمنهج التعبد الصحيح في الإسلام.

وتحقيقا له طهرت الجزيرة العربية مما يخالف هذا المنهج من مشاهد شركية أو مسالك بدعية.

ولاستقامة المجتمع على ذلك أنشئت مؤسسة ضخمة تقوم بتزكية هذه الاستقامة وصيانة المجنمع من الانحرافات الطارئة أو الوافدة، وهي الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ونتيجة لهذا الاهتمام بهذين العنصرين كان اهتمام الدولة بدور العبادة عمرانا للمساجد وتوظيفا للأئمة والخطباء والمؤذنين والفراشين [3] وكانت النشروعات العملاقة لخدمة الحرمين الشريفين مهوى الطائفين والعاكفين والركع السجود.

لقد تصور البعض أن هذا الاهتمام المكثف في شأن العقيدة والعبادة في التعليم والتربية، والدعوة المتواصلة التي كان يمارسها العلماء والدعاة بتذكيرهم الناس بل ويمارسها الحاكم نفسه الملك عبد العزيز - رحمه الله - حيث كان يخطب أحيانا خطابا

---

(1) سورة الذاريات آية : 56 .

(2) جريدة أم القرى في 1394/12/6 هـ .

(3) يقول خادم الحرمين الشريفين : " من أوجب الواجبات الاهتمام الكامل بالمساجد ، فهي بيوت الله في الأرض ، وهي مدرسة الإسلام والمسلمين الأولى . . فقد كان المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم- كما وصفه القرآن- قاعدة لبناء أول مجتمع إسلامي على أساس الإيمان ، فكان المسجد منارة العلم ومحراب العبادة ومنطلق الجهاد ، وإن العناية ببيوت الله بناء وتشييدا وصيانة وترميما وتزويدها بما تحتاجه من مرافق وخدمات هو العلامة الواضحة للمجتمع المسلم الذي يعيد سيرة السلف الصالح ، وأمارة من أمارات الإيمان الصحيح وعلامات اليقين المتمكن " . كلمات منتقاة - مرجع سابق 45 .

مفتوحا " إلى ممن يراه من إخواننا المسلمين " [1] لتذكيرهم بالعقيدة والعبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيتداول الخطاب ويقرأ في المساجد يوم الجمعة، تصور البعض أن هذه الاهتمام إنما كان لبدائية المجتمع السغودي وعدم اهتمامه بالقضايا - الحضارية الثقافية والاجتماعية والسياسية - وأنه إذا انفتح على الحركة العالمية في هذه المجالات سيتحول اهتمامه إليها، بل ستصرفه هي بسطوتها عن تلك الأولية للعقيدة والعبادة.

ولكن الواقع أثبت خطأ هذا التصور فبقي هذان الجانبان يحتلان موقعهما المتقدم في المناهج التربوية والهم الاجتماعي وسبب الوقوع في ذلك الخطأ أن هذا التصور غفل عن العلة الأصلية لهذه الأولية

وهي: ارنكازها - أقصد الأولية - على موقف علمي إيماني نابع من المنهج السلفي الذي يعتمده الملك عبد العزيز والمجتمع السعودي، وهو المنهج الذي لا تزال له السيادة في نظام الدولة وحياة الشعب. إننا ندرك قيمة هذا العنصر الشرعي والاستراتيجية حينما نتأمل في بعض الدعوات التي لم ترع هذه الأولية فوجهت همها لجوانب أخرى استغرقتها حتى ضعف لديها هذان الجانبان المهمان فكان ضعفهما وبالا على الدعوة وعائقا عن الحركة السديدة في الإصلاح الاجتماعي، وقبل ذلك في بناء شخصيات أتباعها.

يقول الأستاذ محمد قطب مشيرا إلى نقطة الضعف هذه في قطاع من الدعوة الإسلامية المعاصرة: إنها - أي الدعوة - وقعت في خطأ خطير حينما " لم تبدأ من نقطة البدء اللازمة، بل تجاوزتها إلى ما يجيء بعدها في الترتيب، وذلك عندما اعتبرت قضية العقيدة قضية بديهية وقضية منتهية.. وقد أثبتت الأيام أن هذا الأمر كان في حاجة إلى مراجعة شديدة، وأن نقطة البدء كان ينبغي أن تكون هي تصحيح العقيدة ذاتها وجلاء مفهومها الحقيقي الذي غاب عن الجماهير، بل غاب عن كثير من الدعاة أنفسهم " [2].

(1) انظر الدعوة في عهد الملك عبد العزيز- مرجع سابق 299/1 .

(2) الصحوة الإسلامية- محمد قطب 60 ط1 / 1411 هـ .

5- الوسطية والاعتدال

الوسطية هي الحق والعدل الذي يكون سواه باطلا وظلما سواء كان تفريطا أو إفراطا، هذا هو معناها الذي جاءت به الآية الكريمة: { ÆBé Ñ3»Ytè_ 7Ï°‹.r $Ü™r } [1] [2] والإسلام هو دين الوسط الذي يمثل الحق والعدل والخير، وما سواه من الأديان ما هي إلا انحراف عنه نحو طرف، يقابله انحراف آخر في الجهة المقابلة.

فإذا كانت تتمثل وسطية الإسلام في توحيد الله بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فإن ما يخرج عن هذه الوسطية هو إما الكفر بالله وإنكار وجوده أصلا، أو إيمان به ولكن مع آلهة أخرى تشرك معه وتعطى من الخصائص ما له سبحانه. وإذا كانت وسطية الإسلام تتمثل في أن يجمع الإنسان بين نصيبي الدنيا والآخرة، وحقي الروح والجسد، فإن الانحراف عنها يكون بالجور على نصيب بتضخيم الآخر؛ إما بالرهبانية المحاربة لحقوق الجسم، والحياة المدنية، أو بالمقابل؛ بالمادية الطاغية المنصرفة نحو متع الجسد وملذاته على حساب روح الشخص وإنسانيته.. إلخ.

فإذا كان هذا موقع الإسلام أمام الأديان والمذاهب البشرية فإنه موقعه أيضا أمام الانحرافات التي زاغت عن هذه الوسطية لدى المنتسبين إليه حيث بقي الإسلام - متمثلا في المنهج السلفي- يمثل الوسطية أمام هذه الانحرافات، فهو كما يقول ابن تيمية: " دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه " [3].

فأي انحراف حدث في الأمة الإسلامية تجد أنه تطرف يقابله تطرف آخر سواء كان في العقيدة أو العبادة أو الحياة الاجتماعية.

مثلا: قضية الإيمان بين الجهمية والمرجئة، والسببية بين القدرية والجبرية، والصفات بين

---

(1) سورة البقرة آية : 143 .

(2) الآية رقم (143) من سورة البقرة ، وسطا عدولا خيارا ، والوسط : الخيار الأجود ، تفسير ابن كثير 9/1 دار الفكر .

(3) مجموع الفتاوى 213/28 .

التعطيل والتشبيه، والصحابة بين الغلو في بعضهم وبين تنقصهم والقدح فيهم... إلخ.

هذه الوسطية هي منهج السلف طيلة العصور بين التطرفات المختلفة، وقد أثبت التاريخ أن من انحرف عن هذه الوسطية -التي تمتد إلى كل شعب في هذه الحياة- من المسلمين فإنه لا يستطيع اتخاذ الموقف السليم، لا في تحقيق إسلاميته، ولا في تعامله مع عصره.

الملك عبد العزيز باتباعه منهج السلف جعل الوسطية صراطه الذي عليه يسير، وبه مع الأحداث والمواقف يتفاعل.

لقد كانت الوسطية الإسلامية هي منهجه أمام المواقف المتناقضة التي تواجهه إزاء كثير من القضايا.

ومن ذلك مثلا، قضية التراث إذ لم تتشبث المملكة بالتراث الموصوف بالإسلامي بكل مخلفاته المتنوعة الجامعة للصالح والطالح، ولم ترفض التراث بصفته ماضيا تجاوزه العصر بمستجداته التي توحي بضرورة القطيعة معه.

لقد اعتمدت المملكة المنهج السلفي تعاليم القرآن والسنة من خلال فهوم السلف من صحابة رسول الله r ومن أخذ بمنهجهم، وحاكمت إلى هذه التعاليم تاريخها السابق فاستفادت من عناصره الإيجابية دون السلبية.

ومثل ذلك أيضا قضية القيم، فقد كانت هناك تقاليد وأعراف اجتماعية يتعامل بها الناس منها الصالح ومنها الطالح، فدعم الملك عبد العزيز - رحمه الله - القيم الصالحة كالتدين، والأريحية والرجولة، وحشمة المرأة ونحوها، وقاوم بالتعليم والصرامة النظامية وتعميق الدين في النفوس، بعض المقاليد المرذولة كالسلب والحمية الجاهلية القبلية ونحوها.

ومثال الثالث أيضا وهو من أخطر المواقف التي التزم فيها الملك عبد العزيز - رحمه الله - بهذا المنهج السوي أمام طرفين مغاليين، وهو الموقف من الحضارة الغربية، والتفاعل مع مستحدثاتها:

- طرف يتهجم على المملكة بسبب التزامها الإسلامي في هذا العصر، ويرى أنها بهذا

الالتزام ستنقطع عن حركة العصر الناهضة التي لا يلحق بها- في نظر القاصرين- إلا من تفلت من الثوابت التراثية وبالذات الدين.

وهو موقف مرفوض لأنه خاطئ تماما وإن زخرف أصحابه القول وتنقصوا المملكة وأزروا بها " أما الدين - يقول الملك عبد العزيز في هذا المجال - فوالله لا أغير شيئا مما أنزل الله على محمد ﷺ ولا أتبع إلا ما جاء به وليغضب علينا من شاء " (1).

ويتواصل الموقف حيث يقول الملك فيصل - رحمه الله - " إن الذي يقول: إن الدين الإسلامي يقف في سبيل التقدم أو يكون سببا في سبيل عدم الرقي أو السير في سبيل التطور هو واحد من اثنين:

- إما أن يكون جاهلا لا يعرف عن الدين الإسلامي شيئا.
- أو يكون مكابرا يريد أن يغالط الحقائق " (2).

- والطرف المقابل يرفض التفاعل مع العصر الحاضر في كل أشكاله حفاظا على الإسلام من أن تفسده الوافدات مما ينتهي بأصحاب هذا الطرف إلى ضرورة الانعزال عن كل تأثيرات هذا العصر، وهذا الموقف فضلا عن استحالته فهو غير إسلامي؛ لأن الموقف الإسلامي هو التفاعل مع الأشياء والأحداث بمعيار النقد ومن ثم الاختيار.

ولقد كان هذا الموقف في بدايات تفاعل المملكة مع منجزات العصر وكان متوجها إلى بعض المخترعات كأجهزة اللاسلكي والراديو ونحوها، ولكن الملك عبد العزيز استطاع أن يحتوي مثل هذه المواقف مستعينا بالله تعالى مسترشدا بالعلماء ذوي البصيرة، ومستمسكا بالمنطق الشرعي المعتمد على القواعد الواضحة في دين الإسلام.

المهم أن الملك عبد العزيز ومن ثم مسار الدولة لم يتخبط بين هذين الطرفين منحازا لأحدهما ضد الآخر أو متنقلا بينهما خدمة لمصالح وقتية وإنما أخذ بموقف الحق الوسط مصححا للفئتين خطأ موقفيهما معا، وقد أثبتت الأيام عدل هذا الموقف ونجاحه وفشل

(1) السعوديون والحل الإسلامي 31 .

(2) إنجازات الملك فيصل ، لعبد الرحمن الشبيلي ، ص5 مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

المواقف الأخرى وخاصة موقف الاندراج في تيار العصر والتضحية بالدين والشريعة.

6- التحديث في ظل الإسلام

التحديث من أكبر مشكلات المجتمعات الإسلامية في العصر الحاضر، وبسبب الزيغ فيه وقع ما تعانيه هذه المجتمعات اليوم من حصاد مر:

- بعدا عن الإسلام في كثير من القضايا الثقافية والاجتماعية.
- وإغراقا عشوائيا للمجتمع المسلم بصور الحداثة في عدد من المجالات.
- ومن ثم قيام الصراع بين الإسلام والحداثة متمثلا بفئتين من الناس في مجتمع يتبنى كل منهما واحدا من الخيارين - الإسلام أو الحداثة - وتقف موقف الضد من الآخر.

والحق أن المشكلة ليست في التحديث، ولا في الإسلام، وإنما هي في الناس الذين لم يحسنوا رعاية المصلحة الحقيقية لمجتمعاتهم في علاقتها بالإسلام والحداثة معا.

إن مشكلة هؤلاء ناتجة من سببين كل منهما سيئ:

الأول: جهل بحقيقة الإسلام، بل حمل صورة مشوهة له مستمدة من التصورات الصوفية الاتكالية الانعزالية، أو من مفتريات المستشرقين عليه، أو من قياسه على النصرانية الكنسية في أوربا العصور الوسطى.

الثاني: الانبهار بالحداثة الغربية التي تلامعت مظاهرها التقنية ومنجزاتها المدنية أمام أعينهم فخلبت لبهم وأغشتهم عن التبصر في جوانب هذه الحداثة ذات البعد الإنساني (قيما ونظما وفنونا وآدابا) ومدى شذوذها عن الفطرة الإنسانية فضلا عن المنهج الإسلامي.

العلمانية مثلا - إحدى صور التحديث المتغرب التي نقلها المتغربون من أبناء المسلمين لمجتمعاتهم وعزلوا بواسطتها الدين عن توجيه الحياة الاجتماعية، فماذا كانت النتيجة في مجتمع يعي أفراده حتى العامة منهم أن إقصاء الدين جرم كبير وانحراف عن هذا الدين؟

ما الثمرة لنقل هذه الوصفة التي عالج بها الغرب مرضا خاصا به إلى جسم لا يشكو من هذا المرض؟

لقد كانت نتيجة التحديث المتغرب للدولة في المجتمعات الإسلامية أن أصبحت هذه

الدولة حسبما رصدها المفكرون العرب:

- " دولة طفيلية فئوية مقطوعة عن الأهالي، أو معادية لهم ".

- " دولة حزبية عنصرية تريد فرض قيم فئة محدودة شاذة عن قيم المجتمع عليه ".

- لقد حولت هذه الدولة السيادة الوطنية إلى تبعية شاملة، والشرعية الداخلية تحولت إلى حكم القوة، والتنمية والتلاحم الداخلي إلى تنمية للتأخر، وإلى تفكك اجتماعي ووطني وقومي متزايدين، ولم تشهد المجتمعات بفضل دولة - العلمانية - لا إدارة عقلية للموارد والتوزيع، ولا اندماجا للمجتمع في السياسة، والسياسة في المجتمع.

لقد تراجع الطابع القانوني للسلطة، وظهرت الدولة الحديثة، وخاصة في أوقات الأزمات على حقيقتها، أي قوة أكثر همجية وأكثر انحطاطا... لقد أصبحت دولة البناء القومي دولة الخراب القومي، وتحولت دولة المجتمع والأمة إلى دولة العداء للمجتمع والقهر للأمة، وصارت الدولة الوطنية وكالة دولية وقوة أجنبية ".

- "لقد أصبحت دولة العلمنة في البلاد الإسلامية ناشرة للأمراض الخبيثة في المجتمع اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا... " (1).

وفي الوقت الذي كان فيه هؤلاء يمارسون تجاربهم الفاشلة في التحديث لمجتمعاتهم كانوا - كما ذكر في العنصر السابق - يتهجمون على المملكة، واصفين إياها بالتخلف والرجعية وتجمد الحركة في بدائية معزولة عن التطور، وكل ذلك سببه - لدى هؤلاء - التزام الدولة بالإسلام وقيام نظامها عليه ودعوتها إليه. كان الملك عبد العزيز - رحمه الله - انطلاقا من وعيه الإسلامي السديد موقنا بفساد هذا التصور، وبالخبل العقلي الذي يعاني منه أهله.

بل كان موقنا أن قولة: " الإسلام لا يعارض التحديث " ناقصة؛ لأن الحق أن

(1) في هذا النقد وأمثاله كتب وبحوث كثيرة ، انظر مثلا (نقد السياسة) و (اغتيال العقل) لبرهان غليون ، (الخطاب العربي المعاصر) لفادي إسماعيل ، (الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر) لمنير شفيق ، و (مفهوم الدولة) لعبد الله العروي .

التحديث لا يكون صالحا نافعا إلا إذا ارتكز على الإسلام؛ لأن الإسلام يحدد لأهله القنوات التي يمكن توظيف منجزات الحداثة من خلالها لتكون نافعة معمرة، ولأنه يعطي العقل قوة بصيرة يدرك بها من ركام الحداثة ما يحقق المصلحة الشرعية مما يجلب المفاسد على المجتمع والأمة.

لقد سقت في العنصر السابق قولين للملك عبد العزيز والملك فيصل وهو موقف ثابت منذ بدأ الملك عبد العزيز يتفاعل مع الأجواء العالمية بالمنجزات المادية اليسيرة حتى وقتنا الراهن حيث النهضة المدنية والثقافية بخطواتها الكبيرة وحيث التفاعل الشامل مع العالم في إعلامه ووسائل اتصاله، ومواثيقه ومعاهداته، في كل ذلك ما يزال المبدأ قائما كما كان: الانفتاح والتحديث في ضوء مقررات الإسلام وأحكامه وقيم المجتمع المسلم بعيدا عن تشنجات المواقف الجاهلة إفراطا وتفريطا.

" إننا - يقول خادم الحرمين الشريفين - نؤمن جميعا أن الإسلام دين يخاطب العقل، دين يقضي على التخلف في شتى صوره وأشكاله ويشجع حرية الفكر ويستوعب منجزات العصر ويحض على متابعتها" (1).

ولهذا كان من ركائز القاعدة التي انبثق منها النظام الأساسي للحكم في عام (1412 هـ). "الأخذ بأسباب التقدم وتحقيق النهضة الشاملة التي تيسر حياة الناس ومعاشهم وتراعي مصالحهم في ضوء هدي الإسلام ومقاييسه " (2).

في ضوء هذا العنصر التحديث في ظل الإسلام تواصلت حركة التنمية والنهضة في المملكة لتتحقق في تجليات فاقت دولا سابقة لها في التحديث، ونجت من الآثار السيئة للتحديث غير المنضبط بالإسلام لدى تلك المجمعات، ومن هذه التجليات مثلا: الحركة التعليمية في توسعها الأفقي والرأسي إلى أعلى المراحل وكافة التخصصات مع الحفاظ على العقيدة الإسلامية، ومنها كذلك التعليم النسوي الذي تطور هو الآخر مع الحفاظ على

(1) كلمات منتقاة- مرجع سابق 59 .

(2) أنظمة الحكم والشوري والمناطق 4 .

حشمة المرأة وقيم الأسرة في المملكة.

7- التمثل الشخصي للدعوة

حينما يسود الجهل والتخلف حياة المسلمين في أي عصر من العصور، يحدث فيهم انفصام في الشخصية إزاء دينهم، فتراهم من جهة يحملون اسمه وينتسبون إليه، ويغضبون لو تهجم عليه أعداؤه، ولكنهم من جهة أخرى مفرطون في التزامهم بتعاليمه، والعمل بشريعته، إضاعة للفرائض، وتحللا من الواجبات، ووقوعا في المحرمات، تصل أحيانا إلى درجة لا يفترقون فيها عن الكفار.

هذه المشكلة لم تعد في عصرنا الأخير قاصرة على الغوغاء والعامة الجاهلين، ولكنها وجدت بدرجات تزيد أو تنقص لدى أناس ينتسبون للدعوة الإسلامية، والفكر الإسلامي، فهم في دفاعهم عن الإسلام ضد مطاعن الكفار والمستغربين، وفي تمجيد الإسلام وإعلاء شأنه، والدعوة إلى تطبيقه في نظم الحياة المختلفة، لهم - في كل ذلك - الموقف المشرف والجهد المشكور.

ولكن هذا الصنف وللأسف يضعف عنده الصفاء العقدي خاصة إزاء ما استمرأته بعض المجتمعات الإسلامية من بدع وشركيات قبورية واحتفالية ومشهدية، كما أنه يضعف لديه الجانب التعبدي إهمالا للصلاة وتكاسلا عن الحج سنين طويلة مع كثرة الأسفار هنا وهناك وبرودا أمام كثير من الشعائر الإسلامية وخللا في السمت العام ونحو ذلك مما هو جلي في الواقع.

المنهج السلفي يرفض هذا المسلك غير السوي ويعده دليلا على ضعف الإيمان، والجهل بحقيقة الدين.

إن المنهج السلفي كما ورثه الأئمة المصلحون من صحابة رسول الله r يربط المسلم في سلوكه الفردي كما في نظامه الاجتماعي بتعاليم الشريعة ليستمد منها ويتكيف بها.

وإذا كانت الأولية للعقيدة والعبادة علي سائر الجوانب - كما سبق في العنصر الرابع - فإنهما أجل ما يتراءى في حياة الشخص حساسية تجاه أي خلل عقدي، ووعيا بكل عناصر إيمانه، وحرصا على العبادة صلاة وصياما وحجا وغيرها من الشعائر فرائض

ونوافل.

هذا النمط للمنهج السلفي انعكس على شخصية الملك عبد العزيز الذي حمل هذا المنهج ليمثل الشخصية الإسلامية الملتزمة.

لقد كان هذا المنهج هو همه الأول في شخصيته وحركته كما يعلن ذلك: " عندي أمران لا أتهاون في شيء منهما، ولا أتوانى في القضاء على من يحاول النيل منهما ولو بشعرة، الأول: كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) اللهم صل وسلم وبارك عليه. إني والله وبالله وتالله أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة، ولا أضن بها.

الثاني: هذا الملك الذي جمع الله به شمل العرب بعد الفرقة، وأعزهم به بعد الذلة، وكثرهم بعد القلة، فإني كذلك لا أدخر قطرة من دمي في سبيل الذود عن حوضه " [1].

وهناك عدد من المواقف التي يذكرها المؤرخون لم يتهاون فيها في أمور تمس العقيدة حتى وإن كان في نظر بعض الناس أو حتى رجال الدعوة اليوم سهلة وعادية كالقسم بغير الله، أو إطراء غير الله في المديح لدرجة المغالاة [2].

أما العبادة فقد كان للملك عبد العزيز برنامج تعبدي يلتزمه أذكارا وقراءة للقرآن، وتهجدا بالليل، ومحافظة على صلاة الجماعة، وتفقدا لأولاده ورجاله، ولقد كان قدوة حسنة لكل هؤلاء وللناس من ورائهم [3].

ولقد كان علماء الملك عبد العزيز - أقصد علماء المملكة - كالملك نماذج مشرفة للداعية الفقيه بدينه الملتزم بأوامر الإسلام القائم بالنصيحة لكل من احتاج إليها، ولهذا كان لهم تأثيرهم الكبير في التحول النفسي لدى الناس- خاصة البوادي والأرياف - من البداوة وضيق الأفق ومحدودية الطموح إلى الثقافة الإيمانية الحية، واتساع الأفق وروح

(1) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 138/1 .

(2) مثل موقفه مع الملك فيصل ملك العراق -انظر الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز- الزركلي 185 ط8 .

(3) انظر وصف رجاله له في : كنت مع عبد العزيز الحرس الوطني 1308هـ .

الجماعة والمشاركة الإيجابية في النهوض الإنساني.

ولقد اكتسب حكام المملكة وعلماؤها وما يزالون ثقة المسلمين في مختلف مجتمعاتهم؛ ثقتهم في صدق المواقف، وصحة الالتزام بالدين والفقه بشريعة الله.

****

هذه بعض العناصر المهمة التي يتجلى من خلالها الالتزام الدعوي من قبل الملك عبد العزيز للمنهج الذي اختاره مسلكا شخصيا له وموجها لحركة دولته، وميراثا لمجتمعه يتعاضد الحكام والعلماء وعامة الشعب على مواصلة حمله والوفاء له.

وهي ما تسمح به المساحة الورقية المتاحة لهذا البحث لكني أستكمل بالإشارة - فقط - إلى عناصر ثلاثة أرى أهمية الإشارة إليها، وهي:

أ - إقامة المؤسسات الدعوية ودعمها:

غيرة على الدين وعملا بمنهج التحديث الملتزم، وتحقيقا للمصالح الشرعية لم يقف الملك عبد العزيز في أسلوب الدعوة عند الصور الفردية المباشرة، وإنما استثمر الاستقرار الوطني من جهة ومنجزات العصر الحاضر التقنية من جهة أخرى، فأقام مؤسسات الدعوة المنظمة متنوعة الاختصاصات شاملة العطاء، مثل:

- الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- شؤون الفتوى والدعوة.
- الكليات والمعاهد الشرعية.
- الإذاعة.

وكان الملك عبد العزيز يدعم جهود المؤسسات الدعوية ويفرض بقوة سلطته هيمنتها لتتمكن من أداء رسالتها، من ذلك مثلا: أنه رحمه الله قال في خطاب له أثناء اجتماعه ببعض موظفي الدولة: " نحن وضعنا جماعة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فبلاغتها ومقرراتها تشمل الجميع على السواء، وأنتم يا جماعة الموظفين أحق الناس باتباع أوامرها واجتناب منهياتها، فإنكم أنتم المكلفون بتنفيذها، فإذا كنتم لا تبدؤون بأنفسكم وتكونون قدوة صالحة للناس يصعب تطبيقها وتنفيذها " (1).

وعلى هذه الخطى سار أبناء الملك عبد العزيز حيث أنشئت رابطة العالم الإسلامي،

(1) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 332/1 .

والندوة العالمية للشباب الإسلامي في عهد الملك فيصل، وافتتح مجمع طباعة المصحف الشريف، ووزارة الشؤون الإسلامية في عهد خادم الحرمين الشريفين.

ب - التعاون مع الدعاة في العالم الإسلامي:

نظرا لشمولية المنهج السلفي الذي تعتمده المملكة، فقد انفتحت على الدعوة الإسلامية في كل مكان، فكانت علاقة الملك عبد العزيز وعلماء الدولة - وبالذات الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمهما الله - بالجمعيات والجماعات الدعوية والدعاة الأفراد ما دام الجميع يرتكزون على عقيدة سليمة ورغبة في الخير- علاقة تعاون مهم وتأييد، واستضافة لهم وتزويدهم بالكتب.

ومن أبرز العلماء الذين كانت لهم صلات متينة بالملك عبد العزيز وعلماء المملكة الشيخ رشيد رضا في مصر، ومحمد حامد الفقي كذلك، والشيخ محمد بهجت البيطار في الشام، وكذلك عبد القادر بدران، وفي العراق محمود شكري الألوسي وغيرهم [1].

وقد تواصل هذا الموقف التعاوني المقدر لعلماء الإسلام ودعاته، وجائزة الملك فيصل العالمية خاصة في موضوع (خدمة الإسلام) و(الدراسات الشرعية) تعكس هذا العنصر بوضوح.

ج - الصراحة ورفض النفاق:

الصراحة والوضوح، والنصح الصادق، والإخلاص المتبادل قيم نبيلة في مشاعر الإنسان السوي الذي لم تلوث فطرته، وهي قيم إسلامية أمر الشرع بها وحذر مما يقابلها من سوءات الغش والنفاق والتلبيس والخداع، وبيع الذمة لمصالح وهمية ونحو ذلك.

وانطلاقا من الفطرة والمنهج الإسلامي وعى الملك عبد العزيز - رحمه الله - أهميتها بل ضرورتها لتماسك المجتمع ونهوضه، وصحة إسلامه، فتمثلها في تعامله مع من حوله، وجعلها إحدى قواعد تقويمه للرجال الذين يعتمد عليهم، ومقت أشد المقت رذائل النفاق

(1) انظر هذا الموضوع بتوسع في الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 420 وما بعدها .

والانتهازية والتملق خاصة من العلماء، ومن أقواله في هذا الشأن: " متى اتفق العلماء والأمراء على أن يستر كل منهم على الآخر فيجنح الأمير والعلماء يدلسون ويتملقون، ضاعت أمور الناس، وفقدنا - والعياذ بالله - الآخرة والأولى ".

ويقول في مقام آخر وهو يوجه الذين سينتخبون في مجلس الشورى: " يجب أن تنتخبوا من تعتقدون فيهم الإخلاص في العمل والمقدرة في الدفاع عن الحقوق ".

وقال أيضا: " أريد رجالا يعملون بصدق وعلم وإخلاص حتى إذا أشكل علي أمر من الأمور رجعت إليهم في حله، وعملت بمشورتهم، فتكون ذمتي سالمة، والمسؤولية كلها عليهم، وأريد الصراحة في القول " (1).

وله في مثل هذا أقوال كثيرة تدل على وعيه بخطورة من يسميهم أصحاب المقاصد السيئة والعفانات (2) .

التي يتوسلون إليها بمخادعة الحاكم وتملقه، وتدل على اهتمامه بالحقائق الناصعة والمصارحة المتبادلة بين الحاكم وموظفيه وعلمائه والشعب كله.

وهذه بلا ريب خصلة مجيدة لها أثر كبير في تماسك المجتمع السعودي، وحسن الظن المتبادل بين المسؤولين والرعية. وأخيرا فإن الوصية التي أختم بها هذا البحث دعوة إلى استثمار العناصر الإيجابية في مسيرة هذا الوطن خلال أعوامه المائة الماضية التي تمثل لنا اليوم تاريخا مجيدا لا يكفي تمجيده والتباهي به عن تذكر جوانب الخير فيه وشد الأيدي بها لمواصلة المسيرة الحضارية في مستقبل أيامنا ولمقبل أجيالنا.

وما أؤكد عليه هنا تلك العناصر السلفية فأوصي نفسي والجميع على مستوى الأفراد والدولة بما يلي:

---

(1) السعوديون والحل الإسلامي 36 ، 26 .

(2) قال في رسالة له " الخدام إذا صار لهم مدخل بالأمر دوروا مصالحهم وعفاناتهم ، وهذا كله شيء باطل " السعوديون والحل الإسلامي 34 . - دوروا : يعني بحثوا عن . - العفانات : هي الشهوات الرخيصة ، ومطالب النفس الدنيئة والعفانة تقابل الرجولة .

- أن يظل الإسلام هو رسالة هذا المجتمع التي يحملها تمثلا لها ودعوة إليها والتزاما بسمتها شعبيا ورسميا، مؤمنين بأن وجودنا الحقيقي مرتبط بصدق ولائنا لها.

- التزام الفهم الشمولي للإسلام في كل جوانب الحياة، ورفض التصورات المشوهة عن الإسلام أو إخراج شيء منه عنه.

- تأكيد التلازم بين الدعوة والدولة، وتوسيع مجالات الدعوة لتستوعب طاقات المؤهلين لها في مؤسسات الدولة وهيئاتها.

- المحافظة على الموقع المتميز للعلم الشرعي في هذا المجتمع في أصالة مقرراته ومراجعه، وتوسيع نطاق تدريسه، وتوسيع المجالات لاستيعاب خريجي كلياته، وطبع كتبه...

- الحفاظ الحي على العقيدة والعبادة ودعم مقاومها في المجتمع وعدم التهاون تجاه أي مؤثر يهون من شأنهما، وتمكين المؤسسات التي ترعاهما أكثر فأكثر.

- ينبغي تكريس الوعي الفكري الذي يستطيع به الفرد مسؤولا أو شخصا عاديا إدراك الوسطية التي تمثل منهج الإسلام الحق أمام الانحرافات التي تتقاذف من كل جانب متلبسة صورة الحقائق والاستقامة لتخدع الناس.

- مواكبة العصر في تطوراته المتسارعة في تحديث وسائل الدعوة الإسلامية ومؤسساتها والامتداد بخدماتها إلى كله.

- اتخاذ السبل الكفيلة ببناء الشخصية الإسلامية للإنسان بناء يرتفع بسمته إلى المستوى اللائق به بصفته حاملا لرسالة الإسلام، وممثلا لمجتمع يحملها.

- تكريس القيم الإنسانية النبيلة التي ورثها مجتمعنا ومقاومة الرذائل التي تنجذب إليها بعض النفوس إذا ضعف إيمانها وتشوهت فطرتها حتى لا تجد مجالا لزرع نبتها الخبيث في التربية السليمة.

والله الموفق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه. ا هـــ.

صفات الملك عبد العزيز وسيرته - رحمه الله -

مولده ونشأته

هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن فرحان بن إبراهيم بن موسى بن مانع. ويرجع نسبه إلى أسعد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان [1].

ولد عبد العزيز في مدينة الرياض بقصر والده عبد الرحمن، الذي كان حاكما للدولة السعودية، وكان مولده بتاريخ 19-12-1293 هـ الموافق 14 يناير 1877م. ولقد اختلفت الروايات حول تاريخ مولده، وما ذكرناه هو الأصح لأنه يعتمد على رواية ابنه الأمير طلال بن عبد العزيز [2]. ورواية أخيه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن والتي أوردها الكاتب خير الدين الزركلي [3] ووالدته هي سارة بنت أحمد السديري، ذات النسب الرفيع، من النساء اللواتي آتاهن الله عقلا مدبرا، وذكاء خارقا، تقية ورعة، ومؤمنة بالله، واختار له والده ووالدته اسم (عبد العزيز)، عسى الله أن يعز به الإسلام والمسلمين، فتحققت لهما دعوتهما. فهذا هو عبد العزيز يعمل منذ شبابه وحتى وفاته، ومن بعده أبناؤه البررة على إعلاء كلمة التوحيد، وكل ما فيه خدمة الإسلام والمسلمين وعزتهم.

كان مولد عبد العزيز في وقت كانت فيه شبه الجزيرة العربية تعيش حالة صراعات واضطرابات جعل التمزق يعم معظم أرجائها، وقد تولى والده تربيته التربية الإسلامية الصحيحة، وقام بتعليمه مبادئ القراءة والكتابة وحفظ بعض سور من القرآن، وعندما بلغ ابنه عبد العزيز السادسة من عمره خصص له والده أحد شيوخ الرياض وهو عبد الله الخرجي الذي تولى تعليمه القراءة والكتابة حتى أجادها، كما أنه قام بتحفيظه القرآن الكريم حتى حفظه بكامله وعمره لم يتجاوز الحادية عشرة، ثم انتقل إلى الشيخ محمد بن

---

(1) عبد العزيز الأحيدب : من حياة الملك عبد العزيز ، ص 21 .

(2) طلال بن عبد العزيز : صور من حياة عبد العزيز ، ص 26 .

(3) خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ج1 ، ص 58 .

مصيبيح حيث واصل تعليمه، وتعلم أيضا أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في كراسة صغيرة أعدها خصيصا له [1].

لقد عاش الشاب عبد العزيز السنوات الأولى من عمره في مدينة الرياض وذلك خلال الفترة من ولادته سنة 1293هـ حتى رحيله سنة 1308 هـ، وكان يراقب ما يجري فيها من صراعات وأحداث، كما اشترك مع والده في عدة غزوات أكدت قوته وصلابته، وقد أدرك خلال الفترة التي عاشها في الرياض حقيقة الموقف، فلم يكن في مقدوره غير الصمت والتأمل، ذلك لأن صغر سنه أولا كان لا يسمح له بالقيام بأي تحرك ضد أعداء البلاد والعباد، وثانيا لأن الموقف السياسي في المنطقة كان لا يساعده على التحرك، حيث وجد أن قوى أجنبية تساعد الأعداء ضد آل سعود، وتعمل على الإجهاز على دولتهم خدمة لمصالحها.

شاهد الشاب عبد العزيز خلال السنوات الأولى من شبابه التي قضاها في الرياض ما بذله والده الإمام عبد الرحمن من أجل التوفيق بين المتخاصمين لإبقاء البلاد موحدة. كما شهد مبايعة والده بالإمارة مرتين رغبة منه في إطفاء نار الفتنة وعودة السلام والأمن والوحدة إلي شبه الجزيرة العربية، وخاصة نجد والتي كانت تحت حكم والده، ولكن بعد أن اشتد تأزم الموقف نتيجة قيام بعض الجهات الأجنبية على تشجيع الفتن وإمداد الفئات الخارجة عن طاعة الدولة بالسلاح والمال، ونظرا لاشتعال الفتن في كافة أرجاء البلاد بين مؤيد ومعارض، واشتداد قوة الأعداء الذين تساندهم قوى أجنبية، وجد الإمام عبد الرحمن أن من الأفضل له ولأسرته ترك الرياض ولو مؤقتا، وذلك منعا للفتنة وحقنا للدماء، وخاصة عندما لاحظ قوة التحركات المعادية التي أخذت توجه له شخصيا ولأسرته من آل سعود وأنصارهم والتي اشتدت أكثر بعد معركة المليدا منذ منتصف عام 1308هـ [2]. عسى أن يجعل الله له بعد عسر يسرا، ولأنه لا فائدة من المواجهة في

(1) المرجع السابق ، ج1 ، ص 57-58 .

(2) عبد اللطيف بن دهيش : التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز ، ص 4 .

الوقت الحاضر.

ونتيجة لذلك غادر الإمام عبد الرحمن الرياض في شهر رمضان من عام 1308 هـ الموافق مايو 1891م يرافقه ابنه الشاب عبد العزيز وبعض أفراد أسرته، واتجه إلى البحرين حيث رحب به حاكمها الشيخ عيسى بن خليفة. ومع أن ترحيب الشيخ عيسى بالإمام عبد الرحمن وأسرته كان عظيما وأن ضيافته له كانت كريمة، فإنه لم يكن في مقدوره أن يعمل ما يتطلبه الموقف من استعداد حربي يستطيع به الإمام عبد الرحمن استعادة حكمه على دولته، ولذلك قرر الإمام عبد الرحمن الرحيل إلي قطر، وهناك اتضح له أنه لا يمكن أن يتخذ منها ملجأ له، أو قاعدة لتحركه، فقرر الرحيل عنها إلى ربوع الصحراء ليقيم بين البادية عند قبيلة آل مرة [1]. وهناك ألف عبد العزيز حياة الصحراء وتشنفت آذانه برغاء الإبل وصهيل الخيول، ركب الهجن واعتاد عليها، وامتطى صهوات الجياد، وأجاد الفروسية وفنونها منذ نعومة أظافره، وهذه صفات ما كان لعبد العزيز ليمارسها لو بقي في الرياض.

شبابه

فبدأ الشاب عبد العزيز وهو في مقتبل العمر مفتول العضل، طويل القامة، صلب العود، جم النشاط، يجوب الفيافي ليل نهار، ومشى أحيانا المسافات الطويلة ممتطيا جواده في كر وفر فارسا شجاعا.. قلما يهدأ له بال، أو يعرف القرار، خاطف المزاج كالبرق اللامع يهب سريعا ويسكن في مثل سرعته، حليم الطباع، طيب العشرة، لطيف النفس، قوي الإرادة، كريم الأخلاق، لا يغضب إلا نادرا- وخاصة عندما يعتدى على حرمات الله. وهذه الصفات الجمة التي اتصف بها عبد العزيز جعلت والده يعتمد عليه، ويوكل إليه الكثير من المهام السياسية والقيادية، فكان يؤديها بدراية تامة، وينجزها على أحسن وجه.

فقد أرسله والده الإمام عبد الرحمن في سفارة إلى الهفوف قاعدة الأحساء، هدفها

(1) محمد المانع : توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة : د ، عبد الله الصالح العثيمين ، ص 35-36 .

مفاوضة العثمانيين نيابة عن والده في مسألة الإقامة في الأحساء، لكن طلبه هذا ووجه من الولاة الأتراك في الأحساء بعدم القبول خوفا من أن يؤثر وجوده هناك في القبائل وسكان المدن فيلتفوا حوله، ويعلنوا ولاءهم، فيتخذ من الأحساء قاعدة لتحركه لاسترداد ملك آبائه وأجداده- خاصة وأن الأحساء مليئة برجال قبيلتي آل مرة، والعجمان الموالين لآل سعود، والذين تربطهم بهم صلة الرحم [1].

ونظرا لأن حياة الصحراء علمت الشاب عبد العزيز الصبر على المكاره، والثقة بالنفس، وحسن التخطيط لتجاوز المصاعب بحكمة وقوة إرادة، فإن ذلك لم يخرجه عن طوره إلى مزالق التفرقة، بل أخذ الأمر بصمت وأن النصر سيكون قريبا بإذن الله.

وكان بإمكان الإمام عبد الرحمن وأسرته العودة إلى الرياض، ولكنه وجد أن الوقت لم يحن لذلك، فقرر الاستقرار في الكويت في انتظار الفرج الكبير من الله. وفي الكويت رحب به أميرها الشيخ محمد الصباح بعد أن استتب له الأمر هناك وأحسن إكرامه، وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة 1310 هـ الموافق نوفمبر 1892 م [2]. وكان ابنه الشاب عبد العزيز ورفاقه ومعهم الأسرة قد سبقوه إلى هناك للإعداد لسكن يليق بالإمام وأسرته، وعندما قدم الإمام عبد الرحمن إليهم التأم الشمل في البلد المضياف وسارت الأمور على خير ما يرام.

وفي الكويت أخذ الشاب عبد العزيز يحضر الاجتماعات التي كان يعقدها مبارك الصباح [3] مع مندوبي الدول الكبرى مثل: روسيا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا والدولة العثمانية، وشيوخ القبائل المحيطة بالمنطقة، والاستماع إلى كل ما يجري فيها من أحاديث وخطط ومشروعات حول مستقبل ومصير المنطقة، وكان مندوب كل دولة من تلك الدول يعمل على ما يوفر لدولته من تحقيق لمطامعها في البحار العربية المحيطة بشبه الجزيرة

(1) خير الدين الزركلي : مرجع سابق ، ج1 ، ص 64-66 .

(2) عبد العزيز الرشيد : تاريخ الكويت ، ص 138- 139 .

(3) تولي مبارك الصباح حكم الكويت بعد مقتل أخويه محمد وجراح الصباح .

العربية، وإنشاء مواقع لها على السواحل الغربية للخليج العربي، تكون مرتكزا لها لتحقيق أطماعها وخدمة مصالحها في المنطقة العربية [1].

لقد كانت ألمانيا تريد الوصول إلى الخليج العربي وذلك عن طريق إنشاء سكة حديد تمتد من برلين إلى إسطنبول ومنها إلى بغداد، ثم البصرة لنقل المؤن من الهند إلى أوربا، وترك المضائق لبريطانيا للخلاص من الحصار الذي كانت تفرضه بريطانيا على التجارة العالمية في تلك الفترة. أما الروس فكانوا يرغبون في جعل الكويت محطة من محطات الفحم في محاولة لمد سلطتهم إلى منطقة الخليج، لتحقيق مكاسب اقتصادية واسعة لهم في تلك المناطق، ولذلك قادتهم أطماعهم إلى التفكير في تأسيس سكة حديد تمتد من بحر قزوين إلى البصرة فالكويت وربما إلى بندر عباس على الجانب الشرقي للخليج العربي [2]. وكانت بريطانيا ترى أن الكويت محطة ارتكاز لها تربطها بالمشرق العربي، وشركاتها التجارية في الهند وأوربا، ولا تريد لأي قوة مهما كانت أن تعرض مصالحها ومستعمراتها في الهند للخطر، فأخذت في تركيز وجودها في منطقة الخليج.

أما الدولة العثمانية فإنها تنظر بإعجاب لما يدور لكنها أصبحت كما يقال (الرجل المريض)، فالحروب والانقسامات تحيط بها من كل جانب نظرا لسياستها غير الحكيمة في تلك الفترة، وتسلط حزب تركيا الفتاة على السلطة فيها.

كان الشاب عبد العزيز يستمع إلى معظم ما يجري في اجتماعات مبارك الصباح، ويطلع على الخطط والتقارير التي يقدمها مندوبو تلك الدول لديوان شيخ الكويت، فكانت فرصة كبرى له، عرف من خلالها نوايا وأطماع تلك الدول الكبرى في المنطقة العربية والخليجية بالذات لخدمة مصالحها التوسعية وطرق تجارتها. وقد استفاد من ذلك فائدة كبيرة جعلته يدرك أن المنطقة أصبحت لقمة سائغة للطامعين، وأنها مقبلة على مصير مشؤوم.

(1) ابن دهيش : مرجع سابق ، ص 15 .

(2) نبوا ميشان : عبد العزيز آل سعود ، ص 64- 68 .

فأدرك عبد العزيز أن ما يريد تحقيقه ليس مجرد الرغبة في استعادة ملك الآباء والأجداد فقط، وإنما هو في الواقع تحرك يجب أن يكون من أجل البناء والوحدة، ونشر الأمن والسلام في ربوع المنطقة، وأن هذا لا يكون إلا بالتضيحة الواعية، والإرادة القوية، والإيمان الكامل بالله، وكلها صفات تتميز بها شخصيته الفذة، وذلك من أجل إنقاذ البلاد والعباد ومن زحف شيوعي واستعماري صليبي ومصير مشؤوم خاصة وأن الدولة العثمانية أصبحت في تلك الفترة وفي تلك المنطقة بالذات غير قادرة على حماية المناطق الخاضعة لها من تسلط تلك الدول الاستعمارية الكبرى.

أثر الأحداث والمخططات الاستعمارية التي شاهدها وسمعها في حياته

لقد كانت لتلك الأحداث والمخططات الاستعمارية التي شاهدها وسمعها الشاب عبد العزيز في الكويت ومن أهمها تألب الأعداء على البلاد والعباد سوف يحول المنطقة إلى مسرح لاستعراض القوى، يشيع فيها الفتن والاضطرابات، ويعرضها إلى الخضوع للمستعمر الطامع.. فكان ذلك كافيا لشحن طاقاته، وإصراره على سرعة التحرك، فكان تفكيره ينصب دائما في إحياء مجد أبيه وأجداده، وتجديد بناء دولتهم، وإنقاذ البلاد من المصير المشؤوم الذي يخططه لها الأعداء وأصحاب المصالح الاستعمارية من الدول الأخرى، وإن ما حدث لأسرته لم يكن برغبة من أهالي البلاد الذين أحبوا آل سعود، وأعلنوا دائما ولاءهم لهم، وإنما حدث ذلك بتخطيط من قوى خارجية أرادت إبقاء مناطق شبه الجزيرة العربية ممزقة تعمها الفتن والاضطرابات، وهي تعمل على تغذية الطامعين في السلطة بالأسلحة والذخائر من أجل أن يحارب بعضهم بعضا حتى لا تقوم في المنطقة حكومة قوية توحدها، مما قد لا يمكن الأعداء من تحقيق مصالحهم وأطماعهم في المنطقة العربية، عندما تكون المنطقة موحدة وتحت حكومة قوية كحكومة آل سعود.

ومن الكويت بدأ الشاب عبد العزيز في وضع الخطط لتحقيق هدفه النبيل ليعيد لشبه الجزيرة العربية ودولة آل سعود مجدها ووحدتها قبل أن تصل إليها يد المستعمر الغاصب الأثيم، ولإفشال المخططات الاستعمارية التي أخذ خطرها يمتد إلى بعض أطراف شبه الجزيرة العربية.

وهكذا شاءت إرادة الله في أن يكون عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود قائد مسيرة الخير، وقافلة الوحدة والوئام، يسير بها البناء والعدل والوحدة والتطور، يسير وكله عزيمة وتقوى وإيمان، يسير وعين الله ترعاه [1].

خرج الشاب عبد العزيز من الكويت في أوائل سنة 1319 هـ على رأس نخبة من

(1) ابن دهيش : مرجع سابق ، ص 16 .

أقربائه وأنصاره مكونة من أربعين رجلا - وقيل أكثر من ذلك -، معظمهم من الذين انضموا إلى والده عند مغادرته الرياض، أي أنهم من الذين أثبتوا إخلاصهم وولاءهم للبيت السعودي، وكان بينهم شقيقه الأمير محمد، وابن عمه الأمير عبد الله بن جلوي، والأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي، وذلك في عملية فدائية بطولية، وفي ظل ظليل من السرية والكتمان، فما كان عبد العزيز يجهل أن أعداءه يراقبونه بدقة ويحصون حركاته وسكناته، فاتجه إلى الأحساء، وفي طريقه إليها التف حوله الأنصار من قبائل سبيع ومطير والعجمان والعوازم، وأصبح جيشه عندئذ يزيد عدد أفرادهم عن ألف مقاتل وأربعمائة فارس [1]. وذلك لحبهم لأسرة آل سعود، لأنهم عرفوا في ظل دولتهم العدل والأمن والرخاء والاستقرار.

وعندما علم حاكم الأحساء العثماني انضمام أعداد كبيرة من أبناء القبائل لقوة عبد العزيز، ما كان منه إلا أن أخبر ولاة الدولة في العراق والشام بذلك، والذين أعدوا العدة لتتبع أبناء القبائل الذين انضموا لقوة عبد العزيز، وشددوا الخناق على أنصار وأتباع القائد البطل عبد العزيز، مما جعلهم ينفضون من حوله، بعد أن هددهم رؤساء قبائلهم وعشائرهم بمحاربتهم، فلم يبق مع عبد العزيز إلا من سار معه من أقربائه وأنصاره من الكويت [2].

في هذه الأثناء أدرك عبد العزيز خطورة الموقف، وأن الأعداء يسعون للقضاء عليه مهما كلفهم الأمر، فاتجه سرا مع أقربائه وأنصاره نحو الجنوب وسلك طرقا غير مألوفة حتى وصل إلي منطقة الجافورة، وبقي هناك فترة من الزمن حتى انقطعت أخباره عن أتباع الدولة العثمانية، ومن هناك أرسل أحد أتباعه لإخبار والده بالأمر وأنه بخير وسلام. بعد ذلك فرق أتباعه في عدة مجموعات صغيرة وأمرهم بالاتجاه إلى الجنوب ثم إلى الغرب، وأن تكون واحة يبرين في الجنوب الشرقي من الرياض هي نقطة التجمع، وعندما وصلها أقام

(1) فؤاد شاكر : الملك عبد العزيز- سيرة لا تاريخ ، ص 15 .
(2) عمر العمروي : المعالم الجغرافية ، ج1 ص 42-43 .

بها معظم شهر رجب 1319 هـ، وكامل شهر شعبان الموافق أواخر شهر أكتوبر وأوائل شهر نوفمبر 1901 م.

وفي يبرين أخذ عبد العزيز في إعداد خطة استرداد الرياض، وهي خطة مليئة بالتضحية والفداء، كما تتسم بالسرية التامة والوعي العميق. وهناك عاهد أقرباءه وأنصاره وهم الرجال الأبطال الذين ساروا معه من الكويت وكان لسان حالهم جميعا يقول:

لأستسهلن الصعب أو أبلغ المنى فمـــا انقادت الآمال إلا لصابر ابن[1]

وهناك ندرك أن الشاب القائد عبد العزيز قد اتصف بالشجاعة والتضحية والإقدام، وقوة الإيمان بقضاء الله وقدره، وأن هذه الصفات هي صفات القائد القوي، وأنها كانت حافزا على تثبيت عزائمه في المواقف الصعبة التي يمر بها القلة من الرجال الأفذاذ.

كما تشير هذه الأحداث إلى أن من صفات الشاب عبد العزيز صلته بوالده وإخباره بكل صغيرة وكبيرة والاستفادة من رأيه، وهو يدرك أن والده كان السند القوي له بعد الله عز وجل.

وفي يبرين يضع القائد عبد العزيز خطة التحرك من يبرين إلى الرياض، وقد كانت تتمثل في النقاط التالية:

1- التحرك من يبرين والتوغل داخل نجد في شكل مجموعات صغيرة وتحت ستار شديد من السرية والكتمان.

2- توقف الحملة خارج الرياض عند ضلع الشقيب والذي يبعد عن الرياض حوالي ساعة ونصف مشيا على الأقدام حتى يكتمل جميع أفرادها.

وفي أوائل شهر رمضان بدئ في تنفيذ هذه الخطة بدقة وحكمة وبإشراف تام من القائد عبد العزيز، واتجهت المجموعات في سرية تامة نحو الشمال الغربي حتى وصلت إلى منطقة التوضحية في العشرين من رمضان فنزلت هناك، وبعد استراحة استمرت عدة أيام

(15) دهيش ، مرجع سابق ، ص 17 .

غادرها الجميع إلى أبو جفان. وفي الثالث من أيام عيد الفطر المبارك، وبينما كان الناس في لهو ومرح منشغلين بأفراح العيد، حيث يخرج الناس من المدن إلى المزارع المجاورة، فتعج تلك المزارع بالمتنزهين من جميع الأسر رجالا ونساء وأطفالا، خرج البطل عبد العزيز ومن معه وكأنهم من المتنزهين والفرحين بأيام العيد، ولكنهم كانوا ينظرون إلى الفرحة الكبرى وهي فرحة استرداد الرياض وإعلان قيام الدولة السعودية من جديد [1]. وهناك زاد عددهم إلى نحو الستين رجلا ويظهر أنه انضم إليهم بعض من رتب معهم عبد العزيز ليكونوا في استقباله هناك قبل اقتحام الرياض.

وهنا وضع عبد العزيز الخطة الأخيرة والمتمثلة في اقتحام قصر المصمك، والتي تشمل النقاط التالية:

1- يكون دخول الرياض من الناحية الغربية الجنوبية لقربها من قصر المصمك، ويتم التنفيذ في مساء اليوم الرابع من شهر شوال من سنة 1319هـ من بوابة الثميري وذلك لأن ابن رشيد قد هدم الجزء الأكبر من السور من تلك الناحية بعد استيلائه على الرياض سنة 1309 هـ، فكانت فرصة للقائد عبد العزيز أن يجعل من هذه المنطقة المهدومة من السور مدخلا له ولرجاله.

2- يتم تقسيم أفراد المجموعة إلى ثلاث مجموعات، كل مجموعة تناط بها مهمة معينة ويكون على رأس المجموعة الأولى وعددهم سبعة الإمام عبد العزيز وأخوه الأمير محمد وابن عمه الأمير عبد الله بن جلوي، وتكون مهمتهم مهاجمة قصر الإمارة (المصمك) وتخليصه من الأعداء. وتتولى المجموعة الثانية المراقبة ومساعدة المجموعة الأولى. أما المجموعة الثالثة فتبقى في الضاحية لتعود إلى حيث أتت بعد مضي 24 ساعة إذا لم يرسل لهم عبد العزيز في طلبهم [2].

وبتوفيق من الله استطاع القائد عبد العزيز أن يدخل مع أنصاره مدينة الرياض وذلك

(1) العمروي ، مرجع سابق ، جـ1 ، ص 43- 44 .
(2) فؤاد شاكر : مرجع سابق ، ص 16 .

في فجر اليوم الخامس من عيد الفطر المبارك، وأن يقضي على حاكم الرياض التابع لابن رشيد عجلان بن محمد بن عجلان، فأعلنت الرياض ترحيبها بمقدم الزعيم البطل الإمام عبد العزيز بعد أن خاض ملحمة بطولية كلها فداء وتضحية، وعمت بذلك النصر الفرحة الكبرى جميع أرجاء مدينة الرياض، والتي سارت في ساحاتها وشوارعها العرضات تعبيرا وتأكيدا للولاء الشعبي العام للقائد الشهم. وأعلن المنادي في طول البلاد وعرضها أن الحكم لله ثم لعبد العزيز [1]. وهكذا عاد عبد العزيز إلى عرين ملك آل سعود وذلك بتوفيق من الله ونصره.

وما إن استقر الأمر لعبد العزيز حتى أرسل إلى والده في الكويت من يبشره بهذا النصر العظيم، الذي تحقق له بتوفيق من الله ثم بدعاء والده له، ويدعوه للقدوم إلى الرياض لتولي حكم البلاد.

وبعد أيام عاد الإمام عبد الرحمن إلى الرياض، وهناك استقبل استقبالا حافلا يليق بمكانته، وكان على رأس المستقبلين ابنه القائد عبد العزيز الذي خرج إلي مشارف الرياض لاستقبال والده والترحيب به، ترحيب الابن لأبيه، وكان يرافقه عدد كبير من أنصاره وأهالي الرياض.

وأثناء استقبال الأهالي للإمام عبد الرحمن في الرياض قدم له الجميع الولاء والطاعة وفي هذه الجموع الغفيرة من مؤيديه أعلن الإمام عبد الرحمن بتنازله عن حكم البلاد لابنه عبد العزيز، وبإصرار من والده قبل عبد العزيز حكم البلاد، وتلقى التهنئة من والده وبايعه رجاله وأهل الرياض، كما بايعته وفود القبائل والمدن بالولاء والطاعة وهذا يدل على طاعة القائد عبد العزيز لوالده، وأنه لا يعتقد أمرا من الأمور إلا بعد أخذ توجيهات والده ونصائحه مما يدل على طاعته وتواضعه الجم لوالده. ولذلك سهل الله أمره في كل خطوة يخطوها وأيده بنصره وتوفيقه، لأن طاعة الوالدين من طاعة الله.

(1) ابن دهيش ، مرجع سابق ، ص 16-17 .

ومن الرياض انطلق الإمام عبد العزيز لإكمال مسيرة الخير والوحدة والبناء بتوحيد بقية مناطق المملكة وضمها إلى دولته في وحدة سياسية واجتماعية، وحدة شعارها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وفي الوقت نفسه أخذت وفود القبائل وأمراء المدن تتوافد على الرياض معلنين ولائهم وانضمامهم إلى الدولة السعودية تحت قيادة الإمام الباني عبد العزيز، وهناك يستقبلهم الإمام عبد العزيز في قصر الحكم بالرياض، ويرحب بهم ترحيب الأب بأبنائه والأخ بأخيه، وعندما يكون الإمام عبد العزيز منشغلا في حروبه يستقبلهم والده الإمام عبد الرحمن ويتقبل منهم الولاء والطاعة.

وهكذا انطلقت مسيرة التوحيد إلى المناطق لتضمها الواحدة بعد الأخرى، فتم ضم المناطق الجنوبية للرياض خلال عام 1320 هـ [1].

وضم إقليم الوشم ثم إقليم سدير ما عدا المجمعة، وكان إقليما الشعيب والمحمل قد دخلا في طاعة الإمام عبد العزيز دون مقاومة، وذلك قبل نهاية عام 1321هـ.

وفي الخامس من شهر محرم 1322هـ تمت السيطرة على مقاليد الأمور في عنيزة، وتلا ذلك دخول القوات السعودية إلى بريدة، وبذلك تم ضم عنيزة وبريدة، ثم تلا ذلك انتصار الإمام عبد العزيز في معركة الشنانة في الثامن عشر من رجب من نفس العام. وعلى الرغم من ذلك فإن المناوشات بين الإمام عبد العزيز وابن رشيد استمرت حول القصيم حتى انتهت بمقتل عبد العزيز بن رشيد في ليلة السابع عشر من شهر صفر سنة 1324 هـ في معركة روضة مهنا.

وفي 28 جمادى الأولى عام 1331 هـ دخل الإمام عبد العزيز الأحساء بسلام وأمان، فجمع الحامية التركية فيها وأرسلهم إلى ميناء العقير معززين مكرمين، ومن هناك عادوا إلى بلادهم بالسفن دون أن يصابوا بأذى.

وفي عام 1338هـ تحركت القوات السعودية نحو منطقة عسير بقيادة الأمير عبد

(1) عبد الله العثيمين : تاريخ المملكة العربية السعودية ، جـ1 ، ص 65- 105 .

العزيز بن مساعد وتم ضمها إلى الحكم السعودي، لكن القوات السعودية هناك واجهت تحركات معادية من آل عايض وأعوانهم أدت إلى قيام الإمام عبد العزيز بتجهيز جيش كبير قوامه ستة آلاف مقاتل معظمهم من الإخوان بقيادة ابنه الأمير فيصل، وانطلق هذا الجيش من نجد في شوال عام 1340هـ، ولما اقترب من عسير التحق به أربعة آلاف من قحطان وزهران وشهران وغيرها، واستطاع هذا الجيش القضاء على القوى الخارجة عن طاعة الدولة. وقام الأمير فيصل بتعيين سعد بن عفيصان أميرا على عسير مقره أبها، وأبقى لديه حامية عسكرية مكونة من خمسمائة مقاتل، ثم عاد إلى الرياض [1] وبذلك دخلت منطقة عسير نهائيا تحت الحكم السعودي، وأصبحت جزءا من وحدة المملكة ونالها حظ وافر من التقدم كبقية أجزاء المملكة.

وكان قد عقد في الرياض في أوائل عام 1339 هـ1921 م مؤتمرا عاما أوصى الحضور فيه بأن يلقب الإمام عبد العزيز بلقب (سلطان نجد).

وفي أوائل عام 1340 هـ وصل السلطان عبد العزيز إلى حائل ومعه حوالي عشرة آلاف مقاتل، واستطاع ضمها وما جاورها إلى دولته، وذلك في 29 صفر سنة 1340 هـ. وعندها لقب الإمام عبد العزيز بلقب (سلطان نجد وملحقاتها).

وقد استبشر السلطان عبد العزيز بهذا النصر العظيم، فأصدر أمره الكريم بإصلاح شؤون المناطق التي خضعت له، وقام بتعيين الأمراء والقضاة والدعاة لإقامة الصلاة ونشر الأمن والعدل والسلام في المناطق التي تم ضمها لدولته، وتطبيق شرع الله بها.

وفي أوائل عام 1343هـ استطاعت القوات السعودية ضم تربة والطائف. وبعد معارك الطائف والهدى فر علي بن الحسين إلى مكة المكرمة، وهناك قام الحسين بن علي بالتنازل عن الحكم لابنه علي، فبويع علي بن الحسين بالحكم في الخامس من شهر ربيع الأول عام 1343 هـ، وفي العاشر من الشهر نفسه وصل والده الحسين إلى جدة، وبعد

(1) المرجع السابق ، ج1 ، 175- 180 .

خمسة أيام غادرها بحرا متوجها إلى العقبة. أما علي بن الحسين فإنه أدرك صعوبة الموقف في مكة المكرمة فغادرها إلى جدة في الرابع عشر من الشهر نفسه [1].

كما غادر مكة اللواء صبري باشا وكيل الحربية في مكة التابع لحكومة علي بن الحسين، وهناك أخذ علي بن الحسين في إقامة خطوطه الدفاعية حول مدينة جدة، فأحاطها بالأسلاك الشائكة، وقام ببناء التحصينات اللازمة حولها [2].

وفي 17 ربيع الأول من العام نفسه دخلت قوات الإمام عبد العزيز مكة المكرمة بقيادة كل من خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد بسلام وأمان، وكانوا جميعهم محرمين ملبين، وطافوا بالبيت العتيق، وسعوا بين الصفا والمروة، وأقاموا هناك في انتظار قدوم السلطان عبد العزيز الذي وصل إلى مكة محرما في الثامن من جمادى الأولى من العام نفسه، وبعد أن أدى ومن معه العمرة أقام بمكة فترة من الزمن يرتب أحوالها ويعد قواته للتقدم بها إلى جدة، وما إن تم له ذلك حتى تقدم بقواته إلى جدة التي لجأ إليها الشريف حسين، وأقام في منطقة الرغامة على مشارف جدة يراقب تحركات الشريف ومحاصرا لجدة، وبعد حصار ومراسلات بين الطرفين دامت حوالي العام تنازل الشريف علي بن حسين عن حكم الحجاز، وغادر جدة بحرا يحمل معه ما استطاع حمله، وتوجه إلى العقبة [3]. فدخلها السلطان عبد العزيز، فاستقبله أهلها معلنين ولاءهم وطاعتهم له، وكان ذلك بتاريخ يوم السبت الرابع من جمادى الآخرة عام 1344 هـ الموافق 19 ديسمبر 1925 م، وعلى إثر ذلك تمت البيعة للسلطان عبد العزيز ملكا على الحجاز وسلطانا لنجد بعد أن دخل الأمير محمد بن عبد العزيز المدينة المنورة في التاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة 1344 هـ وأمن أهلها، وبهذا تم بناء الدولة السعودية في ملحمة

(1) المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 192- 193 .

(2) أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ص 640 .

(3) عبد الله العثيمين : المرجع السابق ، ص2 ، ص 200 ، جـ 2 ، ص 200 .

بطولية قادها الملك عبد العزيز - رحمه الله - [1]. ونتيجة لضم الحجاز أصبح عبد العزيز يلقب بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، ثم اختصر اللقب وأصبح ملك الحجاز ونجد وملحقاتها. وفي 17 جمادى الأولى عام 1351هـ صدر مرسوم ملكي برقم 2716 بالموافقة على تسمية الدولة باسم (المملكة العربية السعودية)، ويكون لقب ملكها ملك المملكة العربية السعودية، على أن يكون ذلك اعتبارا من يوم الخميس 21 جمادى الأولى عام 1351 هـ الموافق 23 سبتمبر 1932م، الموافق لليوم الأول من برج الميزان من عام 1290 هجرية شمسية.

ولأهمية هذا التاريخ، اعتبر يوم 23 سبتمبر الموافق لليوم الأول من برج الميزان من كل عام يوما وطنيا للمملكة، يتم فيه استعراض إنجازات الدولة في العام المنصرم في جميع قطاعاتها. وهكذا تم توحيد المملكة والذي معه سارت خطوات البناء والتطور ونشر الأمن والعدل في ربوع المملكة حتى أصبح للمملكة علم مرفوع، وصوت مسموع في جميع أنحاء العالم.

ومن خلال تتبعنا لتحركات وانتصارات الملك عبد العزيز لتوحيد بلاده، نلاحظ بروز صفاته القيادية، وأنه لم يكن- رحمه الله - مقاتلا شجاعا فحسب، ولم يكن أميرا يطلب ملك أبيه وأجداده فقط.. وإنما كانت طموحاته وهمته أكبر من ذلك بكثير، لقد وهب حياته منذ بدايتها مدافعا عن التوحيد وسلامة العقيدة، ونشر الأمن والعدل في دولة لها رسالتها ووزنها التاريخي والقيادي بين دول العالم، يحكم فيها بشرع الله، وتأخذ بكل أسباب التطور والتقدم على أسس إسلامية سليمة، يدفعه في ذلك إيمانه العميق بالله لتحقيق هدفه الخير النبيل، وهو ما ساعده على تخطي العقبات بالرغم من شدة الأحداث التي واجهته.

وبهذه الأهداف النبيلة.. استطاع الملك عبد العزيز بتوفيق من الله أن يحقق ما لم يحققه

(1) خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، جـ1 ص333-346 .

أحد من ملوك المسلمين وقادتهم في العصر الحديث، فجاءت الدولة والوحدة التي أقامها لتعبر عن نموذج عصري جديد للدولة الإسلامية المعاصرة، نموذج يحمل معه فكرا سياسيا سليما، مبنيا على أسس إسلامية واضحة المعالم [1]. قال تعالى: { ûïÏ‰Gš$ ª! $ ‰ãr `Ï šú ïÏ‰Gš$ #÷; GÓ'$$JŸ2 ÇÚ öF{$ 'Î 0GZÿîÏ GóŠ9 Ï»sÎ ÁŠ9$ {qèÙ ãr 0ãZÏ {qãB#ä ÓÍ_Rr‰çèƒ $ŸÏ‰ ÏNÌõ¡z Ï‰è/ .Ï Nèd9Ï‰7Šr ÏNç; 4Ó?ös " Ï‰Gš$ÏNèdƒŠ ÏNç; £ZÏBÍKãr ÏNÌõ‰ .[2] { $\ø© 'Î šc qäÎÕçÏW

(1) د . عبد الله بن عبد المحسن التركي : شخصية الملك عبد العزيز ، المدينة ، العدد 1325 ، الخميس 28 شعبان 1419هـ / 17/ 11 / 1998 م ، ص 13 .

(2) سورة النور آية : 55 .

من أهم أعماله

ومن أهم أعماله ما يلي:

1- إقامة دولة إسلامية يحكم فيها بالشرع الحكيم المبني على تحكيم كتاب الله وسنة نبيه.

2- نشر الأمن والعدل والأمان، ومحاربة الفسقة والمجرمين.

3- محاربة البدع والخرافات، ونشر العقيدة الإسلامية الصافية من كل الشوائب.

4- نشر العلم في ربوع البلاد في المدن والقرى والهجر، وإرسال الدعاة والوعاظ والمرشدين لدعوة الناس إلى فهم الدين الإسلامي والعقيدة الصافية، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، وإنشاء المساجد والمدارس والمعاهد والكليات لمحاربة الجهل على أسس إسلامية سليمة.

5- تعيين القضاة في المدن والقرى للحكم بين الناس بالشريعة الإسلامية السمحاء.

6- أسس الهجر لاستقرار البادية، ونقلهم من مجتمع قبلي يقوم على الأعراف إلى مجتمع إسلامي يحكم فيه بكتاب الله وسنة نبيه الخالدة، وبعقيدة إيمانية سامية.

7- اهتم- رحمه الله- بتأمين الطرق البرية المؤدية للمشاعر المقدسة في مكة المكرمة، كما اهتم بإنشاء المطارات والموانئ البحرية مما زاد في عدد الحجاج في عهده.

8- اهتم - رحمه الله- أيضا بالحرمين الشريفين تعميرا وتوسعة، كما أنه أمر بإقامة الدروس وعين هيئة علمية للإشراف على التدريس برئاسة سماحة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، وعضوية عدد كبير من العلماء للتدريس في المسجد الحرام.

9- تأسيس جهاز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحث الناس على المحافظة على الصلوات في المساجد، ومحاربة البدع والخرافات.

10- طباعة ونشر الكتب الإسلامية وتوزيعها مجانا بين العلماء وطلاب العلم، وإنشاء المكتبات العامة.

11- جعل للعلوم الإسلامية من تعليم للقرآن الكريم وحفظه، وتفسير ومعرفة

الحديث النبوي ومصطلحه، والتوحيد والفقه وأصوله، واللغة العربية وآدابها نصيبا كبيرا وحظا أوفر في المناهج الدراسية في المدارس والمعاهد والكليات.

12- جعل شعار دولته كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، هذا الشعار الذي يكشف عن سلامة العقيدة وصفائها، فأصبح للمملكة في كل بلاد الدنيا علم مرفوع وصوت مسموع، وكتاب مقروء يشع بالخير والنفع العظيم.

والنظام السياسي في المملكة العربية السعودية يرتكز على مقومات إسلامية، تجعل من العقيدة الإسلامية وسلامتها دعامة ثابتة، ومنطلقا أساسيا للفكر السياسي للدولة، ونمط حياة لأفرادها. كما أن الدولة السعودية تسير في أحكامها وتنظيماتها على أسس الشرع الحنيف المستمد من كتاب الله والسنة النبوية المطهرة، وهذا النهج الإسلامي القويم هو ما دعا إليه الملك عبد العزيز وطبقه في دولته وبين أبناء شعبه الوفي.

فعندما أصدر الملك عبد العزيز التعليمات الأساسية للمملكة في 21 صفر 1345هـ جاء في المادة الأولى منها: "إن المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله r ولغتها هي اللغة العربية".

وقد أكد ذلك الملك عبد العزيز -رحمه الله- في خطابه الذي ألقاه في اليوم الأول من ذي الحجة سنة 1348 هـ الموافق 29 من شهر أبريل عام 1930 م في حفل أقيم على شرفه في مكة المكرمة قال فيه: "نحن نفتخر بالدين الإسلامي، ونفتخر بأننا دعاة مبشرون لتوحيد الله ونشر دينه، وأحب الأعمال إلينا هو العمل في هذا السبيل... نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالي من كل بدعة، نحن دعاة إلى التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها". (1)

وقال أيضا: " نحن دعاة إلى الإيمان بالله تعالى وبرسول الله وبسنة نبيه r نحن ندعو

(1) محي الدين القابسي : المصحف والسيف الطبعة الرابعة " مزيدة " الرياض ، دار الصحراء السعودية ، 1418 هـ / 1998م ص 62-63 .

إلى ذلك جهد طاقتنا في السر والعلن، وليس في ذلك غش ولا تدليس ".

وكان الملك عبد العزيز حريصا كل الحرص على جعل ذلك منهجا لدولته يسير عليه من بعده أبناؤه، كما سار عليه أجداده والسلف الصالح. فقال في خطاب ارتجله في حفل تكريمي أقامه لكبار حجاج بيت الله الحرام في اليوم الخامس من شهر ذي الحجة لعام 1352 هـ، الموافق 31مارس 1933م: "قد جعلنا الله- أنا وأبنائي وأجدادي- مبشرين ومعلمين بالكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح...". (1)

وكان -رحمه الله- يحث الناس في كثير من المناسبات، وخاصة في مواسم الحج على النصح والتحلي بالأخلاق الفاضلة والابتعاد عن البدع، فقال: "والنصح لله هو عبادته وحده لا شريك له، أما النصيحة لكتاب الله فهو التصديق بما فيه، والعمل بحكمه، وأما النصيحة لرسول الله r فهي الإيمان بجميع ما جاء به وطاعته في أمره ونهيه، والتخلق بأخلاقه ومجانبة ما ابتدع في سنته". (2)

وجاء في خطاب له -رحمه الله- ألقاه في يوم عيد الأضحى المبارك عام 1353 هـ الموافق 19مارس 1935 أمام حشد كبير من كبار الحجاج حضروا إليه في قصره بمنى للسلام عليه وتهنئته بالعيد قوله: ".. فإن الذي يجمع شملنا ويوحد بيننا هو أمر صغير في حد ذاته، ولكنه كبير وعظيم وهو الالتفاف حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم" (3).

ولذلك فإن المملكة العربية السعودية دولة إسلامية، وارتباطها بالدين الإسلامي ارتباط أزلي لا تحيد عنه قولا وعملا، وسمة مميزة من سمات حكمها، وإدارة شئونها الداخلية، وفي سياستها الخارجية، تنفرد به أمام متغيرات المجتمع السياسي الدولي المعاصر.

وهذا الأمر والنهج القويم الذي رسمه الملك عبد العزيز -رحمه الله- جعل الدولة تقف

(1) المرجع السابق ، ص 88 .
(2) المرجع السابق : ص 87 .
(3) المرجع السابق : ص 93 .

بشدة أمام التيارات والحركات والأيدولوجيات الإلحادية المادية الهدامة، إيمانا منها بخطورتها على الأمة الإسلامية عقيدة وفكرا، وتعمل جاهدة على مجابهتها وفضح أهدافها ومخططاتها المعادية للإسلام والمسلمين، حرصا من الدولة على سلامة الفرد والمجتمع، وصد الأخطار الإلحادية الهدامة عنه حتى يبقى مجتمعا إسلاميا مثاليا في هذا العصر الذي تتلاطم فيه الأمواج المدمرة للمجتمعات الإسلامية، وتتنازع فيه التيارات المعادية للإسلام والمسلمين.. كفانا الله شر أعداء الإسلام ومخططاتهم الهدامة.

أما بالنسبة لتطوير وإصلاح مرافق الدولة فإن الملك عبد العزيز اهتم بهذا الأمر منذ استعادته مدينة الرياض.

مرحلتا حركة الإصلاح والتطور في الدولة

المرحلة الأولى تبدأ منذ استرداد الرياض عام 1319 هـ وحتى عام 1344 هـ

وقد مرت حركة الإصلاح والتطور في الدولة بمرحلتين هامتين:

المرحلة الأولى: تبدأ منذ استرداد الرياض عام 1319 هـ وحتى عام 1344 هـ، وقد ركز الملك عبد العزيز اهتمامه خلال هذه المرحلة على توحيد وبناء الدولة، وسعى إلى نشر الأمن والعدل في كافة أرجاء المناطق الخاضعة له، وإلى تنمية الموارد الاقتصادية في تلك المناطق، كما اهتم -يرحمه الله- بأمور البادية فأنشأ لهم الهجر في القرى وحول منابع المياه، ووفر لهم ما يلزمهم من ماء ومسكن وملبس، ورتب لهم العوائد، كما زودهم بالقضاة والدعاة والمرشدين، وعين لهم الأمراء، وأنشأ لهم المساجد وحفر لهم الآبار. فكانت هذه الخطوة هي السبيل الوحيد لاستقرار البادية ونقلهم من مجتمع قبلي غير مترابط إلى مجتمع مترابط في وحدة واحدة شعارها لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وأنشأ الإدارات والمرافق الضرورية في المدن والقرى للإشراف على تصريف شئون الدولة حسب توجيهاته وحسبما نصت عليه التعليمات الأساسية التي أصدرها الملك عبد العزيز، لتكون قاعدة لمسيرة العمل في الدولة الحديثة. كما قام بتنظيم موارد الدولة وحدد طرق الإنفاق منها بما يعود على البلاد والعباد بالخير والرخاء.

المرحلة الثانية من مراحل الإصلاح فتبدأ من عام 1344 هـ حتى وفاته يرحمه الله

أما المرحلة الثانية: من مراحل الإصلاح فتبدأ من عام 1344 هـ حتى وفاته -يرحمه الله- في عام 1373 هـ وخلال هذه المرحلة اتسعت حركة الإصلاح والتطور، فشملت كل مرفق من مرافق الدولة، وساعد على ذلك اكتشاف البترول واستخراجه بكميات تجارية، فأعيد تنظيم الدولة من جديد. وأنشئت إدارات جديدة مع الاستمرار في تطوير الإدارات السابقة. ولسهولة الانتقال السريع في داخل الدولة وربطها بجيرانها تم تطوير وسائل النقل الجوي والبحري والبري؛ فأنشئت المطارات في كل من جدة والرياض والظهران والمدينة والأحساء والطائف، وذلك لتسهيل انتقال المواطنين والمقيمين والحجاج

والزوار في راحة ويسر، وزودت هذه المطارات بكل ما تحتاجه من مبان ومدرجات وطائرات وطيارين وفنيين وعاملين. كما أنشئت أيضا الموانئ في كل من جدة والدمام ورأس تنورة وجيزان وينبع، وزودت بجميع الاحتياجات من أرصفة ورافعات. وعبدت الطرق بين المدن الرئيسية وفي المشاعر المقدسة، كما تم ربط الرياض بالدمام بسكة حديدية لتسهيل نقل المنتجات البترولية والتموينية إلى الرياض، وتم أيضا فتح الشعب البريدية لتوفير خدمات البرق والبريد والهاتف للمواطنين، وأمر الملك بتأسيس إذاعة خاصة مما جعل للمملكة صوتا مسموعا يشق عنان السماء ويحمل دعوة الخير.

واهتم الملك عبد العزيز بالجيش فأسس جيشا نظاميا زوده بمختلف أنواع الأسلحة والمعدات والطائرات الحديثة للدفاع عن الوطن، وسلامة وأمن المواطن.

كما اهتم أيضا بالزراعة والري، بحفر الآبار، وجلبت المعدات الزراعية بدون مقابل تشجيعا ودعما لهم، فتوفرت المياه العذبة ونشطت الزراعة وتوفرت المحاصيل الزراعية في الأسواق.

وأمر -يرحمه الله- بالاهتمام بالحرمين الشريفين وتنظيم التدريس فيهما، فعين لذلك هيئة علمية للإشراف على التدريس في الحرمين الشريفين. وسهل سبل الحج ووفر جميع الخدمات في المشاعر المقدسة، كما أمر بتشييد دار خاصة لصنع كسوة الكعبة المشرفة، واهتم بأمور الطوافة والمطوفين.. فأسس لهم إدارة خاصة للإشراف على شئون الحج والحجاج، والعمل على راحتهم وأمنهم وسلامتهم.

وعندما لاحظ زيادة الحجاج وازدحام الحرمين الشريفين أمر بالاهتمام بهما وإصلاحهما وإعمارهما. كما اهتم ببناء المساجد في المدن والقرى والهجر وجعلها أماكن للعمل والدعوة بجانب كونها أماكن للعبادة، وأمر بتعيين العلماء والدعاة في تلك المساجد، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في الفسقة والجناة، فسعد المواطن بالأمن والاستقرار.

كما أن العناية بصحة المواطن والزائر والحاج وسلامتهم من الأمراض المعدية، وجدت عند الملك عبد العزيز الاهتمام الكبير، ففتحت في عهده المستشفيات والمستوصفات في

مختلف مدن وقرى الدولة، وأحضر لها الأطباء في التخصصات العديدة، وتم تأمين الدواء في تلك المستشفيات وجعل العلاج والدواء مجانا للمواطن والمقيم والحاج والزائر والمعتمر.

وأمر بتطوير موارد الدولة الاقتصادية حيث تم استخراج البترول، فتوفر له المال. فما كان منه إلا أن وجه هذا الخير الذي أنعمه الله عليه لتطوير مرافق الدولة. وتوفير الخدمات العامة للمواطن في المدن والقرى وكافة أرجاء الدولة، كما أمر بسك عملة خاصة تحمل اسم الدولة تتمثل في الجنيه الذهب والريال الفضة والقروش المعدنية، فأصبح للمملكة بذلك شخصيتها المالية المعتبرة بين دول المنطقة.

واهتم -يرحمه الله- بالصحافة والطباعة ونشر الكتب الدينية، فأسس صحيفة رسمية للدولة هي (صحيفة أم القرى)، كما سمح بتأسيس الصحف المحلية، وأنشأ مطبعة حكومية، وشجع المطابع الأهلية على المساهمة في نشر الكتب الدينية المفيدة والمقررات الدراسية، وعندما أصبحت الحاجة لطبع الكتب كبيرة وتفوق كل الإمكانيات المتوفرة في المطابع الأهلية، فإنه استعان بالمطابع في الدول العربية المجاورة، وبذل في سبيل ذلك أموالا طائلة من أجل نشر الكتاب الإسلامي وتوفيره لطلاب العلم من المواطنين وغيرهم من أبناء الأمة العربية والإسلامية مجانا.

ولقد وجد التعليم منه -يرحمه الله- اهتماما كبيرا، فأسس المدارس بمختلف مراحلها التعليمية، كما اهتم بالتعليم الجامعي، فأسس أول كلية للتعليم الجامعي؛ هي كلية الشريعة بمكة المكرمة والتي تم افتتاحها في أوائل عام 1369 هـ، وكلية المعلمين بمكة والتي تم افتتاحها في مطلع عام 1372 هـ وكلية الشريعة بالرياض التي تأسست في نفس العام، وتم تعيين المدرسين لهذه المدارس والكليات في مختلف التخصصات وتوفير الكتب الدراسية للطلاب، وجعل التعليم مجانا للجميع، فكان عهده الميمون حربا على الجهل والفقر والمرض.

وفي يوم الاثنين الثاني من شهر ربيع الأول عام 1373 هـ الموافق التاسع من نوفمبر عام 1953م انتقل الملك عبد العزيز إلى جوار ربه في مدينة الطائف، ثم نقل جثمانه

الطاهر إلى مدينة الرياض، حيث دفن هناك بعد عمر أفناه في الكفاح لبناء هذه الدولة العظيمة التي نعيش في ظلها في أمن واستقرار ورخاء ووحدة وسلام، رحم الله الملك عبد العزيز رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته. وقد سار من بعده أبناؤه الغر الميامين على نفس النهج القويم يعملون ليل نهار في سبيل وحدة هذه الدولة وأمنها وسلامتها واستقرارها وإسعاد مواطنيها، وفي سبيل الدفاع عن الإسلام والأمة الإسلامية والعربية حتى أصبحت هذه الدولة ذات مكانة عالية بين دول العالم.

إننا عندما نتصفح تاريخ الملك عبد العزيز نجده مليئا بالبطولات والإنجازات والمسئوليات الجسام، وليس من السهل أن نلم بكل الجوانب في سيرته -رحمه الله- وذلك لكثرتها وتعدد جوانبها، ولأن كل جانب منها يصلح أن يكون موضوعا قائما بذاته تتم دراسته دراسة وافية.

فمن فضل الله عليه أن أيده بنصره في كل خطوة يخطوها، وفي كل عمل يعمله، حتى أصبحت سيرته مضرب الأمثال، وسار ذكره الحسن مسير الشمس في كل الأصقاع والديار حتى عرفه القاصي والداني بكل تقدير واحترام، ومما زاد من تقدير رعيته وتقدير العالم الإسلامي له عدله وعمله بأحكام الشريعة الإسلامية السمحة في كل أحكامه، وقد زاده الله شرفا بأن جعل الحرمين الشريفين في يده يقوم برعايتهما، ويعمل كل ما فيه راحة وأمن ضيوف الرحمن وسلامتهم.

وإذا كانت الدول الغربية والشرقية قد منحته أعلى الأوسمة، فإن شعبه ومعه شعوب العالم الإسلامي قد منحوه حبهم وتقديرهم العظيمين تقديرا لجهوده النبيلة.

قائمة المصادر والمراجع

1- الأحيدب: عبد العزيز محمد

من حياة الملك عبد العزيز، الطبعة الأولى، ب. ت.

2- آل سعود: طلال بن عبد العزيز

صور من حياة عبد العزيز، الطبعة الأولى، ب. ت.

3- ابن دهيش: عبد اللطيف بن عبد الله

التعليم الحكمي المنظم في عهد الملك عبد العزيز، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، الطالب الجامعي، 1407 هـ.

4- نبوا ميشان:

عبد العزيز آل سعود. ترجمة: عبد الفتاح ياسين، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، ب. ت.

5- التركي: عبد الله بن عبد المحسن

شخصية الملك عبد العزيز، (صحيفة المدينة، العدد 13025)، الخميس 18 شعبان 1419هـ الموافق 1711 1998 م، ص 8.

6- الرشيد: عبد العزيز

تاريخ الكويت، الطبعة الأولى، بغداد، 1344 هـ.

7- الزركلي: خير الدين

شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز -أربعة أجزاء، الطبعة الثانية، بيروت، دار العلم للملايين، 1397، 1977م.

8- السباعي: أحمد

تاريخ مكة، الطبعة السابعة بمكة المكرمة، مطابع الصفا، 1414 هـ.

9- شاكر: فؤاد

الملك عبد العزيز- سيرة لا تاريخ، الطبعة الأولى، ب، ت.

10- العثيمين: عبد الله بن صالح

تاريخ المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، الرياض. مطابع العبيكان، 1416هـ 1995 م.

11- العمروي: عمر

المعالم الجغرافية والتاريخية لمواقع الملك عبد العزيز الحربية، جزءان الطبعة الأولى، الرياض. مطابع الفرزدق التجارية، 1406هـ م.

12- القابسي: محيي الدين

المصحف والسيف، الطبعة الرابعة (مزيدة)، الرياض، دار الصحراء السعودية، 1418هـ 1998م.

13- المانع: محمد

توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة: د. عبد الله الصالح العثيمين، الطبعة الأولى، الدمام، 1402 هـ.

14- الماضي: فهد بن تركي - (راجعها)

من مذكرات تركي بن محمد بن تركي الماضي، 1342-1371 هـ، الطبعة الأولى، الرياض. دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، 1417 هـ م.

عناية الملك عبد العزيز
بالدعوة والدعاة وآثارها

إعداد

د /عبد الرحمن بن إبراهيم الجريوي

أستاذ الثقافة الإسلامية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد:

فقد خلق الله سبحانه وتعالى الخلق لعبادته، وبعث لهم الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين يدعون إلى توحيد الله U وإفراده بالعبودية وحده دون من سواه، ويبصرونهم بأمور عقيدتهم وشرائع دينهم.

وتلك مهمة عظيمة ووظيفة سامية قام بها أنبياء الله ورسله خير قيام، فبلغوا رسالة ربهم ونصحوا أممهم وأدوا أماناتهم { [illegible] } (1) (2).

وكان خاتمهم وسيدهم النبي الكريم محمد r الذي دعا إلى ربه خير دعوة وقام بأمانته خير قيام فأدى رسالة ربه، وجاهد في الله حق جهاده، ونصح أمته، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فأنار الله به الأرض وهدى به قلوبا عميا وآذانا صمًّا، وأخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

حتى إذا ما أتاه اليقين، وانتقل إلى مولاه، قام صحبه الكرام البررة بحمل لواء الدعوة إلى الله خير قيام، بنفوس مخلصة واقتداء حسن وجهاد صادق، حتى نشروا الإسلام في أصقاع المعمورة في أزمنة قصيرة.

ثم تتابع المسلمون في دولهم المتعاقبة يسيرون على نهج أسلافهم، جهادا في سبيل الله، لتبليغ دين الله، ونشر عقيدة الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

فحينا ينشط جهادهم في سبيل الله وتزداد جهودهم الدعوية، وحينا آخر تضعف وتتأخر، وفقا لقوة الدولة والسلطان وضعفهما.

ولكن من رحمة الله بعباده وسنته في خلقه متى ما ضعف المسلمون وابتعدوا عن منهج

---

(1) سورة النساء آية : 165 .

(2) سورة النساء، الآية 169 . آ- سنن أبي داود ، كتاب الملاحم . 4/ 480 ، وأخرجه الحاكم في المستدرك 4/ 522 .

دينهم، بعث لهم من يجدد لهم دينهم ويبصرهم به، كما قال النبي r { إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها [1] } فلم يزل المصلحون يتعاقبون على هذه الأمة المحمدية كلما بعد العهد بواحد خلفه آخر.

وكان من هؤلاء المصلحين المجددين الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - الذي نشأ في عصر ضعفت فيه معالم العقيدة الإسلامية وبرزت فيه البدع والخرافات، فعمل في الدعوة إلى الله، جاهد في تصحيح العقيدة، صابرا محتسبا، يؤازره ويسانده الإمام محمد بن سعود - رحمه الله - مؤسس الدولة السعودية الأولى، تلك الدولة الإصلاحية العظيمة التي أعادت للإسلام في الجزيرة العربية قوته وصفاءه ونفوذه، حتى امتدت آثارها المباركة إلى أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي، وتأثر بها عدد من العلماء والمصلحين فيه، وشمر حكامها عن ساعد الجد، ونصروا الدعوة وآزروها خلفا عن سلف، يطبقون شرع الله سبحانه وتعالى، وينشرون دينه في الأرض، فيعملون بالإسلام وللإسلام.

كانت هذه سمة الدولة السعودية في مختلف فتراتها: انبثاق من الإسلام والتزام به ودعوة إليه. كما يظهر ذلك جليا حينما جدد شباب هذه الدولة وأعاد بنيانها، ووحد شملها الإمام المجاهد، والقائد الفذ، الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود - رحمه الله - الذي سلك مسلك آبائه وأجداده العظام، فجمع الأمة على كلمة التوحيد، وغرس مبادئ العقيدة الإسلامية السمحة، واستطاع من خلالها إحكام الأمور، ونبذ الخلافات والنزاعات، حتى أصبح مدرسة مستقلة في عنايته بالدعوة، والاهتمام بها، وبذل الجهود والإمكانات في نشرها، وهي - ولا شك - عناية بالغة وجهود عظيمة يصعب إحاطتها والإلمام بها، ولكن حسب البحث الإشارة إلى بعض معالمها، وفقا للمباحث الآتية:

المبحث الأول: أسباب عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة.

المبحث الثاني: مظاهر عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة.

---

(1) ابن غنام : تاريخ نجد ، ص 81 .

المبحث الثالث: عناية الملك عبد العزيز بوسائل الدعوة.

المبحث الرابع: آثار عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة.

المبحث الأول

أسباب عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة أولا التاريخية

وتتمثل في الأسباب الآتية:

أولا: التاريخية:

تعد عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة امتدادا صادقا للنهج القويم الذي سلكها سلف هذه الدولة بدءا من الإمام محمد بن سعود - رحمه الله - مؤسس الدولة السعودية الأولى الذي آزر الدعوة الإصلاحية في نجد وساندها بصدق وإخلاص.

فمنذ أن قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بإحياء الدعوة السلفية وتجديد أمر الدين وإعلاء كلمة الله U ثار عليه الحاسدون من العلماء والقادة المنحرفين طمعا في القضاء عليه وعلى دعوته الإصلاحية مما اضطره إلى اللجوء إلى الدرعية في عهد أميرها الإمام محمد بن سعود - رحمه الله - الذي رحب بالشيخ واقتنع بدعوته، ووعد بنصرته، وبسط يده للمبايعة على دين الله ورسوله والجهاد في سبيله وإقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث قال له: " يا شيخ إن هذا دين الله ورسوله ولا شك فيه، فأبشر بالنصر لك ولما أمرت به والجهاد لمن خالف التوحيد ". لتبدأ الدعوة بعد ذلك طورا جديدا في مسيرتها، ولتتحول الدرعية شيئا فشيئا إلى أكبر مركز ديني وسياسي في نجد من خلط الجهود الدعوية والأنشطة الإصلاحية، والتي من أبرزها:

1 - مواصلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشاطه العلمي والتربوي والدعوي من خلال الدروس اليومية.

2 - بناء مسجد كبير في الدرعية ودعوة الرجال للمواظبة على أداء الصلاة جماعة فيه وإلزامهم بذلك مما كان حافزا للجميع على سماع قراءة القرآن والخطب والمواعظ والفتاوى والانضمام إلى المجالس العلمية.

3 - العمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ومحاربة البدع والمنكرات والظلم والفواحش.

4 - تحقيق الأمن والاستقرار وذلك بتأمين الطرق للتجارة والمسافرين وحفظ الحقوق الشرعية للأفراد والبيوت والممتلكات، وإنزال العقاب بالعابثين.

5 - تعيين القضاة من ذوي الحكمة والورع الديني وإرسالهم إلى البلدان للفصل في الخصومات ورد المظالم وصيانة الحقوق وقمع أهل الفساد حتى شاع العدل بين الناس، ونالوا القبول منهم.

6 - تكليف المحتسبين في البلدان والقرى المختلفة بتحسس أحوال الناس التعبدية وتفقد معاملاتهم الدنيوية قياما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحافظة على السمت العام للمجتمع ودفعا له نحو الفضائل والمكارم.

7 - مكاتبة رؤساء البلدان وأهاليها وإرسال الرسائل الدعوية والعلمية إليهم لأجل شرح الدعوة وبيان الحاجة لإقامة أحكام الشرع والحث على الانضمام للدولة الجديدة ومبايعتها ونصرتها.

8 - إعلان الجهاد وخوض المعارك ضد أعداء الدعوة الذين رفضوها وتألبوا عليها وتجاسروا بالهجوم على عاصمتها الدرعية، وقطع إمداداتها ومطارد ة أنصارها [1].

وهكذا كانت مناصرة الإمام محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله - خير عون في تحقيق أهداف الدعوة الإصلاحية.

كما كان نسل الإمام من خير حماة لهذه الدعوة السلفية ولإنجازاتها الخيرة المباركة، حيث تمكن الإمام تركي بن عبد الله بن سعود - مؤسس الدولة السعودية الثانية - من إعادة روح الجهاد لهذه الحركة الإصلاحية إثر انهزام الدرعية أمام القوات المصرية التركية، فاحتضن الدعوة وساندها، وناصرها وآزرها، وبذل الجهود الكبرى في نشرها والدفاع

(1) العثيمين : د عبد الله بن صالح ، تاريخ المملكة العربية السعودية ص 87- 90 ، ص 174-175 . - العجلاني : منير ، تاريخ البلاد العربية السعودية 1/ 100 . عبد الرحيم : عبد الرحيم عبد الرحمن ، الدولة السعودية الأولى ، ص 238 - 239 . - العبود : عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، ص 7 ، 5 .

عنها حتى أصبحت الجهود الدعوية مماثلة لما كانت عليه في عهد الدولة السعودية الأولى إلي حد كبير، كما يتضح من رسالة كل من الإمام تركي بن عبد الله وابنه فيصل - رحمهما الله - إلى أهالي نجد والأمراء وعموم المسلمين، فقد حوت الرسالتان ما يجب الدعوة إليه والقيام به في سبيل الله سواء من جانب الحاكم أو من الرعايا أداء لحق الله - تعالى - ونشرا لدينه الحكيم ومحافظة على الحقوق والذمم [1].

يقول ابن بشر مؤكدا على الجهود الدعوية للإمام تركي - رحمه الله -: " كان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، يرسل النصائح لأهل البلدان العام والخاص، يحضهم على القيام بشرائع الإسلام " [2].

وهكذا علم الملك عبد العزيز أن أجداده السابقين قد نصروا الدعوة الإصلاحية فكان في نصرها التوفيق والتمكين والشرف والعز والمجد [3] فسار على نهجهم واقتفى أثرهم فتحقق له بفضل الله ما تحقق لهم وزيادة.

ثانيا : الشخصية :

لقد نشأ الملك عبد العزيز نشأة إسلامية كريمة إذ كان ينتمي إلى أسرة حكم عربية الأصل والتقاليد، قائمة على أساس ديني هدفه مناصرة العقيدة الإسلامية وتطبيق أحكام الشريعة والدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - انطلاقا من دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -.

ومن هنا فلا غرو أن يهتم الإمام عبد الرحمن الفيصل بتربية ابنه عبد العزيز تربية إسلامية متكاملة البناء عقيدة وعبادة وأخلاقا، ابتدأها بتدريسه القرآن الكريم والعلوم الشرعية وجسدها عمليا في حياته، إذ " عهد به أبوه - الإمام عبد الرحمن - إلى القاضي

---

(1) ابن بشر : عثمان ، عنوان المجد في تاريخ نجد2/ 72 - 75 .

(2) المرجع السابق 17/ 2 .

(3) التركي : د . عبد الله ، الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية والمنهج القويم في الفكر والعمل ، ص 37 .

عبد الله الخرجي من علماء الخرج فتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ سورا من القرآن، وقرأه كاملا على الشيخ محمد بن مصيبيح، ثم تلقى بعض أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في كراسة صغيرة أعدها خصيصة له " [1].

ثم اتسعت حصيلته العلمية - رغم الظروف المحيطة به [2] - متنقلا بين مختلف العلوم فلم يقتصر على تخصص دون آخر بل تنوعت مشاربه وتعددت مناهله ما بين كتب التفسير والحديث والفقه والسيرة وغيرها، فضلا عن اهتمامه بكتاب الله U إذ كان يحفظ أجزاء من القرآن الكريم ويحفظ الرحبية في الفرائض، وتعلم زاد المستقنع في الفقه ويحفظ من كتب الأحاديث الأربعين النووية، وبلوغ المرام، وكان يحب قراءة البداية والنهاية لابن كثير وتاريخ الرسل والملوك للطبري والسيرة لابن هشام والمغني والشرح الكبير، والإنصاف، كما كان يميل إلى تفسير ابن كثير والطبري، ويحب من الشعر ما يتسم بالطابع الإسلامي ويشتمل على النصائح.

وقد وضع لحياته برنامجا دقيقا كان للجانب الديني فيه نصيب وافر - رغم كثرة مشاغله ومسئولياته - إذ " كان - رحمه الله - ينهض من فراشه قبل الفجر بساعة أو أكثر فيتوضأ ويشرع بتلاوة ما يتيسر من آي الذكر الحكيم إلى أن يحل وقت صلاة الصبح فيصليها في المسجد ثم يعود إلى مترله فيقرأ القرآن والأحاديث النبوية ويطالع بعض الكتب الدينية، وإذا كان لديه ما يهم من أعمال الدولة يقوم بأعبائه..، وبعد تناول طعام الإفطار مع أولاده الموجودين في القصر يصلي صلاة الإشراق ركعتين، ويغادر القصر في الساعة الثامنة والنصف إلى الديوان الملكي لمتابعة شؤون الدولة.

ثم كان - رحمه الله - بعد أن يؤدي صلاة العشاء ينتقل إلى ديوانه الخاص بالقصر فيجلس فيه جلسة خاصة يشهدها بعض الأمراء والمستشارين، ويصغي أولا إلى ما يقرؤه أحد العلماء من كتب الحديث والتفسير مدة معينة..

(1) الزركلي : خير الدين ، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ص 17 .

(2) الدريب : د . سعود ، الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة ، ص 9 .

ومن عادته أنه كان قد خصص ساعة من صباح يوم الخميس من كل أسبوع للاجتماع ببعض العلماء الذين يجلهم فيباحثهم في بعض المسائل الدينية " [1].

لقد كان - رحمه الله - على مستوى عال من التدين والتمسك بكتاب الله وسنة نبيه r ملتزما بآداب الشريعة الإسلامية وتوجيهاتها، كما يتضح من خلال خطبة ألقاها بمكة المكرمة في عشر ذي القعدة سنة 1345هـ علي جماهير غفيرة من الناس فقال: " كانت العرب قبل ظهور الإسلام ذليلة خاضعة لسلطان الفرس، ولما بعث النبي r أخضع العرب الفرس لسلطانهم، وقد تم ذلك لتمسكهم بكلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله.

للإنسان مال وولد، وأقارب وأعمال، كل ذلك يذهب ما خلا الأعمال، والأعمال تحتاج إلى النية والإخلاص، واتباع كتاب الله وسنة رسوله r فمن أحسن نيته مع الله فقد كفاه الشر والمسلم لا يرقى إلا بالدين، والله لا يُعْبَد بالبهرجة، وإنما يُعْبَد بالحقائق، فإذا أنا حملتكم على ما يرضي الله فأبشروا بالخير والعكس بالعكس " [2].

ويشير الأستاذ محمد حامد الفقي إلى أنه سمع الملك عبد العزيز يقول وقد دخل عليه الشريف خالد بن لؤي عقب إطفاء فتنة الدويش: " أنا عندي أمران لا أتهاون في شيء منهما، ولا أتوانى في القضاء على من يحاول النيل منهما ولو بشعرة:

الأول: كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، اللهم صل وسلم وبارك عليه، إني والله وبالله وتالله أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة لا أضن به.

الثاني: هذا الملك الذي جمع الله به شمل العرب بعد الفرقة وأعزهم بعد الذلة وكثرهم بعد القلة فإني كذلك لا أدخر قطرة من دمي في سبيل الذود عن حوضه " [3].

وحينما تحدث الملك فيصل في وصف والده - رحمهما الله - وسمه أول ما وسمه بقوة

(1) الغلامي : عبد المنعم ، الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود ، ص 322- 224 .
(2) المرجع السابق ، ص 356 .
(3) الفقي : محمد ، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني ، ص 110 .

الإيمان فقال: " أول المزايا التي يتصف بها والدي قوة الإيمان، فما رأيته منذ نشأت قد ضعف إيمانه بالله أو تخلى عن ثقته بنصر الله " [1].

ومن هنا فلا غرو أن يهتم الملك عبد العزيز - رحمه الله - بالدعوة والدعاة انطلاقا من شعوره الإيماني ورسالته الإسلامية وأهدافه السامية لرفع راية التوحيد خفاقة عالية، يقول - رحمه الله - في خطبة ألقاها في اليوم الخامس من ذي الحجة لعام 1351 هـ على وفود بيت الله الحرام يقول: " أنا مبشر أدعو لدين الإسلام ونشره بين الأقوام، أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله r وما جاء عن الخلفاء الراشدين.

أنا مسلم وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشي، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل ذلك " [2].

ثالثا: الاجتماعية :

لقد كانت أوضاع الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - سيئة للغاية، حيث كانت البلاد مجزأة إقليميًّا وقبليًّا، تعاني من غلبة الجهل والانحراف وتتفشى فيها البدع والضلالات وتتحكم فيها العصبيات القبلية. ولعل فيما ذكره الشيخ سعد بن عتيق - رحمه الله - مع مجموعة من العلماء في رسالتهم الموجهة إلى زعماء الإخوان لتذكيرهم بنعم الله يعد وصفا دقيقا لوضع الجزيرة قبيل عهد الملك، حيث جاء في هذه الرسالة: " اعرفوا نعمة ربكم واشكروه عليها فإنكم كنتم أولا في جاهلية عريضة، وحالة عن الحق بعيدة، رؤساؤكم أكثرهم طواغيت كبار، وعوامكم جناة أشرار، لا تعرفون

(1) اليوسف : عبد المحسن ، سلطان نجد والحجاز وملك المملكة العربية السعودية وأنجاله في صحافة عصره ، ص 111 . - الأحيدب : عبد العزيز ، من حياة الملك عبد العزيز ، ص 37 . - القابسي : محيي الدين ، المصحف والسيف ، ص 27 .

(2) الغلامي : عبد المنعم ، الملك الراشد ، ص 356 .

حقائق دين الإسلام ولا تعلمون من الحق إلا بما تهوى نفوسكم، مع ما كان بينكم من سفك الدماء ونهب الأموال وقطيعة الأرحام وتعدي حدود الله وغير ذلك من المحرمات وعظيم المنكرات، ثم هداكم الله لمعرفة دينه والعمل بتوحيده وسلوك مسلك أهل الإسلام والتوحيد، وانتشرت بينكم كتب السنة والآثار ومصنفات علماء الإسلام " [1].

فكان الوضع الاجتماعي آنذاك تهيمن عليه العصبيات القبلية بطبعها الحاد من حب الزعامة والسيادة، فكان لكل قبيلة زعامة مستقلة، وغالبا ما تتنافس القبائل المتجاورة مع بعضها على أماكن الري وموارد المياه، وما يحصل بين هذه القبائل من ثأر واعتداءات تجعل لهيب الحرب في اشتعال دائم.

يقول محمد المانع: " لقد كان من أعظم مشكلات ابن سعود في بناء دولة مستقرة، تلك المشكلة التي واجهت كل زعيم في الصحراء وهي نزعة رجال القبائل الحادة إلى الاستقلال، وحبهم للحرب وسرعة تغيير ولاءاتهم " [2].

ومن هنا أدرك الملك عبد العزيز أهمية الدعوة والدعاة في تصحيح تلك الأوضاع الاجتماعية السيئة، والمؤاخاة بين القبائل وإزالة دعاوى الجاهلية، فتمكن - رحمه الله - بما له من سطوة دينية، بمساعدة العلماء من استئصال ما في هذه الجزيرة من عصبيات وبخاصة " أن الناس في الجزيرة بعامة وفي نجد بخاصة يحبون العلماء ويحترمونهم ظاهرا وباطنا، فهم لا يقدمون على العالم أحدا من الناس وعندهم أن كلمة العالم من أشرف الكلمات منزلة، وهذا الحب وهذا الاحترام يجعلان الناس ينقادون لتعاليم هؤلاء العلماء ويقتدون بهم " [3].

(1) ابن قاسم : الدرر السنية 7/ 321 .

(2) المانع : محمد ، توحيد المملكة ، ص 71 .

(3) الشثري : د . محمد بن ناصر ، الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 1/ 38 .

المبحث الثاني

مظاهر عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة

فيه فرعان:

الفرع الأول: المظاهر الداخلية ، ومنها:

أولا: البناء:

فمن مظاهر عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة إصراره - رحمه الله - على البناء وتنظيم شئون الدولة، فأسس دولة شورية إسلامية مستقلة، ذات دستور قرآني، تستمد أحكامها وأنظمتها وتشريعاتها من المصدرين الرئيسين: الكتاب والسنة، ومما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة.

كما حرص - رحمه الله - على إعادة تنظيم الولايات الإسلامية التي كانت موجودة في عصور الازدهار الإسلامية، ومنها ولاية الحسبة وولاية المظالم فكان - رحمه الله - أول ولاة الأمر السعوديين، الذي نظم الحسبة بشكل رسمي، فأنشأ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز سنة 1346 هـ وفي نفس العام وضع حجر الأساس لديوان المظالم في شكله الأول والذي كان يعرف بصندوق الشكاوي "[1].

كما اهتم - رحمه الله - بفتح المدارس ودور العلم، واستقدام المعلمين وإرسال البعثات إلى الخارج وطبع الكتب وتوزيعها مجانا، وتوطين البادية، وتأمين طرق الحج والعناية بخدمة الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة وما يوفر الراحة والطمأنينة لحجاج بيت الله الحرام وزوار المسجد النبوي الشريف.

ثانيا : شمولها البادية والحاضرة :

فمن مظاهر عناية الملك عبد العزيز بالدعوة واهتمامه بها، حرصه البالغ على نشرها وتبليغها، فلم تقتصر جهوده - رحمه الله - على قاطني المدن دون غيرها من الأرياف أو

(1) المرجع السابق 1/ 198 .

مواطن البادية.

ثالثا : تكامل المؤسسات في إنجازها :

بل كانت عنايته - رحمه الله - كما هي موجهة للحاضرة من خلال الاهتمام بنشر العلم ودعوة الناس إلى التوحيد الخالص، ونبذ البدع والخرافات، وتبصير الناس بأمور دينهم، عبر توجيه العلماء والقضاة ورجال الحسبة وغيرهم، كان اهتمامه - أيضا - موجها إلى البادية إدراكا منه - رحمه الله - لخطر البداوة على مبادئ الدعوة السلفية، وأن الجبلة التي فطرت عليها القبائل أورثتها عادات وتقاليد تتنافى مع تعاليم الدعوة [1] فاهتم - رحمه الله - بإنشاء الهجر وبناء المساجد فيها وأرسل لهم العلماء والوعاظ والمرشدين للقيام بمهمة الإرشاد والتثقيف وغرس العقيدة الصافية في نفوسهم وتعليمهم أصول دينهم الإسلامي وأحكامه وتعليمهم القراءة والكتابة.

كما تولى هؤلاء العلماء القضاء والفصل في منازعات أهل البادية وتصحيح ما لديهم من عادات وتقاليد مخالفة للشرع.

فقد ظهرت عناية الملك عبد العزيز من خلال تضافر الجهود لمختلف المؤسسات الدينية في مجالاتها المختلفة، كالقضاء والإفتاء والحسبة والتعليم الديني وغيرها، للقيام بمهمة الدعوة إلى الله وتبصير الناس بأمور دينهم.

فالقضاء - مثلا - ساهم في تحقيق هذه المهمة من خلال بث العلوم الشرعية وتعليم الناس وتثقيفهم إضافة إلى القيام بمهامه الأساسية من فض المنازعات والفصل في الخصومات لما كان يقوم به القضاة من مهمة الإمامة والخطابة في المساجد ولما كانوا يتمتعون به من سعة في العلم وحكمة في الدعوة والتوجيه.

كما أن للحسبة في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - دورا كبيرا في نشر الدعوة الإسلامية وحراسة القيم، ومراقبة أحكام الشرع، وإقامة الشعائر، وتوجيه الناس وحثهم

(1) الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 1/ 259 .

على الطاعة بالقول والعمل، وباللين والشدة وفقا لمقتضيات الحال.

هذا، فضلا عن اهتمام الملك عبد العزيز - رحمه الله - بدور مؤسسات التعليم الديني في الدعوة إلى الله، فقد أرسل - رحمه الله - عددا من العلماء والوعاظ والمرشدين إلى مختلف المناطق والهجر ليكونوا معلمين مفقهين، كما اهتم - أيضا - بإنشاء مؤسسات التعليم الديني بمراحلها المختلفة ومناهجها الخادمة للدعوة الإسلامية، والتي خرجت فيما بعد أعدادا كبيرة من القضاة والدعاة والمعلمين والباحثين وغيرهم.

رابعا : إجلال علمائهـــا ودعاتها :

فقد كان للعلماء والدعاة المقام الأول عند الملك عبد العزيز، حيث كان يكبرهم ويجلهم ويبالغ في إكرامهم ويقدمهم علي إخوانه وأبنائه وكبار جلسائه، ويصغي إلى آرائهم بكل قبول، وقل أن يجادلهم في أمر يرون فيه ما لا يرى قبل أن يفسح المجال لهم للمناقشة فيه فيما بينهم، فإن انفرد بعضهم أو أحدهم فيما يوافق رأيه، لم يستعجل في الأخذ بما قال، وتريث إلى أن يقتنع الآخر.

وكان لكبارهم هيبة في نفسه - غير مصطنعة - ولا سيما آل الشيخ حفدة من قامت على دعوته دعائم المملكة في سابق عهدها، فقد سمع مرة يقول: " ما لقيت الشيخ - يعني عبد الله بن عبد اللطيف - إلا تصبب العرق من إبطي " [1].

ومن الشواهد التاريخية للاحترام المتبادل بين الملك عبد العزيز والعلماء تخصيصه أوقاتا معينة في برامجه اليومية، وبرامجه الأسبوعية لمجالسة العلماء والاستئناس بهم. وتبادل الرأي معهم [2] بل وزيارة كبارهم في منازلهم والسؤال عنهم حال فقدانهم، وتفقد أحوالهم، وقضاء حوائجهم، والإفادة من علمهم [3].

ومن شدة تعلق الملك عبد العزيز بالعلماء ومحبته لهم أنه كان يوصي أبناءه بعلماء

(1) المرجع السابق 2/ 741 .

(2) الغلامي : عبد المنعم ، الملك الراشد ، ص 322-324 .

(3) الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز 2/ 740 .

المسلمين خيرا، فقد جاء في برقية أبرق بها لولي عهده آنذاك الملك سعود - رحمه الله - بالنص الحرفي: " أوصيك بعلماء المسلمين خيرا، احرص على توقيرهم، ومجالستهم، وأخذ نصيحتهم " [1].

و لم يتردد الملك عبد العزيز في استشارة العلماء واسترشاد ما عندهم في جل ما يعرض له، وتجلى ذلك بشكل واضح في مجلس الشورى، الذي وضع قواعده، وكان يضم نخبة من فضلاء أهل العلم والرأي السديد أورد بعض أسمائهم الأستاذ عبد الرحمن الرويشد في بحثه القيم " الجهاد الفكري للملك عبد العزيز " [2]. وقد وجد هؤلاء العلماء التشجيع والمؤازرة من الملك عبد العزيز لأداء رسالتهم في الدعوة إلى الله، وتبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم.

يقول - رحمه الله - في رسالة بعث بها إلى الإخوان يؤكد فيها على أهمية احترام العلم والعلماء والتزام أقوالهم: "... فالآن إخواني أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته، وترك جميع أمر يخل عليكم في دينكم ودنياكم، واسألوا أهل العلم وأحسنوا الظن بالله ثم بهم واتركوا مخالفتهم... " [3].

الفرع الثاني: المظاهر الخارجية ، ومنها :

أولا: البلاغ ودعم العمل الإسلامي

انطلاقا من عالمية الرسالة المحمدية وإيمانا بوظيفة الدولة المسلمة في نشر الدعوة الإسلامية أدرك الملك عبد العزيز - رحمه الله - أهمية تبليغ هذه الرسالة وسعى في نشرها خارج حدود مملكته، أملًا في جمع الأمة تحت مظلة الأخوة الإسلامية وتنقية عقيدتهم وتصحيحها، وبخاصة أن معظم البلدان العربية والإسلامية كانت تعاني من سيطرة

(1) الزركلي : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ص 159 .

(2) من البحوث المقدمة للمؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز ، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية 1406 هـ ، ص 14 .

(3) دارة الملك عبد العزيز ، قسم الوثائق ، المخطوطة رقم 658 .

الاستعمار وويلاته.

وفيما يلي عرض موجز لأهم مظاهر الدعوة الخارجية والعمل الإسلامي:

1 - استغلال مواسم الحج في الدعوة إلى الله ونشر العقيدة الصافية بين وفود الحجيج القادمين من مختلف أصقاع المعمورة، وتصحيح ما لدى بعضهم من مفاهيم خاطئة عن العقيدة السلفية، فقد خطب - رحمه الله - في حجاج الهند فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

" إن أول ما يلزمنا من الإسلام هو كلمة الشهادتين ومعنى الشهادة (لا إله إلا الله) أنها تفيد إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى، لا يوجد إنسان غير مذنب لأن العصمة لله وحده، ولكن الذنوب على درجات، منها ما لا يمكن معه صفح أو غفران وهو الشرك بالله " [1].

2 - بعث العلماء إلى مختلف البلدان لنشر الدعوة السلفية والتعريف بالمنهج الإسلامي، وبخاصة بعدما نشطت الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة في الترويج لمبادئها وأفكارها.

ومن أمثلة الدعاة الذين كان لهم تأثير في خارج المملكة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع حيث سافر للخليج وكان رئيسا لناد دعوي في البحرين أنشأه المحسن مقبل بن عبد الرحمن الذكير لتحرير المقالات وإعداد الردود على المنصرين الذين انتشروا في أطراف الجزيرة العربية والخليج العربي ثم انتقل إلى قطر فتولى القضاء والتدريس والخطابة فيها نحوا من ثلاث وعشرين سنة وهو ينشر المنهج السلفي [2] ومن الذين أرسلوا للدعوة خارج البلاد " عبد العزيز بن رشيد البداح الذي كانت له جولات في البلاد الإسلامية، فقد سافر إلى العراق ومصر والشام والهند وتركيا، واجتمع بأكابر علماء هذه البلدان، وبحث

(1) جريدة أم القرى ، العدد 627 ، يوم الاثنين 11/ 12/ 1355 هـ ، نقلا عن الشثري : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 1/ 280 .

(2) البسام : علماء نجد خلال ستة قرون ، 3/ 830 .

معهم واستفاد منهم، وفي آخر رحلاته وفد على الملك عبد العزيز - رحمه الله - فلما رأى معتقده ونشاطه في الدعوة بعثه إلى أندونيسيا لنشر الدعوة الإسلامية هناك فرحل وقام بمهمته خير قيام " [1].

3 - دعوته - رحمه الله - إثر بيعته على الحجاز - إلى عقد أول مؤتمر إسلامي، استجابة لأمر الله - تعالى - بالاعتصام وعدم الفرقة ثم إدراكا لأهمية التواصل بين المسلمين في توثيق عرى المحبة بينهم. فلبى دعوته تسعة وخمسون عضوا يمثلون العديد من الجمعيات الإسلامية، منها: جمعية الخلافة الهندية وجمعية العلماء الهندية وجمعية أهل الحديث الهندية وجمعية الخلافة بوادي النيل وجمعية الإرشاد الجاوية وجمعية بيروت، ووفود من مصر وفلسطين وجاوا وسويسرا والسودان ومن مسلمي روسيا وتركستان واليمن والأفغان ومندوب عن تركيا.

وقد ترأس الملك عبد العزيز الجلسة الأولى للمؤتمر، التي عقدت صبيحة يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ذي القعدة لعام 1344 هـ. ثم أدلى بعد ذلك بتصريح لوفد العلماء الهنود قال فيه:

" أعترف أمام الله وأمام كل المسلمين بأني لا أريد إلا العودة إلى دين الإسلام الصحيح القويم، البعيد عن العقائد الوثنية التي ليست من الإسلام في شيء وأن عقائدي هي عقائد أجدادي الأطهار الأتقياء، عاداتنا هي عاداتهم، وشعائرنا هي شعائرهم، وإننا نعود في كل شيء لأحكام القرآن الكريم والسنة، ونحاول أن نعيش كما عاش الخلفاء الراشدون، وكل ما نطمع فيه أن يتحد العلماء المسلمون فيتحد العالم الإسلامي نريد أن يكون اتحادنا قويا متينا وأن يخضع العالم الإسلامي خضوعا تاما لأحكام القرآن والسنة " [2].

4 - حرص الملك عبد العزيز على تأكيد رابطة الأخوة الإسلامية وإبراز سموها، رغم

(1) المرجع السابق ، 2/ 45 .

(2) الغلامي : الملك الراشد ، ص 49 - 50 .

تباعد الأقطار واختلاف اللغات مع تصديه - رحمه الله - لمشكلات العالم الإسلامي وعمله على توحيد كلمة المسلمين، كما يتضح من قوله: " أنا مسلم وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشي، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي في سبيل ذلك " [1].

5 - اهتمام الملك عبد العزيز بخدمة الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، وتوفير وسائل الراحة للحجاج والمعتمرين والزائرين، وإزالة جميع العقبات التي تواجههم.

6 - حرص الملك عبد العزيز - رحمه الله - على مساعدة المسلمين وتقديم العون لهم. ولعل قيامه - رحمه الله - بإلغاء رسوم الحج عام 1371 هـ، والتي كانت تؤخذ من الحجاج يعد دلالة واضحة، وشاهدا حيًّا على صدق المساعدة وحسن القصد [2].

7 - اهتمام الملك عبد العزيز بنشر الثقافة الإسلامية بين أبناء العالم الإسلامي، من خلال طباعة الكتب والدينية وتوزيعها على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مجانا ابتغاء مرضاة الله، فإن ما طبعه من هذه الكتب حوالي مائة ألف نسخة، وقد طبع الكثير منها بلغات مختلفة كالإنجليزية والهندية والجاوية، كما طبع للقرآن الكريم كتب تفسير باللغة الإنجليزية وتم توزيعها في الهند وأندونيسيا والبلاد الأوربية بالمجان [3].

ثانيا: الدفاع عن العقيدة الإسلامية :

ما من شك أن ظهور الدعوة السلفية في الجزيرة العربية وتجدد نهضتها المباركة على يد المغفور له الملك عبد العزيز، قد أثار حفيظة بعض الجاهلين والحاقدين على هذه الدعوة مما حدا بهم إلى التواطؤ على تشويه صورتها الناصعة وعرقلة مسيرتها الخيرة، إما لدوافع سياسية أو طائفية أو دينية أو لمصالح شخصية كأمثال يوسف الدجوي الذي حشا مجلة نور

(1) المرجع السابق ، ص 271 .

(2) المرجع السابق ، ص 295 .

(3) الداود : د . عبد المحسن ، المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات المسلمة في العالم ص 219 ، الغلامي : الملك الراشد ، ص 389 .

الإسلام بمقالات متعددة يطعن فيها بعقيدة السلف الصالح التي دعا إليها أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكمثل يوسف النبهاني الذي ألف كتابا عارض به الدعوة [1].

بل إن بعض البلاد الإسلامية تزعمت هذه الحرب العدائية ضد الملك عبد العزيز ودعوته السلفية، وسعت إلى تشويه صورتها بين الدارسين في هذه البلدان بزعم أن الدعوة التي تنتهجها الحكومة السعودية ملة جديدة ابتدعها الوهابيون، ونشروا ذلك في الصحف وكتب الثقافة الإسلامية، بل وضمنوا مناهج التدريس في هذه البلدان الطعن في الوهابيين والقدح في دين إمامهم الأول، ووصفه بما تبرأ منه الحقيقة، بل ونشروا أوصاف الخوارج وحملوها على السعوديين [2]. ولا شك أن هذا قد آلم الملك عبد العزيز - رحمه الله - أشد الإيلام لما تضمنته تلك الدعاوى من كذب وتزييف للحقائق، فحمل على كاهله - رحمه الله - مهمة الدفاع عن هذه الدعوة السلفية، والذب عنها.

يقول رحمه الله مؤكدا سلفية المنهج: " يقولون إننا وهابية، والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا نتبع كتاب الله وسنة رسوله r وليس بيننا وبين المسلم إلا كتاب الله وسنة رسوله r " [3].

ويقول - رحمه الله -: " لقد أوذينا في سبيل الدعوة إلى الله وقوتلنا قتالا شديدا ولكننا صبرنا وصمدنا " [4].

فمن رحمة الله - سبحانه - أن قيض لهذه الدعوة من يحميها ويدافع عنها فضلا عن تبصير الناس بها، فلم يقف العلماء مكتوفي الأيدي تجاه التعديات على هذه الدعوة السلفية، بل ألفوا الكتب والنشرات التي ترد دعاوي شبه علماء الضلال وتبين زيفها

(1) القصيمي : الثورة الوهابية ، ص 73 .

(2) الشثري : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 1/ 170 .

(3) جريدة أم القرى ، العدد 1132 ، الصادر في 12 / 12 / 1365 هـ ، نقلا عن الشثري : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 1/ 170 .

(4) جريدة أم القرى ، العدد 333 ، الصادر في 12 /12 /13499 هـ ، نقلا عن الشثري : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 1/ 170 .

ككتب الشيخ سليمان بن سحمان وغيره.

كما اهتم عبد العزيز - رحمه الله - بإرسال الدعاة إلى خارج البلاد - كما سبقت الإشارة لذلك - للتعريف بالمنهج السلفي ودحض الشبه المثارة حوله. ووجه اهتمامه - رحمه الله - إلى دعم العلماء السلفيين في البلاد الإسلامية الذين أخذت أقلامهم تصول وتجول في مناصرة الدعوة السلفية والذب عنها كأمثال الشيخ محمد رشيد رضا، ومحمد حامد الفقي، ومحمد خليل الهراس، وعبد الرحمن الوكيل وغيرهم.

فقد كان للشيخ محمد رشيد رضا جهود طبية في مناصرة الدعوة السلفية وأتباعها، فكتب مقالات عديدة في صحف مصر ومجلاتها كصحيفة الأهرام ومجلة المنار يشرح فيها حركة الشيخ ومبادئها وأهدافها، وحالة أتباعها في عصره وأنهم الأمل الوحيد في إعادة ما للمسلمين من عز ومجد لأن عقيدتهم تقوم على مبادئ الإسلام الصحيح كما أنزله الله على رسوله محمد r [1].

وقد ساعد الملك عبد العزيز محمد رشيد رضا وغيره في تمويل وطبع الكتب السلفية التي تقوم بطباعتها مطبعة المنار، كما دعم - رحمه الله - محمد حامد الفقي لطباعة عدد كثير من الكتب على نفقته الخاصة.

وفي الشام قام الشيخ محمد بهجت البيطار بدعم من الملك عبد العزيز [2] بنشر الدعوة السلفية من خلال نشاطاته الدعوية المتنوعة.

وممن كان له جهد كبير في نشر الدعوة السلفية في سوريا والذب عنها الشيخ عبد القادر بدران الذي قام بتحرير العديد من المؤلفات في نصرة الدعوة السلفية وخدمة الفقه الإسلامي، وأغلبها طبع على نفقة الملك عبد العزيز، وغير هؤلاء كثير.

وهذه ولاشك جهود عظيمة إذا قورنت بقلة الإمكانات وصعوبة الظروف وبدائية الاتصالات والمواصلات.

---

(1) السلمان : محمد بن عبد الله ، رشيد رضا ودعوة الشيخ معمد بن عبد الوهاب ، ص 389- 0 / 39 .

(2) الشثري : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 1/ 327 - 434 .

المبحث الثالث

عناية الملك عبد العزيز بوسائل الدعوة

وهي وسائل متعددة ومتنوعة ساهمت في تبليغ الدعوة إلى الله، وتبصير الناس بشكل نافع مثمر، ومن أبرزها:

أولا: الكتب:

أدرك الملك عبد العزيز - رحمه الله - مدى أهمية الكتاب في نشر الدعوة السلفية وتبصير الناس بأمور دينهم. فاتجه - رحمه الله - إلى طبع نفائس الكتب التي تخدم العقيدة الإسلامية، وتساعد في نشر الوعي والثقافة الإسلامية، وبخاصة ما تضمن الذب عن الدعوة الإسلامية والدفاع عنها.

فقد أمر - رحمه الله - بطباعة ما وصل إليه من كتب العلوم الإسلامية المختلفة - على نفقته الخاصة - وتوزيعها على طلبة العلم من أبناء هذه البلاد، أو من المسلمين المحتاجين إليها في مختلف البلاد الإسلامية، فكان ما طبع من ذلك يربو على مائة ألف نسخة من الكتب المعتبرة [1].

كما أمر - رحمه الله - بشراء مجموعات أخرى كثيرة من كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ والأدب وغيرها وتوزيعها مجانا [2].

وقد أعد الأستاذ عبد العزيز الرفاعي - رحمه الله - دراسة قيمة عن عناية الملك عبد العزيز بنشر الكتب، تناول فيها تاريخ نشر الكتب وأماكن طباعتها وكيفية النشر، وختم ذلك بثبت يحتوي على أسماء الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبد العزيز [3].

وفيما يلي عرض موجز لبعض هذه الكتب التي أمر - رحمه الله - بطباعتها أو شرائها وتوزيعها وفقا للبيان الآتي:

---

(1) الغلامي : الملك الراشد ، ص 386 .

(2) الزركلي : خير الدين ، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص 339 .

(3) الرفاعي : عبد العزيز عناية الملك عبد العزيز بنشر الكتب ، ص 12 .

التفسير:

- تفسير القرآن الكريم للإمامين: ابن كثير والبغوي.
- أوضح البرهان في تفسير القرآن للمعصومي.

الحديث:

- جامع الأصول لابن الأثير.
- شرح تهذيب سنن أبي داود لابن القيم.
- معالم السنن للخطابي.
- مختصر السنن للمنذري.

الفقه وأصوله:

- المغني والشرح الكبير لابن قدامة كتابان.
- روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة مع شرح البدراني.
- مجموعة المتون في الفقه والتوحيد لبعض علماء نجد.

الفتاوى:

- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لجماعة من علماء نجد.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية لجماعة من علماء نجد.
- مجموعة رسائل وفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- مختصر الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية.

التوحيد:

- التوحيد وإثبات صفات الرب **U** لابن خزيمة.
- مجموعة التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وآخرين.
- الثلاثة الأصول والأربعة القواعد للشيخ ابن عبد الوهاب.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن.
- كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل.

الأدب:

- الآداب الشرعية لشمس الدين بن مفلح.
- روضة المحبين لابن القيم.

التاريخ:

- البداية والنهاية لابن كثير.
- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى.
- روضة الأفكار (تاريخ ابن غنام).

الردود:

- الصواعق المرسلة لابن القيم.
- تلخيص الاستغاثة لابن تيمية.
- الرد على المنطقيين لابن تيمية.
- الضياء الشارق لسليمان بن سحمان.
- الصواعق الشهابية لسليمان بن سحمان.
- كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وغيرها كثير [1].

كما بلغت عناية الملك عبد العزيز بطباعة الكتب وتسخيرها للدعوة الإسلامية أن أمر - رحمه الله - بطبع الكثير من كتب أئمة السلف بلغات مختلفة كالجاوية والهندية والإنجليزية، ومن ذلك ترجمة كتاب: الهدية السنية باللغتين الهندية والجاوية، وتفسير القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، وتوزيعها في الهند وإندونيسيا والبلاد الأوربية مجانا [2].

(1) المرجع السابق ، ص 12 وما بعدها . - الأحيدب : عبد العزيز ، من حياة الملك عبد العزيز ، ص 253-256 . - الزركلي : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز : ص 328- 340 . - الغلامي : الملك الراشد ، ص 386 - 389 .

(2) الغلامى الملك الراشد ص 289 .

ثانيا: التعليم :

يتفق معظم الباحثين على أن التعليم في نجد قبل تولي الملك عبد العزيز كان على نطاق ضيق، وكانت الغلبة للأمية " إذ كان التعليم معدوما عند قطاع كبير من سكان نجد - البادية - وكان نادرا بين فئات الحضر في هذه المنطقة " [1].

ولم يكن هذا التعليم - مع ندرته - وفق النماذج العلمية الحديثة بل كان يتم على الطريقة التقليدية القديمة وهي ما تسمى بالكتاتيب حيث يجلس الطلاب على الأرض، ويباشر المعلم مهنته التعليمية باستخدام لوح مخصص للكتاب، أو الاستعانة بأصبعه في الكتاب على الأرض ثم مسحها براحة يده عند تغييرها.

ولم تكن هناك مدارس حكومية منظمة، وإنما كان المسجد هو المدرسة الأساسية وهو مركز الإشعاع الفكري في البلد وإن كان يقتصر على العلوم الدينية فقط، إذ كان يعقد فيه ندوات عملية دينية يستمع إليها مجموعة من المصلين بعد انتهاء الصلاة، وكان إمام المسجد هو المدرس الذي يعقد حلقات الدراسة، وكثيرا ما كان إمام المسجد يقوم مقام المدرس في وقتنا الحاضر، إذ بعد الانتهاء من الصلاة، أو في فترة ما بين الصباح والظهر، أو ما بين الظهر والعصر كان التلاميذ يجتمعون حوله ويعلمهم القراءة والكتابة وقراءة القرآن والأمور الدينية [2].

فبلاد نجد كانت بعيدة عن تيار العلم المنفتح على الخارج بعكس الحجاز التي هي مركز الاحتكاكات مع الخارج لما كانت تتمتع به من مكانة دينية واقتصادية.

وكان الأسلوب التعليمي المتبع فيها يتسم بنمط ثقافي قديم يهتم بالدراسات الدينية واللغوية، وأهم مراكز التعليم في الحجاز كانت في الحرمين في مكة والمدينة حيث تعقد فيهما حلقات الدراسة.

وقد أسست الدولة العثمانية في الحجاز عدة مدارس شبه منتظمة في كل من مكة

---

(1) العثيمين : د ، عبد الله بن صالح ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص 16 .

(2) أبو علية : د ، عبد الفتاح ، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز ، ص 64 .

والمدينة وجدة، وكان تدرس فيها اللغة التركية - باعتبارها اللغة الرسمية للدولة - إلى جانب بعض العلوم الأخرى إلا أن ثمارها محدودة.

يقول حسين نصيف في وصف هذه المدارس: " إن المعارف في الحجاز في أيام الأتراك ليست راقية و لم نر لها أثرا سوى مدارس ابتدائية حكومية لا يستفيد منها العربي غير اللغة التركية وشيئا من المبادئ الدراسية " (1).

أما عن التعليم في زمن الأشراف فكما وصفه نصيف بقوله: " إن المدارس في الحجاز كانت ضئيلة وخصوصا في آخر حكم الحسين فكأنها كتاتيب صغيرة، أضف إلى ذلك اختلال معاشات الأساتذة من تأخير وتأجيل وما في هذا من هبوط في الهمم وتقاعس في الأفكار وانقباض في النفس " (2).

فالتعليم في الجزيرة العربية قبل توحيد الملك عبد العزيز لها كان غالبا ما يتسم بالنمط التقليدي القديم، وكان تعليما أهليا أكثر من كونه حكوميا وظل نظامه غير ثابت ولا منظم.

وما إن من الله على هذه البلاد بالملك عبد العزيز حتى بذل قصارى جهده في نشر العلم ومكافحة الأمية - رغم أعبائه العظيمة ومهامه الجسيمة - إدراكا منه لأهمية العلم في بناء شخصية الفرد والمجتمع " والانفتاح على منجزات العصر الحديث، والأخذ بأسباب التقدم فكان - رحمه الله - يجمع في طبيعته روح الحرب وروح السلم لا يقاتل الناس ولا يعتدي عليهم وإنما يحارب الجهل ويقاتل الجمود ويكافح التأخر " (3).

ومن هنا اتجهت جهوده - رحمه الله - لنشر العلم باعتباره ضرورة من ضرورات الحياة وأساسا للتقدم والبناء.

وفيما يلي عرض موجز لأهم مظاهر عناية الملك عبد العزيز بالتعليم:

---

(1) المرجع السابق ، ص 97- 99 .

(2) نصيف : حسين ، ماضي الحجاز وحاضره ، ص 111 .

(3) المرجع السابق ، ص 112 .

1 - إرسال العلماء إلى البوادي والهجر:

لقد أدرك الملك عبد العزيز - رحمه الله - خطر البداوة على مبادئ دعوته السلفية بما جبلت عليه تلك القبائل البدوية من فطرة أورثتها عادات وتقاليد تتنافى كلية مع تعاليم الدعوة ومعطياتها الحياتية المثلى التي تنشد صلاح المجتمع وتفاعل أفراده في وحدة متماسكة منضبطة فضلا عما يشمم به أولئك البدو من خشونة في الصفات وغلظة في الطبع تجعلهم أصعب من الحضر وأشد تمنعا وأصلب تعنتا في تقبل الأوامر الصارمة والاستكانة للتعاليم الجازمة.

ومن هنا اتجه - رحمه الله - إلى نهج سياسة حكيمة وأسلوب أمثل في معالجة هذه المشكلة. ودرء هذا الخطر يكمن في توطين البدو وصرفهم إلى ممارسة لون من الحياة المستقرة وتشكيلهم بالعقيدة الإسلامية وتسليحهم بالعلم الشرعي بعد أن أمن لهم كل متطلبات الأمن والمعاش والاستقرار بما هيأ لهم من مناخ زراعي ملائم والاستكثار من حفر آبار المياه وتوفير الآلات الضرورية للحرث والزراعة كما خصص لكل هجرة ما يلائمها من قوت ومساعدة حالة التعرض للآفات والكوارث الطبيعية، كما أبقى لزعماء القبائل وذوي النفوذ مهامهم القيادية وما كانوا عليه من علو في المنزلة وبسطة في الجاه والنفوذ [1].

فاختط - رحمه الله - أول هجرة استيطان في قلب التجمع القبلي ما بين شمر الجبل وبدو القصيم وبدو الأحساء وعلى الطريق المؤدية إلى الكويت فأسس هجرة الأرطاوية عام 1330 هـ وسكنها أحد رؤساء حرب وهو سعد بن مثيب ثم أعطيت لفيصل الدويش زعيم قبيلة مطير وأحد قادة الإخوان [2].

ثم توالى تأسيس الهجر حتى بلغت مائة وثنتين وخمسين هجرة لمختلف بطون

(1) أبو زلام : عمر ، عبد العزيز آل سعود العبقرية في التحرير والتوحيد والتضير ، ص 42 .
(2) المرجع السابق ، ص 387- 391 .

القبائل [1] واستطاع الملك عبد العزيز من خلالها أن يغرس في نفوسهم العقيدة الإسلامية وأن يقضي على النزعة القبلية عندهم وأن يتصلوا ببعضهم بروابط الأخوة الإسلامية [2] بعد أن بعث لهم العلماء والمرشدين يعلمونهم القراءة والكتابة ابتداء من حروف الهجاء، حتى إن الإنسان إذا مر برجال تلك الهجر يسمع لهم دويا كدوي النحل، والإبل التي كانوا يرعونها باعوها بأبخس الأثمان اعتقادا منهم أن هذه الإبل شغلتهم عن طاعة الله وأصبحت مدعاة لشقائهم في الدنيا، فهم يعرضونها في أسواق مدن نجد قائلين " يا شاري الشقا " [3].

يقول أمين الريحاني مبينا نماذج من نماذج الدعوة التي نهجها الملك عبد العزيز: " باشر ابن سعود إصلاحه الكبير بالوسائل الدينية فكان يرسل المطاوعة إلى البادية ليعلموا أهلها دين التوحيد والفرائض ويزينوا لهم هجر ما هم فيه إلى ما دعاهم إليه من إيمان يستشعرونه، وبيت يأوون إليه وأرض يحرثونها " [4].

وكان من هؤلاء العلماء الذين أرسلهم الملك عبد العزيز للتعليم والإرشاد في تلك الهجر الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ الذي وجهه الملك عبد العزيز إلى هجرة الأرطاوية أول الهجر وأهمها، والتي كان أميرها آنذاك فيصل بن سلطان الدويش وهو من أشهر رؤساء البادية وأرفعهم ذكرا وأصلبهم عودا، فجعل الله في رحلة الشيخ الخير والبركة حيث تبدلت طباع أهل البادية بفضل الله ثم بالتوجيه الحسن الذي صير جفاءهم لطفا وغلظتهم لينا وجهلهم توحيدا وعلما، فصنعت هذه المواعظ البليغة والتوجيهات الرشيدة والسياسة الحكيمة من هذه البادية الجافية الجاهلة قوة فتحت البلدان وأقامت العمران تحت قيادة الملك عبد العزيز - رحمه الله - [5].

---

(1) المارك : فهد ، من شيم الملك عبد العزيز3/ 196 .

(2) أبو علية : د . عبد الفتاح ، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز ، ص 151 .

(3) المارك : فهد من شيم الملك عبد العزيز 3/ 192 .

(4) الريحاني : أمين ، تاريخ نجد الحديث ، ص 261 .

(5) البسام : علماء نجد خلال ستة قرون 1/83 .

كما بعث الملك عبد العزيز إلى الهجرة نفسها الشيخ عمر بن سليم وذلك في عام 1330هـ لما علم فيه من سعة العلم ورجاحة العقل وبعد النظر وحسن الدعوة [1].

أما الشيخ محمد بن عثمان فقد أرسله الملك عبد العزيز إلى بلدة الغطغط معلما وواعظا ومرشدا فنفع الله بعلمه ودعوته [2].

وقد كان لهؤلاء العلماء وغيرهم أثر كبير في التعليم والتثقيف وتصحيح المنهج والسلوك، والتوجيه إلى العمل والجهاد، والقضاء على البطالة التي كادت أن تنتشر إثر الإقامة في الهجر حيث قام العلماء بحثهم على العمل والكسب وبينوا لهم منهج الإسلام في ذلك مستدلين بالنصوص الشرعية المرغبة في العمل والحاثة عليه مستشهدين بصحابة رسول الله (ص) وقيامهم بأعمال التجارة والكسب والعمل دون أن يضعف ذلك من روحهم الجهادية [3].

كما كان لهؤلاء العلماء أكبر الأثر في تصحيح مسار الإخوان حينما فوق بعضهم بشيء من الغلو والتشديد - عن حسن قصد منهم - فواجهوهم بالدليل الشرعي والحكمة والموعظة الحسنة. مما كان سببا في اعتدالهم ورجوعهم عن غلوهم.

حتى إنه صدر نداء من كبار أهل العلم إلى عامة الناس وأهل الهجر بصفة خاصة جاء فيه:

من عبد العزيز بن عبد اللطيف وحسن بن حسين وسعد بن عتيق وعمر بن محمد بن سليم وعبد الله بن عبد العزيز وسليمان بن سحمان ومحمد بن عبد اللطيف بن بليهد وعبد الرحمن بن سالم إلى كافة الإخوان من أهل الهجر وغيرهم وفقنا الله وإياهم لما يحبه ويرضاه وجعلنا وإياهم من حزبه وأوليائه آمين.

---

(1) المرجع السابق 3/ 745 .

(2) المرجع السابق 3/ 898 .

(3) الريحاني : أمين ، تاريخ نجد الحديث ، ص 262 - 263 . - العتيبي : إبراهيم بن عويض ، الأمن في عهد الملك عبد العزيز ص 170 .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: إنكم تفهمون ما مَنَّ الله به علينا وعليكم من نعمة الإسلام، وتجديد هذه الدعوة إلى دين الله ورسوله r فالواجب علينا وعليكم الشكر لله - تبارك وتعالى - واتباع ما أمر الله به ورسوله واجتناب ما نهى عنه ولا يخفاكم ما جرى من الاختلاف وكثرة الشُّبَه التي تلبس على الناس أمر دينهم فكان الناس لهذا السبب على حالة توجب الفرقة في الدين فإن أكثر الناس قصدهم طلب الخير ومحبة الدين لكنهم يقعون في أمور تخل في دينهم ودنياهم لأنهم يأتونها عن غير دليل من الكتاب والسنة ولا سؤال من عالم يعتمد عليه، فلما نبهوا على هذا الخطأ وتبين لهم حقيقة ما هم عليه من الغلو الذي لا أصل له في الدين رجعوا عنه إلى الحق الذي لا خلاف فيه، فلما رأى ذلك منهم من لم يقف على الحقيقة التي وقفوا عليها استنكروا ذلك فصار يشنع عليهم من غير علم ولا سؤال من العلماء فهذا خطأ يجب الرجوع عنه إلى ما أمر الله إليه من كتابه العزيز وسنة نبيه r كطهرة لمن يعرف ذلك ومن لم يكن من أهله فعليه بسؤال العلماء.

ثم إن أسباب الفرقة في الدين أنه يوجد أناس من طلبة العلم الحضر يدعون العلم وهم جهال يلقون على بعض الإخوان أمورا مخالفة وشبها باطلة فمن هؤلاء المذكورين أناس يكون قصدهم حسنا لكنهم ليسوا أهل علم قد اغتروا في أنفسهم، ومنهم أناس قصدهم الظهور بين العوام بمظهر العلم لأجل أن يعرفوا ويصير لهم أتباع فهؤلاء قصدهم شيء يجب الحذر منهم، فلما تحقق أولو الأمر من الحكام والعلماء بهذا الاختلاف والتغيير في أمر الدين أحب أن يعقد مجلس يحضره كل من عنده أدنى خلاف أو شك في أية مسألة من مسائل الدين بحضور علمائهم وولاة أمورهم حتى يحق الحق ويبطل الباطل وتكشف كل شبهة تعرض لذلك، ثم سأل الإمام العلماء عن هذه المسائل التي جعلها بعض الجهلة أصلا من أصول الدين وهي هذه: هل يطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم القائمين بأمر الله ونهيه أم لا؟ وهل في الحضر الأول وفي من هجر البداوة أخيرا فرق أم لا؟ ذبيحة الحضر الأول والمهاجرين البداوة الآن فرق حلال أو حرام أم لا؟

وهل لمن تركوا البداوة أمر أو رخصة بأن يعتدوا على الناس الذين لم يتركوا البداوة بأن يضربوهم ويهددوهم ويلزموهم ترك البداوة؟

وهل لأحد أن يهجر أحدا بدويا أو حضريا بغير أمر واضح أو كفر صريح أو شيء من الأعمال التي توجب هجره بغير إذن ولي الأمر والحاكم الشرعي؟

وهل في لبس العقال والعمامة فرق يتفاوت فيه اللابسون إذا كان معتقدهم واحدا أم لا؟.

فجوابنا على هذه المسائل أنها مخالفة للشريعة السمحاء و لم يأمر الله - تعالى - بها ولا رسوله r ولا يترتب عليها من الجواب إلا بيان فساد قول المعترض بها فحين اعترض على المسلمين بشيء من هذه المسائل وأمثالها ينهى ويزجر فإن تاب وأقر بخطئه عفي عنه، وإن استمر وعاند وجب تأديبه ظاهرا بين المسلمين حتى يرتدع غيره. وعلى هذا فإن من يأمر وينهى أو يعادي أو يوالي بغير أمر ولاة الأمور والحاكم الشرعي فإن من هذه حالته يكون مخالفا للشريعة المحمدية وطريقته غير طريقة المسلمين [1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن اهتمام الملك عبد العزيز بالتعليم والتثقيف لم يقتصر على الهجر فقط بل جاوز ذلك إلى مختلف أنحاء المملكة حيث أرسل لها العلماء والمشايخ فأفادوا ونصحوا ومن هؤلاء العلماء الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ الذي باشر الدعوة والتعليم في جنوب المملكة ومكث عندهم حقبة من الزمن وعندما رجع ظل على صلة دعوية معهم عن طريق المراسلة، وكان مما كتبه إليهم هذه النصيحة:

من محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ إلى من يراه من أهل القرى، ورؤساء القبائل من أهل الجنوب وعسير، وتهامة، وشهران، وبني شهر، وقحطان، وغامد، وزهران، وكافة أهل الحجاز وغيرهم، هدانا الله وإياهم لدين الإسلام، وجعلنا وإياهم من أتباع سيد الأنام آمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

(1) الأحيدب : من حياة الملك عبد العزيز ، ص 197 - 198 .

(أما بعد) فإنه لما كان في هذه السنة - وهي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف التحية - بعثنا الإمام المقدم، والرئيس المفضل عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود أعلى الله سعوده، وأدام للمسلمين وجوده لأجل تعليمكم ما أوجبه الله عليكم وتعبدكم به من دين الإسلام الذي معرفته والعمل به والبصيرة فيه سبب لدخول الجنة. والجهل به والإعراض عنه وعدم قبوله والانقياد له سبب لدخول النار. فلما قدمنا بعض جهاتكم رأينا بعض أهلها قد جال بهم الشيطان والهوى، وتمادوا في الغي والطغيان والإعراض عن النور والهدى، وفرقوا أمرهم وكانوا شيعا، وغلب عليهم الجهل وإيثار الشهوات، واستجابوا لداعي الشبهات، فوقعوا في وادي جهل خطير، فهم على شفا حفرة من السعير، وغلب على أكثرهم الاعتقاد في أهل القبور والأحجار والغيران، وتعظيم أهل الصلاح من المقبورين، وهذا هو دين أهل الجاهلية الأولين الذين بعث فيهم سيد المرسلين وإمام المتقين.

فلما رأينا ذلك وجب علينا الدعوة إلى الله بالحجج والبراهين، وهي طريقة النبي الأمين، وسبيل من اتبعه من الصحابة والتابعين، ومن سلك منهاجهم إلي يوم الدين، كما قال تعالى: { @è ¾íÉ»d þíŠ™ (þãš Î‹’$ « 4?ã / Ã•ž $R& Ç$Br 6?èÍÓ r'ß6 s» `$ « $Br $R& ÇÑÈ šú üÏ.Î ô³ßJø9$ `B } [1] وكتبنا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والعقائد السلفية إلى القبائل والبلدان بعدما سفت عليها السوافي، وقل من يعرفهما من أهل القرى والبوادي، نصحا لله ولرسوله ولكتابه ولعباده المؤمنين، وصار بعض الناس يسمع بنا معاشر الوهابية ولا يعرف حقيقة ما نحن عليه، وينسب إلينا ويضيف إلى ديننا ما لا ندعو إليه.

فاعلموا أن حقيقة ما نحن عليه وما ندعو إليه ونجاهد على التزامه والعمل به، أنا ندعو إلى دين الإسلام، والتزام أركانه، وأحكامه، الذي أصله وأساسه شهادة أن لا إلا الله

---

(1) سورة يوسف آية : 108 .

والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له " [1].

كما كان للشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي - رحمه الله - أكبر الأثر في التعليم والتوجيه والإرشاد لأبناء المناطق الجنوبية في المملكة إذ قام بدعوة إسلامية سلفية صحيحة في ذلك المجتمع الجاهل وفتح عندهم المدارس وركز لديهم المجالس العلمية وبث فيهم العقيدة السلفية فازداد إليه المتعلمون وانتشر التعليم هناك، وقد استطاع أن يستعين ببعضهم على بعض حتى عم تلك المناطق في تهامة والحجاز العلم النافع والعقيدة السلفية والدين الخالص وتخرج على يديه كثير من طلاب العلم الذين أصبحوا قضاة ومرشدين ومدرسين وأئمة مساجد وخطباء جوامع فصار لهذه الدعوة أثر كبير ونفع عظيم [2].

2 - تأسيس المنشآت التعليمية :

لقد ظل اهتمام الملك عبد العزيز بالتعليم قائما منذ أن استرد الرياض ضام 1319هـ على السمة التقليدية مرسلا العلماء والوعاظ والمرشدين إلى مواطن البادية نشرا للعلم وخدمة للدعوة الإسلامية، إلى أن تم للملك دخول مكة وفتح إقليم الحجاز في عام 1343هـ، فبدأ في تطوير برنامجه التعليمي بوصفه مدخلا لتطوير المجتمع وتحقيقا للدعوة التي قامت عليها ومن أجلها الدولة. الأمر الذي يفرض على الدولة أن يكون لها وجود مؤثر في العالم الإسلامي والأسرة الدولية عامة وألا تكون في معزل عنها.

ومن هنا أدرك الملك عبد العزيز مدى الحاجة إلى تحقيق وثبة حضارية لتحقيق آمال بلاده، وسياسة تعليمية تستهدف اللحاق بالركب العلمي، وقد تمكن في وضع نظام جديد للتعليم تحت إشراف هيئة حكومية وصولا إلى تطوير المجتمع كما يؤكد ذلك ما يلي:

1 - دعوة الملك عبد العزيز علماء مكة عام 1343 هـ عقب الفتح مباشرة إلى أول اجتماع تعليمي يعقد في تاريخ المملكة وقد حثهم في ذلك الاجتماع على بذل الجهد لنشر التعليم وتنظيمه والتوسع فيه.

---

(1) ابن قاسم : الدرر السنية 1/ 284 .

(2) البسام : علماء نجد خلال ستة قرون 2/ 632 .

2 - زيارة الملك عبد العزيز لكل من مدرسة الفلاح والمدرسة الفخرية عام 1344هـ أي بعد عام واحد من دخول مكة ودعمهما ماليا وعينيا، فكانت منه التفاتة مشجعة لافتتاح مدارس أهلية أخرى في غير مكة، ويعبر هذا التبرع عن رغبة شديدة لدى الملك المؤسس في نشر العلم والتعلم.

3 - إرسال الملك بعض مستشاريه كحافظ وهبة ويوسف ياسين للتفتيش على الكتاتيب التي كانت موجودة في مكة في حينه ومعرفة احتياجاتها ودعمها تقديرا وتشجيعا لجهودها [1].

وفي عام 1344هـ أسس الملك عبد العزيز - رحمه الله - مديرية المعارف السعودية للقيام بالإشراف على مختلف شؤون التربية والتعليم [2]. فكان تأسيسها بداية لفترة انتقالية لبناء صرح ثقافي في المملكة، وتثبيت قواعده على أسس المعرفة القويمة والتربوية الصحيحة.

ولم يقتصر اهتمام مديرية المعارف على المرحلة الابتدائية فقط التي كانت تمثل الخطوات الأولى في السلم التعليمي؛ بل تجاوزتها إلى الاهتمام بافتتاح مراحل أخرى متقدمة تلي التعليم الابتدائي ومنها:

أ - المعهد العلمي السعودي:

وقد تأسس هذا المعهد في مكة المكرمة عام 1345 هـ، باسم المعهد الإسلامي، وكان الغرض منه رغبة الدولة في إعداد معلمين متخصصين للتدريس في المدارس الابتدائية، فكان هذا المعهد بحساب ذلك الزمن في مستواه يعد رافدا مهما ساعد في إثراء الحركة التعليمية في البلاد، وكان لاختيار الأساتذة الذين عهد إليهم بالتدريس فيه أثر مباشر في تحقيقه لنتائج علمية ذات مردود ملموس الأثر في النهضة العلمية في ذلك الحين،

(1) عبد الجواد : د . نور الدين محمد وآخر ، التعليم الأهلي ومسيرة التعليم في المملكة العربية السعودية ، ص 39 - 40 .

(2) أبو عليه : الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز ، ص 240 .

والمشاركة في الحياة الثقافية بعد حين [1] واستمر هذا المعهد في تأدية رسالته وتخريج المدرسين حتى عام 1381 هـــ، حيث حلت محله معاهد المعلمين [2].

وقد كان الملك عبد العزيز يتابع تطور هذا المعهد، وعندما تخرجت أول دفعة منه سنة 1349 هـــ، التقى بهم الملك عبد العزيز وخطبهم قائلا: " إنكم أول ثمرة من غرسنا الذي غرسناه بالمعهد فاعرفوا قدر ما تلقيتموه من العلم واعلموا أن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر وأن العلم كما يكون عونا لصاحبه يكون عونا عليه، قليل من العلم يبارك فيه خير من كثير لا يبارك فيه " [3].

ب - مدرسة تحضير البعثات:

وهي أول مدرسة ثانوية بالمفهوم الحديث، وقد أسست بمكة المكرمة، وكان الغرض منها الإشراف على البعثات الطلابية المرسلة إلى الخارج من أجل التخصص في موضوعات علمية متنوعة [4].

ولا شك أن فكرة ابتعاث الطلاب للدراسات الجامعية في ذلك الوقت المبكر من عهد الملك عبد العزيز تؤكد بأن التعليم هاجس من هواجس الملك عبد العزيز وثمرة من ثمار غرسه.

ج - مدرسة دار التوحيد:

وقد تأسست عام 1364هـــ بمدينة الطائف بتوجيه خاص من الملك عبد العزيز - رحمه الله - حيث " كان يهدف إلى تأسيس معهد ديني يخرج شبابا واعيا مؤهلا لوظائف القضاء والتعليم والعمل في السلك الحكومي والوظائف الدينية، لا سيما وأن المملكة في

(1) السالم : عبد العزيز بن عبد الله ، الحركة الفكرية والثقافية في بلادنا عبر مائة عام ، ص 48 .

(2) الدهيش : التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز ، ص 66 .

(3) بغدادي : الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية 1/ 273 . - المارك : فهد ، من شيم الملك عبد العزيز 3/ 145 .

(4) بغدادي : الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية 1/ 273 .

بداية تأسيسها كانت في أشد الحاجة إلى مثل هذا النوع من الرجال " [1] كما كانت نموذجا للمعاهد العلمية الدينية التي افتتحت بعدها بست سنوات عام 1370 هـ، حيث كان أولها في مدينة الرياض تحت رئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة آنذاك، ثم تعددت هذه المعاهد العلمية مما استوجب العمل على إتاحة مجال أوسع وأعلى في الدراسة أمام خريجي هذه المعاهد، فكان إنشاء كلية الشريعة عام 1373 هـ التي أصبحت نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية [2].

ومما تجدر الإشارة إليه أن جهود الملك عبد العزيز في رسم السياسة التعليمية الجديدة كانت تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة ومنهج حياة، وعليه جاءت غاية التعليم في " فهم الإسلام فهما صحيحا متكاملا وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها وتزويد الطلاب بالقيم والتعاليم الإسلامية، وبالمثل العليا وإكسابه المعارف والمهارات. المختلفة وتهيئة الفرد ليكون عضوا نافعا في بناء مجتمعه " [3].

ثالثا: البلاغ والتوجيه

ويتجلى أبرزها في الآتي:

1 - إنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الدولة السعودية دولة قامت على أسس إسلامية، ومن هنا فقد أولت جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اهتماما عظيما منذ الدور الأول لها، إذ قد تولى الشيخ محمد بن عبد الوهاب مهمة الحسبة إلى جانب أعماله الدعوية الأخرى، من الإفتاء والقضاء والتعليم وغيرها حتى توفي - رحمه الله -، فنهض بهذه المهمة الشريفة بعده أبناؤه وتلاميذه، كما ورث الخلف من الأمراء السعوديين أمانة سلفهم في إقامة شرع الله وتحكيم

(1) أبو رأس : بدر الديب ، الملك عبد العزيز والتعليم ، ص .

(2) السالم : عبد العزيز بن عبد الله ، الحركة الفكرية والثقافية في بلادنا عبر مائة عام ، ص 48 .

(3) التركي : د . عبد الله ، الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية ، المنهج القويم في الفكر والعمل ، ص 100 .

كتاب الله وسنة رسوله r حيث تضامن العلماء والأمراء في القيام بمهمة الاحتساب، العلماء لتبيين أحكام الدين، والأمراء للتنفيذ والردع [1].

وعندما فتح الملك عبد العزيز الرياض، لم تكن الحسبة ممارسة على المستوى الرسمي، إنما كانت تمارس على المستوى الفردي التطوعي من قبل بعض العلماء الأجلاء، كالشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل الشيخ، الذي كان يقوم بالحسبة تطوعا في مدينة الرياض.

وبعد أن استقرت الأوضاع في البلاد واتسع نطاق الحكم كلف الملك عبد العزيز الشيخ عبد العزيز آل الشيخ ليكون أول محتسب مكلف في الدولة السعودية المعاصرة، وقد زوده بأعوان ومساعدين منهم الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ والشيخ عبد الرحمن بن إسحاق آل الشيخ والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ وإلى جانبهم عدد من الجنود والأعوان الآخرين.

واستمر هؤلاء يقومون بالاحتساب أحيانا بمفردهم وأحيانا يستعينون ببعض المتطوعين الصالحين، وكانوا رغم قلتهم يقومون بواجبات الحسبة على أكمل وجه وأحسنه [2] مما خدم الدعوة الإسلامية وقضى على كثير من المنكرات الظاهرة.

وانطلاقا من إيمان الملك عبد العزيز بدور ولي الأمر في تنظيم ولاية الحسبة والقيام بها، فإنه لم يكتف بتنظيم هذه الولاية في المدن الرئيسة، وإنشاء هيئات خاصة بها، بل إنه لا يكاد يسمع عن قرية ليس فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا وجه إلى القائم فيها كتابا يأمره بتعيين رجال من أهل الصلاح والتقوى لهذا الأمر، كما يتضح ذلك من خطابه الذي وجهه إلى الشيخ عبد الرحمن بن عدوان في شأن أهل مرات، جاء فيه: " أنه ذكر لنا ناس من جماعة أهل مرات أنه ليس لبلدهم نواب يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.. - إلى أن قال - تشوفون لهم نوابا - أي أعضاء هيئة - عقالا، فيهم خير يأمرون

(1) المرشد : عبد العزيز ، نظام الحسبة في الإسلام ، ص 192 .

(2) القرنى : علي بن حسن ، الحسبة في الماضي والحاضر 2/ 726 .

بالمعروف وينهون عن المنكر على الوجه الشرعي " [1].

وظل اهتمام الملك عبد العزيز بأمر الحسبة في تواصل مستمر كما يتضح ذلك من رسالته - رحمه الله - أثناء الاجتماع مع علية القوم وأصحاب الحل والعقد من كبار الموظفين في شهر محرم من عام 1355هـ، وهي ما نصها:

" يجب أن تنظروا في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنفيذا لأمر الله وحفظا له.. كما يجب أن ننظف أنفسنا من الأدران ونطهرها من كل الأمور المخالفة، وندنو إلى ما يرضي الله ونخاف عقوبته، إذ ليس هناك عقوبة أشد من عقوبة الدين.

هذه البلاد يجب أن تكون قدوة صالحة للمسلمين في كل عمل من أعمالها، فنحن نطلب المساعدة في هذا الشأن منكم ومن الأهالي، نريد أن تكونوا أعوانا للحكومة في هذا الأمر، لأنه إذا كان الجميع اتفقوا على درء المفاسد سهل العمل أما إذا كانت إجبارية صعب حلها وطال أمرها، وإن المساعدة التي نطلبها هي:

أولا: مساعدة الأهالي.

ثانيا: ترتيب طريقة لدرء المفاسد والحيلولة دون الفساد لنتمكن من إقامة الشرع الشريف، فإذا عملنا هذا قمنا باللازم، وهذا أهم ما يجب العناية به لأن الدنيا إذا كثرت خيراتها، والدين أهمل فلا فائدة ترجى منها، بل هذا هو أساس البلاء، أما إذا عمر الدين ونفذت أوامره واجتنبت محارمه صلحت الدنيا.

فأنا أرجو أن تفكروا في طاعة الله ومخافته واتباع سنة رسوله r وأرجو أن تهتموا بالأمر اهتماما شديدا، فبإصلاح هذه المسألة يصلح كل شيء " [2].

وهكذا كان - رحمه الله - محبا للخير آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر كثير النصح والإرشاد لإخوانه المسلمين يحثهم على شكر الله والمحافظة على شعائر الإسلام والتناصح بينهم. يقول في معرض رسالة وجهها لعامة المسلمين: "... وجب علينا القيام على أنفسنا

(1) دارة الملك عبد العزيز ، قسم الوثائق ، المخطوطة رقم 887 .

(2) القرني : د . علي ، الحسبة في الماضي والحاضر 2/ 730 .

بالخضوع والتضرع والشكر لرب العزة والنصيحة لإخواننا المسلمين..

ثم بعد ذلك رأيت بعض التغافل والتمادي في أمر هذه الدنيا، وذكر لي أن الناس معهم كسل في الصلاة والمبادرة لها. وهذا شيء ما هو بدليل خير، فالرجاء أن تقوموا على أنفسكم وتناصحوا إخوانهم المسلمين... وتؤدوا النصيحة للخاص والعام كل على حسبه، العالم على قدر علمه وموقعه، وطالب العلم على قدر اقتداره، والباقي من كان يقدر يقوم بما أوجب الله عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فعليه أن يقوم بذلك على قدر استطاعته على الأمر المشروع " [1].

2 - تعيين القضاة وأئمة المساجد:

نظرا لما للقضاء من أهمية كبرى في الفصل بين خصومات الناس وإقامة العدل بينهم وتحقيق الأمن والاستقرار، فقد أولاه الملك عبد العزيز - رحمه الله - عناية فائقة واهتم بالقائمين به، فقد كان - رحمه الله - يتولى اختيار القضاة بنفسه ممن عرفوا بالخيرية والنزاهة وتحققت فيهم الكفاءة العلمية، ثم يرسلهم إلى مختلف أقاليم الدولة ويجري لهم مرتبات من بيت مال المسلمين [2].

وقد كان لهؤلاء القضاة دور بارز في نشر الدعوة الإسلامية وتبصير الناس بأمور دينهم، وتعليمهم، وبث العلوم الشرعية، إضافة إلى القيام بمهامهم الأساسية من الفصل في المنازعات وكتابة العدل وإجراء عقود الزواج وغيرها، مما جعل للقاضي المرجعية الدينية في البلد وقبول الاستجابة لرأيه في مختلف الأمور [3].

وغالبا ما كان هؤلاء القضاة يقومون بمهمة الإمامة والخطابة في المساجد، لما كانوا يتمتعون به من سعة في العلم ونفاذ في البصيرة وقدرة على النصح والتوجيه.

ومن هؤلاء العلماء - على سبيل المثال - سماحة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ

---

(1) دارة الملك عبد العزيز ، قسم الوثائق ، المخطوطة رقم 888 .

(2) الدريب : د . سعود الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة ، ص 62 .

(3) المرجع السابق ، ص 62- 63 .

الذي عينه الملك عبد العزيز إثر فتحه للرياض إماما في مسجد والده الإمام عبد الرحمن الفيصل لما اتسم به من كفاية وتقى، واستمر إماما وواعظا ومدرسا في هذا المسجد فقام بذلك خير قيام، ثم بعثه الملك عبد العزيز إلى هجرة الأرطاوية لتثقيف البادية وتعليمهم وتوجيههم إلى وجهة الخير في معاشهم ومعادهم، إلى أن جعله الملك عبد العزيز إماما وخطيبا في المسجد الحرام وذلك في عام 1344 هـ، ثم أسند إليه في عام 1346 هـ منصب رئاسة القضاة وهو مقام كبير لا يصل إليه إلا من بلغ من النضج العلمي مبلغا كبيرا، وصار لديه الخبرة والتجربة التامة [1].

ومن العلماء القضاة - أيضا - سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وهو من بيت علم وفضل ودين، حفظ القرآن الكريم وهو لم يبلغ الحادية عشرة من عمره، ثم شرع في طلب العلم علي يد والده وعمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف - علامة نجد في زمنه - والعديد من علماء الرياض.

ولما رأى الملك عبد العزيز فيه الكفاية والسداد عينه مستشارا شرعيا في تولية القضاء، وإبداء الرأي في الأمور الشرعية، كما كانت له جهود علمية كبرى في مجال الدعوة من خلال دروسه التعليمية لطلابه علي اختلاف مراتبهم وتباعد درجاتهم [2] كما أسندت إليه كثير من الأعمال والمسؤوليات الإدارية الدعوية [3].

ومن العلماء البارزين في مجال القضاء - أيضا - الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد الذي عين قاضيا لقرى القصيم وبواديها في عام 1333هـ فكان يتجول بينها لفصل القضاء، وإرشاد الناس وتعليمهم حتى عام 1341 هـ حيث عينه الملك عبد العزيز قاضيا في مدينة حائل وما يتبعها من قرى وبوادي.

وحينما استتب الأمر للملك عبد العزيز في الحجاز عام 1344هـ نقل الشيخ عبد

(1) البسام : علماء نجد خلال ستة قرون 1/ 82 -84 .

(2) ينظر تفصيل هذه الدروس في البسام : علماء نجد خلال ستة قرون 1 / 89 - 90 .

(3) المرجع السابق 1 / 90 .

الله إلى رئاسة القضاة في مكة المكرمة.

ولاشك أن تولية الملك عبد العزيز للشيخ عبد الله بن بليهد القضاء في حائل حين فتحها ومن ثم توليته القضاء في مكة حين فتحها تدل - كما يقول ابن بسام - على أمرين:

الأول: معرفة الملك عبد العزيز - رحمه الله - للرجال وسياسته المحنكة الرشيدة.

الثاني: العقل والحكمة السياسية التي يتمتع بها الشيخ عبد الله بن بليهد ذلك أن سكان هاتين المدينتين حين فتحهما محتاجون إلى ملاطفة وتأليف وتطمين لأنهم لم يألفوا الحكم الجديد ولا يعرفون حقيقته ويتخوفون منه فهم في حاجة إلى رجل له دراية وسياسة وحنكة ليطمئنهم ويقرب ما بينهم وبين الحكم الجديد حتى يألفوه ويعرفوه فكان الرجل المختار هو هذا العالم العامل الحكيم عبد الله بن سليمان بن بليهد - رحمه الله تعالى - ولما اشتهر أمر البادية على الناس بأمر الدين وصار منهم بعض الغلظة والجفاء كان للشيخ عبد الله دور كبير في توعية الناس ووعظهم وإرشادهم.

وقد جاء في إحدى رسائله ما يلي: (من عبد الله بن سليمان آل بليهد إلى من يراه من الإخوان، وفقهم الله تعالى لسلوك طريق مرضاته وحماهم من الشيطان ونزغاته.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فالموجب لتحرير هذا الكتاب هو النصح لكم والشفقة عليكم وتنبيهكم إلى ما يدخل عليكم بسببه من الخلل من دينكم من أمور تبلغنا عن أناس منكم يتكلمون بغير علم ويلزمون الناس بمقالاتهم ويقصدون بذلك الخير والأمر بالمعروف وسبب ذلك إساءة الظن بالغير وإحسان الظن بأنفسهم وقياس الأمور برأيهم وهذا أمر خطير ومخوف وضرره على الدين كبير والمقصود التنبيه إلى الأمور التي حصل فيها الغلط كالتعدي على الناس بالضرب والشتم وجعل ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الدين ولكن المتكلم فيه والقائم به يحتاج إلى علم حتى يكون أمره ونهيه على موجب الشرع ويميز بين آحاد الناس في ذلك وما يختص به ولاة الأمور من إقامة الحدود المقدرة في الشرع والتعزيرات

التي يدخلها الاجتهاد وقد تختلف باختلاف الأحوال كما هو معروف عند أهل العلم ومن أشكل عليه شيء من أمر دينه فالواجب عليه سؤال العلماء امتثالا لقوله تعالى: { (#þqè=ÏG÷z$#ur } { ÇÎÈ bqçèÏ?ù'tƒ ©!$# ¨bÎ) ÏM»oYÏB÷sßJø9$# } [1] وأما الأمور التي تحتاج إلى تنفيذ فيلزم رفعها إلى نواب الإمام من الأمراء وغيرهم وستنفذ على موجب الشرع، فهذا الذي نرى وندين الله به ونسأل الله الكريم أن يهدينا وإخواننا المسلمين إلى سواء السبيل وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

كما أن من مشاهير العلماء القضاة في عهد الملك عبد العزيز، والذين كان لهم جهود إصلاحية ودعوية:

- الشيخ عمر بن محمد بن سليم وقد تولى القضاء في الأرطاوية [2].

- الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري الذي كان قاضيا في المجمعة وبلدان سدير [3].

- الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم الذي تولى القضاء في هجرة الداهنة ومن ثم قاضيا في الرياض حتى عام 1363هـ، حيث نقله الملك عبد العزيز إلى رئاسة المحكمة الكبرى في المدينة المنورة [4].

رابعا: الإعلام :

نظرا لما للوسائل الإعلامية من أهمية بالغة في تكوين الاتجاهات والمعتقدات، والتأثير والاستفادة منها وتسخيرها لخدمة الدعوة الإسلامية.

ومن هنا كانت السياسة الإعلامية في عهد الملك عبد العزيز - كما نص التمهيد لها - " تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وشريعة " وتهدف إلي ترسيخ الإيمان

(1) سورة النحل آية : 43 .
(2) ينظر ترجمته في علماء نجد خلال ستة قرون 3/ 583 .
(3) ينظر ترجمته في علماء نجد خلال ستة قرون 2/ 582 .
(4) ينظر ترجمته في علماء نجد خلال ستة قرون 2/ 583 .

بالله U في نفوس الناس والنهوض بالمستوى الفكري والحضاري والوجداني للمواطنين، وإلى معالجة المشكلات الاجتماعية وغيرها. وإلى تعميق مفهوم الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر، والحض على احترام النظام وتنفيذه عن قناعة.

وتنص المادة الأولى - من السياسة الإعلامية - على أن: " يلتزم الإعلام السعودي بالإسلام في كل ما يصدر عنه، ويحافظ على عقيدة سلف هذه الأمة، ويستبعد من وسائله جميعها كل ما يناقض شريعة الله التي شرعها للناس ".

وتنص المادة الثانية والعشرون على " أن الإعلام السعودي يؤكد على أن الدعوة إلى الله بين المسلمين وغيرهم قائمة دائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك فهو يقوم بنصيبه في أداء هذا الواجب الجليل سالكا في دعوته إلى الله سبيل الحكمة والموعظة الحسنة معتمدا على مخاطبة الفكر ومبتعدا عن كل ما من شأنه أن يثير حفائظ الآخرين " [1].

ومن تلك الوسائل الإعلامية المستخدمة في عهد الملك عبد العزيز ما يأتي:

1 - الصحافة:

ساعد الاستقرار السياسي الذي تمتعت به البلاد في عهد الملك عبد العزيز على إيجاد جو ملائم للنشاط الصحفي مما شجع على ظهور العديد من الصحف والمجلات التي ساهمت في نهضة البلاد والوعي الفكري العام ومعالجة قضايا المجتمع المختلفة، ومن هذه الصحف والمجلات ما يأتي:

الاسم	تاريخ الصدور
جريدة أم القرى	1343هـ
مجلة الإصلاح	1347هـ
جريدة صوت الحجاز	1350هـ

(1) التركي : د . عبد الله ، الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية ، المنهج القويم في الفكر والعمل ، ص 101 .

مجلة المنهل	1355هـ
جريدة المدينة المنورة	1356 هـ
مجلة النداء الإسلامي	1356 هـ
مجلة الحج	1366هـ
مجلة اليمامة	1372 هـ [1]

وقد كان لهذه الصحف والمجلات دور رائد في نشر الدعوة الإسلامية ومعالجة القضايا الفكرية والاجتماعية من منطلق العقيدة الإسلامية، حيث عملت هذه الصحف على إبراز معالم الشخصية الإسلامية وكيفية الارتقاء بها، والإسهام في تحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع وتوعية الناس وتصحيح مفاهيمهم.

2 - الإذاعة:

وهي من أقوى الوسائل الإعلامية لسرعتها ومباشرتها في النشر الإعلامي، وتيسر اقتناء أجهزتها لدى عامة الناس.

ومن هذا المنطلق حرص الملك عبد العزيز - رحمه الله - علي الاستفادة من تلك الأداة الإعلامية في مجال التوعية والتثقيف والتوجيه، وترسيخ أسس الدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي والتعريف بقضايا العالم العربي والإسلامي والدفاع عنها، ومن هنا كانت استراتيجية الإذاعة السعودية واضحة ثابتة كما تتحدد من أهدافها الآتية:

1 - ترسيخ العقيدة الإسلامية بين أفراد الأمة.

2 - التمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله r وتوجيه البرامج لخدمة هذا الغرض السامي.

3 - الالتزام بالصدق والأمانة، والواقعية في نقل الأخبار الداخلية والخارجية، والابتعاد عن المبالغة والتهويل.

(1) الشثري : د . محمد ، الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 1/ 475 . - الزركلي : خير الدين ، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ص 236 .

4 - الالتزام بمبدأ أخلاقي لمنهج إعلامي تسير عليه البلاد، وذلك حينما تقرر عدم التعرض للغير عن طريق الشتم أو النقد.

5 - بث تعاليم الدين الإسلامي عبر موجات الأثير.

6 - الدفاع في القضايا العربية والإسلامية من موقع المسئولية القيادية والدينية التي يتبوأها هذا البلد الأمين [1].

وهكذا انتشرت الدعوة في مختلف أنحاء المملكة بفضل الله ثم بتلك الجهود العظيمة للملك عبد العزيز في نشر التعليم وإنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرسال العلماء والقضاة لمختلف بلدان المملكة وهجرها والاهتمام بتعيين أئمة المساجد وخطبائها والاهتمام بأحوالهم المعيشية ودعمهم ماديا ومعنويا، مع الاستفادة من الوسائل الإعلامية المتاحة.

(1) قزاز : حسن ، الإعلام في عهد الملك عبد العزيز ، ص 16 .

المبحث الرابع

آثار عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة

لقد كان لعناية الملك عبد العزيز - رحمه الله- بالدعوة والدعاة آثار عديدة في مختلف الجوانب، منها:

أولا: الأثر العقدي

ويتمثل في نشر العقيدة السلفية الصحيحة وتنقية عقائد الناس من أدران الشرك والوثنية، وما انتشر في المجتمع من خرافات وخزعبلات تغلغلت جذورها في أعماق النفوس، مما حدا بالملك عبد العزيز إلى الاهتمام بإصلاح جوانب العقيدة واعتبارها قضيته المنهجية الأولى، فانصبت جهوده- رحمه الله- بتوجيه العلماء والدعاة إلى الاهتمام ببيان معالم العقيدة الصافية ومعالجة الشركيات والخرافات التي اتسمت بها بعض التقاليد في البادية وفي بعض المناطق الحجازية، ومن ذلك أنه لما "استولت الحكومة السعودية على الحجاز ودخل الملك عبد العزيز جدة سنة 344 هـ كان من أوائل الأعمال التي قام بها هدم قبة حواء، وقفل الزوايا المنسوبة إلى الطرق الصوفية، وإبطال البدع التي كانت سائدة في ذلك الزمان، والتي كان يتقرب بها الناس كما يظنون إلى الله " [1] وهكذا نجح الملك عبد العزيز بتوفيق من الله ثم بعنايته بالدعوة والدعاة في إزالة جميع مظاهر الشرك والوثنية والإلحاد والأسباب المفضية إليها وتأسيس دولة قائمة على التوحيد الخالص لله عز وجل.

كما حمى الملك عبد العزيز المملكة من أن يتسلل إليها شيء من عقائد الكفار من نصارى وشيوعيين وغيرهم، [2] حتى إن الملك عبد العزيز - رحمه الله- وقف وقفة صارمة ضد تيار الإلحاد والشيوعية، معلنا تمسك الدولة بالإسلام، ومحذرا من الانجراف في تيار الإلحاد حيث قال: " أحذركم من أمرين: الأول: الإلحاد في الدين والخروج عن الإسلام في هذه البلاد المقدسة، فوالله لا أتساهل في ومن هذا الأمر أبدا، ومن رأيت منه زيغا عن

(1) مغربي : محمد علي ، أعلام الحجاز ، ص 152 .

(2) الشثري : د . معمد ، الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 1/ 277 .

العقيدة الإسلامية فليس له من الجزاء إلا أشده، ومن العقوبة إلا أعظمها، الثاني: السفهاء الذين يسول لهم الشيطان بعض الأمور المخلة بأمن البلاد وراحتها " [1].

ثانيا: الأثر الفكري

حيث سلمت المملكة بفضل الله ثم بجهود علماء الدعوة السلفية التي جددها الملك عبد العزيز - رحمه الله- من أن يتسلل إليها شيء من الأفكار الهدامة والمبادئ المنحرفة التي بليت بها كثير من البلاد الإسلامية كالقومية والعلمانية والاشتراكية وغيرها (مما تخالف مناهج الإسلام وأنظمته) التي دعا إليها أعداء الإسلام وزرعوا بذورها بين أبناء المسلمين وجندوا في سبيل انتشارها الكثير من الوسائل الإعلامية وبخاصة الصحف السيارة- آنذاك- كالمقطم والهلال والمقتطف وغيرها [2] فانجرف في تيارها بعض أبناء المسلمين واغتروا بمظهر الحضارة الغربية المادية، ودعوا إلى الارتقاء في أحضان الغرب ومحاكاته، واعتبروا سبيل التقدم كامنا في السير على مناهج الغربيين وتقليدهم. ولكن الملك عبد العزيز بإيمانه الراسخ وفكره النير ونظره الثاقب أدرك فساد تلك الدعوى، وبخاصة أنها اقتصرت في تقليدها ومحاكاتها للغربيين على وجه حضارتهم الأسود، وهو ما يتعلق بجوانب السلوك والأخلاق، دون الاستفادة من عطاء الحضارة المعاصرة في جانبها المادي، وإلا فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، يقول- رحمه الله-: "يقولون إن المسلمين في تأخر وبحثوا ليجدوا طريقة لتقدم المسلمين فما وجدوا طريقة أمامهم إلا أن يقلدوا الأوربيين، ولكنهم لم يقلدوا الأوربيين فيما كان سببا لقوتهم ومنعتهم، بل قلدوهم فيما يخالف ما ينتسب إليه المسلم، وقلدوا ملاحدتهم في الإعراض عن دين الله، ثم هم بعد ذلك يدعون أنهم مسلمون وأنهم يدافعون عن الإسلام " [3].

---

(1) القابسي : محيي الدين ، المصحف والسيف ، ص 104 .

(2) محمود : علي عبد الحليم ، الغزو الفكري ، ص 182 .

(3) جريدة أم القرى ، العدد 333 الصادر في 13 ذي الحجة 1349 هـ نقلا عن الدعوة في عهد الملك عبد العزيز : الشثري .

ويقول- رحمه الله-: "قد مضى عشرات السنين على الذين يدعون الناس في السر والعلن بالقول والعمل لتقليد الأوربيين، ولكن من منهم عمل اليوم إبرة، أو صنع طيارة، أو اخترع بندقية، أو مدفعا، لقد قلدوهم فيما يخالف أمور دينهم، ويحسبون هذا طريق التقدم " [1].

وهكذا، كان الملك عبد العزيز - رحمه الله- سدا منيعا أمام هذه التيارات الوافدة الفاسدة، كما كان سياجا مانعا ضد الغزو الفكري بمختلف أشكاله، حاميا هذه البلاد من مخاطره وآفاته، محافظا على هويتهما الإسلامية، حيث تمكن العلماء والدعاة بتوجيه منه- رحمه الله- من تأليف الكتب في الردود على هذه التيارات وبيان زيفها وضلالها. يقول- رحمه الله- رافضا تيار العلمانية بدعاواها الزائفة وشعاراتها البراقة ومنكرا دعوتهم فيما يتعلق بتحرير المرأة: "وغير خافٍ أنه قد صار في آخر هذا الزمان دعوى للتمدن، وهي بلا شك رقصة من رقصات الشيطان.. وأقبح من ذلك في الأخلاق ما حصل من الفساد في أمر اختلاط النساء بدعوى تهذيبهن وترقيتهن وفتح المجال لهن في أعمال لم يخلقن لها حتى نبذن وظائفهن الأساسية... وادعاء أن ذلك من عمل التقدم والتمدن، فلا والله ليس هذا التمدن من شرفنا وعرفنا وعاداتنا " [2].

وفي الوقت نفسه اهتم الملك عبد العزيز بحماية مجتمعه- وبخاصة الشباب- من الانزلاق في مهاوي تلك التيارات، فأمر- رحمه الله- بوضع نظام الجمارك الذي يمنع بموجبه دخول الكتب والنشرات والتصاوير المخلة بالعقائد والأخلاق وغيرها [3]. فضلا عن اهتمامه - رحمه الله- بطباعة الكتب ونشرها مما تحمل العقيدة الصافية والفكر النير- كما سبق بيان ذلك-.

ثالثا: الأثر العلمي

(1) شرف : د ، عبد العزيز ومحمد إبراهيم شعبان : عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية ، ص 78 .

(2) القابسي : محيي الدين ، المصحف والسيف ، ص 232 .

(3) آل الشيخ : عبد العزيز ، جهود الملك عبد العزيز في خدمة العقيدة الإسلامية ، ص 130 .

فقد كان لعناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة آثار علمية كبيرة من خلال ما قام به هؤلاء الدعاة من التعليم والتثقيف والتوجيه والإرشاد سواء في المدن والقرى، حيث الكتاتيب منتشرة في هذه الأماكن في خضم توحيد المملكة، أو في الهجر، حيث عمد الملك عبد العزيز إلى سكانها فأزال عنهم ظلمات الجهل والأمية بنور العلم الشرعي الذي أضاءه العلماء والدعاة الذين استمروا في أداء رسالتهم العلمية والدعوية وفقا للمنهج السلفي الذي جدده الملك عبد العزيز - رحمه الله-.

فكان- رحمه الله- ذا عقلية فذة جعلته يولي التعليم "أهمية قصوى خاصة بعد أن بدأ في توطين البادية في الهجر. و لم يكن الأمر سهلا، بل كان في غاية الصعوبة، ليس فقط من حيث الحصول على المعلمين وتوفير المنهج التعليمي الصحيح ومكان الدراسة، ولكن- وهذا هو المهم- من حيث إيجاد الرغبة لدى سكان ألفوا حياة البادية للإقبال على الدراسة، لقد كان للقبيلة حياة خاصة لها مضامينها الاجتماعية ومنهجها، والمواصفات الطبقية لبروز أعضائها لم يكن التعليم من بينها " [1].

إلا أن الملك عبد العزيز بعزيمته الصادقة وفكره النير- بعد توفيق الله سبحانه وتعالى- استطاع أن يتغلب على هذه الصعويات، وأن يتحدى تلك المعوقات، حينما فكر في ربط البادية بالأرض ليستقروا أولا ثم ليتعلموا بعد ذلك، فكان مما قاله- رحمه الله-: "أما وإن القبائل البدوية هي سلسلة الدولة الفقرية وعمادها وسندها، فلا مناص من ربطها بالأرض ربطا محكما، وتحكيم صلاتها بها، ولا مناص من إرغام هؤلاء البدو على قبول التعليم " [2].

والذي يسترعي الانتباه في تاريخ تلك الحقبة الزمنية " أن الملك عبد العزيز - رحمه الله- كان يخوض إلى جانب معارك توحيد البلاد سياسيا وعسكريا معركة أخرى لا تقل أهمية، وهي معركة نشر العلم والثقافة والفكر، ويتجلى ذلك في نشر كتب مختارة من

(1) الحارثي : د . ساعد العرابي ، الملك عبد العزيز رؤية عالمية ، 377 .

(2) الزامل : عبد الله ، أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود ، ص 130 .

التراث الإسلامي ومن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة، وكان الملك عبد العزيز يهدف من وراء هذا العمل تصحيح بعض المفاهيم السائدة وإذاعة علوم السلف الصحيحة" [1].

حتى إذا ما تم ضم الحجاز إلى نجد بدأ التعليم المنظم بإنشاء مديرية المعارف في مكة سنة 1344 هـ والتي تحولت في عام 1373 هـ إلى وزارة مستقلة، وشهدت المملكة خلال تلك الفترة ميلاد صروح تعليمية كثيرة، حيث بلغ عدد المدارس المنتشرة في أنحاء المملكة في عام 1373 هـ (326) مدرسة يتلقى التعليم فيها (43734) طالبا، منها المعهد العلمي السعودي بمكة، والمعهد العلمي بالرياض، ودار التوحيد بالطائف [2] وبدأ التعليم الجامعي حين أمر الملك عبد العزيز بإنشاء كلية الشريعة في مكة المكرمة عام 1369هـ، وكلية المعلمين عام 1372 هـ، وأنشئت مدرسة لتحضير البعثات عام 1355 هـ بقصد إعداد مجموع من الطلاب لابتعاثهم إلى الخارج، وكان لهذه المدارس والمعاهد والكليات دور واضح في إيجاد طبقة مثقفة ثقافة واسعة أسهمت بشكل واضح في تطور المسيرة الثقافية والتعليمية.

وهكذا "استطاع الملك عبد العزيز - رحمه الله- من خلال تطلعاته الكبيرة أن يؤسس بناء وطن شامخ، فيضع هذا الوطن على طريقة المعرفة بالرغم من المصاعب الكثيرة والإمكانات القليلة، ولكن الإيمان الراسخ والإرادة القوية، والحزم في اتخاذ القرارات عوامل مهمة في تذليل الصعاب وقهر المتاعب، فكما حمل راية التوحيد فقد حمل كذلك مشعل المعرفة، فأضاء جوانب الجزيرة وجعل التعليم يتخطى حواجز المدن ويتجاوز أسوارها إلى الدراسات الجامعية والعليا داخل البلاد وخارجها في بعثات دراسية على حساب الدولة " [3].

(1) السماري : د . فهد وآخرون ، المزلفات النادرة عن المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية ، ص 171 .

(2) الزركلي : خير الدين ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، 2/ 522 .

(3) السالم : عبد العزيز بن عبد الله ، الحركة الفكرية والثقافية في بلادنا عبر مائة عام ، ص 49 .

رابعا: الأثر الأمني

فقد ظهر أثر عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة جليا واضحا في تحقيق الأمن والاستقرار في مجتمع الجزيرة، بعد أن كانت مسرحا للجريمة، وكان الأمن مفقودا في أجزائها، والناس تعمهم الفوضى والاضطراب، ويغلب عليهم التمزق والتفرق والانقسام، ويعج فيهم السلب والنهب وإزهاق الأرواح حتى قيض الله لهذه الجزيرة الملك المؤسس والإمام العادل الملك عبد العزيز - رحمه الله-، فبدأ مسيرة التوحيد لأقاليم المملكة على هدى الشريعة الإسلامية العادلة، وجعل تحقيق الأمن هاجسه الأكبر وراحة المواطنين خواطر نفسه، إذ يقول: "إني والله لا أقبل على بلادي ولا على بلاد المسلمين ما يضر بهم، وإني أرى الشايب منهم كأبي، والوسط كأخي، والصغير كابني، وهذا ما أعاهد الله عليه ثم أعاهدكم عليه، والحقيقة ظاهرة للعيان كالشمس... يعلم الله أن كل جارحة من جوارح الشعب تؤلمني، وكل شعرة منه يمسها أذى تؤذيني، وكذلك الشعب فإنه يتألم إذا أصابني أي شيء، ولكن المصلحة العامة تضطرني بأن أقضي على من لا يصغي للنصح والإرشاد، وأن أتجرع ألم ذلك حفظا لسلامة المجموع " [1].

فأيد- رحمه الله- قوله بفعله، حيث شرع يطبق أحكام هذه الشريعة الغراء تطبيقا كاملا عادلا عن طريق العلماء الأجلاء الذين كانوا يتولون زمام القضاة، مع السعي في الوقت نفسه إلى إصلاح الإنسان ذاته وتذكية الروح الإيمانية فيه وغرس الرقابة الإلهية في جوانحه عن طريق التوعية الدينية من قبل علماء الدعوة السلفية الذين رأوا مع الملك عبد العزيز أهمية هذه الجوانب في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع واستئصال نزعات الإجرام في بعض النفوس الشريرة التي ألفت العدوان نتيجة لغياب سلطان الشرع فاستساغت القتل والسلب والنهب دون وازع أو رادع، حتى أصبحت الجزيرة بفضل الله واحة وارفة بالأمن والاستقرار، رغم اتساع رقعتها وتعدد مناطقها، بشهادة الكثير من الباحثين وحتى من غير

(1) الحارثي : د . ساعد العرابي ، الملك عبد العزيز رؤية عالمية ، ص 268 - 291 . 106- الغلامي : عبد المنعم ، الملك الراشد ، ص 281 .

المسلمين [1].

ولا يزال الناس يذكرون كيف كان الأمن مختلا في الجزيرة قبل العهد السعودي، فالحجاز مثلا مضرب الأمثال في كثرة الجرائم وشناعة الإجرام.

فقد كان المسافر فيه كالمقيم لا يأمن على ماله ولا على نفسه في بدو أو حضر، في نهار أو ليل، وكانت الدولة ترسل مع رعاياها من الحجاج قوات مسلحة لتأمين سلامتهم ورد الاعتداء عنهم، حتى طبقت الشريعة الإسلامية على يد المغفور له الملك عبد العزيز، فانقلبت الحال بين يوم وليلة، وساد الأمن البلاد وانتشرت الطمأنينة والاستقرار بين المقيمين والمسافرين، وانتهى عهد الخطف والنهب والسلب وقطع الطريق، وأصبحت الجرائم التي كانت ترتكب في عهد الأشراف أخبارا تروى فلا يكاد يصدقها من لم يعاصرها أو يشهدها، فبعد أن كان الناس يسمعون أشنع الأخبار عن الإجرام في الحجاز، أصبحوا يسمعون أعجب الأخبار عن استتباب الأمن واستقرار النظام، فهذا يفقد كيس نقوده في الطريق العام فلا يكاد يذهب إلى دار الشرطة ليبلغ حتى يجد كيسه، كما فقد منه معروضا للتعريف عليه [2].

وكان هذا بفضل الله ثم بتطبيق حدود الشريعة بعدل وحزم دون تردد أو تهاون، فقد حدث ذات مرة في عهد الملك عبد العزيز أن ثلاثة أشخاص من أُسَر لها وزنها ومكانتها في البلاد اشتركوا في قتل صديق لهم عمدا مع الترصد وسبق الإصرار فأحيلوا إلى المحكمة الشرعية الكبرى، فأصدرت حكمها بإعدامهم؟ لثبوت قتلهم المجني عليه بالوجه الشرعي، فتدخل أعيان البلاد ووجهاؤها لإنقاذ حياتهم، والتمسوا من الملك تأجيل تنفيذ حكم الإعدام فيهم لمدة أسبوع واحد، حتى يتسنى لهم بذل الجهود والتوسط لدى أولياء المقتول في سبيل الحصول على تنازلهم عن حقهم الشخصي، مقابل أي مبلغ من المال يطلبونه، فما كان منه- رحمه الله- إلا أن أمر بسرعة تنفيذ حكم الإعدام في القتلة الثلاثة، ونفذ فيهم

(1) العودة : عبد القادر ، الشريع الجنائي الإسلامي 1/ 653 .

(2) الميمان : جميل ، القصاص في الإسلام ، ص 23 .

الحكم ضربا بالسيف، وعلقوا في موضع بارز على واجهة مقر الأمن العام، المواجه للحرم المكي الشريف لمدة ست ساعات، و لم يأبه بمكانة أهل الجناة، ولا بمنزلة أعيان ووجهاء البلاد الذين توسطوا في تأجيل تنفيذ عقوبة الإعدام في وقت كان أحوج ما يكون إليهم فيه، وكأن كل ما قاله لهم { ¨ósm ÆÉ$ÁÉ¿ÈÍ'îÍ¿ÍÍr } [1] وقد كان لتنفيذ حكم الإعدام في هؤلاء القتلة أعمق الأثر في استتباب الأمن بصورة أكثر فاعلية ولأن المواطنين في الحجاز في التاريخ المعاصر لم يشهدوا تنفيذ حكم إعدام ثلاثة أشخاص مقابل قتلهم شخصا واحدا، وبالسرعة التي انتهت فيها مراحل القضية من تحقيق وحكم شرعي، وتنفيذ حيث لم يكن قد مضى على اكتشاف الحادث وتنفيذ الحكم سوى ثلاثة أيام " [2].

فلم يأبه- رحمه الله- بأي شخص مهما كان مركزه أو ماله أو جاهه أو صفاته و لم يسمح بتمييز شخص عن آخر أمام حدود الله و لم يكن يهدف من وراء هذا الحزم في تطبيق حدود الله سوى تطهير هذه النفوس التي ألفت العدوان والإجرام فاستساغت القتل والسلب والنهب.

و"من هنا يكاد يجمع الكتاب [3] في مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم وتفاوت مشاربهم وتباين منازعهم على أن الأمن والاستقرار اللذين نعمت بهما المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله- واللذين أصبحا مضرب الأمثال في جميع الأوساط الدولية كانا نتيجة لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وتنفيذ أوامر الشرع الحنيف. ولا أدل على ذلك (من شهادة المؤتمر الثاني والثمانين لرؤساء الشرطة في العالم، والذي قد بمدينة ميامي في ولاية فلوريدا بأن المملكة العربية السعودية هي أقل دول

(1) سورة البقرة آية : 179 .

(2) الحارثي : د . سعاد العرابي ، الملك عبد العزيز رؤية عالمية ، ص 268- 290 . 110- التركي : د . عبد الله ، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام ، ص 93 .

(3) المارك : من شيم الملك عبد العزيز 2/ 194 .

العالم جريمة وأكثرها أمنا " [1].

خامسا: الأثر الاجتماعي

ويتمثل في تحقيق مبدأ الأخوة الإسلامية، حيث استطاع الملك عبد العزيز بما منحه الله من حكمة وفطنة وحب للخير ونصرة للدعوة السلفية أن يقضي على النزعات القبلية وما بينها من صراع وقتال، وكراهية واعتداء، وظلم وحقد، يقول فهد المبارك: " إن من يعرف العهد الماضي الذي عاشه أولئك البدو، كيف كانت عليه حياتهم الاجتماعية التي موجز ما يقال عنها، أنها قامت على التعصب القبلي الجاهلي الأعمى، وافتراس قويهم لضعيفهم، واستباحة ما يقع بأيديهم عن طريق ما يعرف بالغزو، أو بالحنشلة، أو الحيافة " [2].

فاستطاع الملك عبد العزيز - رحمه الله- بفضل الله ثم بجهود علماء الدعوة أن يؤاخي بين هذه القبائل المتناحرة المتصارعة، وأن يزيل عنها دعاوي الجاهلية حتى صار الواحد منهم بعد التزامه بالدين لا يقول أنا من قبيلة فلان، بل يقول أنا من الإخوان، وأصبح شعارهم (أنا أخو من أطاع الله) بل إنهم ينكرون على من يفتخر بقبيلته ويقولون هذا من دعوى الجاهلية ويؤدبون فاعله، وكان الرجل يلقى قاتل أبيه وأخيه فيقول: الإسلام يَجُبّ ما قبله، وتمكن الملك عبد العزيز - رحمه الله- بما له من سطوة دينية بمساعدة العلماء من استئصال ما في هذه الجزيرة من عصبيات وتعصبات، وجمع الدين الحنيف بين الغايات والمنافع والأفكار وانشغل الناس عن هذه العصبيات بنشر الدعوة وأعمال الإعمار والإنشاء [3].

وكما تمكن الملك عبد العزيز - رحمه الله- من تحقيق مبدأ الأخوة الإسلامية بين أفراد رعيته، فقد استطاع أن يوطد أواصر المودة والمحبة بينه وبين رعيته، حيث حرص- رحمه

(1) الشثري : د . محمد ، الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 1/ 147 - 148 .
(2) الحقيل : عبد الله ، توحيد الملك العربية السعودية ، ص 124 .
(3) المرجع السابق ، ص 122 .

الله- على رفع الحجب بينه وبينهم، فنهج سياسة الباب المفتوح لكونها أيسر السبل للتعرف على هموم المواطنين وحوائجهم، وحل ما يعرض لهم من مشكلات وأزمات، يقول- رحمه الله- مؤكدا التزامه بهذا المنهج في كلمته التي وجهها إلي الناس بمناسبة انتهاء موسم الحج عام 1355 هـ: "المقصد من اجتماعنا الليلة أن نتناصح ونتعاهد، ويطلع كل منا على ما عند الآخر.. أنا لا أحب أن أشق على الناس ولكن الواجب يقضي بأن أصارحكم بأننا في أشد الحاجة إلى الاجتماع والاتصال بكم لتكونوا على علم تام بما عندنا، ونكون على علم تام بما عندكم، وأود أن يكون هذا الاتصال مباشرة وفي مجلسي لتحملوا إلينا مطالب شعبنا ورغباته، وتحملوا إلى الشعب أعمالنا ونوايانا، إني أود أن يكون اتصالي بالشعب وثيقا دائما؛ لأن هذا أدعى لتنفيذ رغبات الشعب، لذلك سيكون مجلسي مفتوحا لحضور من يريد الحضور) [1].

وقد كان لهذا النهج الذي صار عليه الملك عبد العزيز ومن بعده أبناؤه البررة الأثر الكبير فيما تعيشه المملكة من تطور كبير قائم على روح التعاون والتفاهم والتلاحم بين الدولة والمواطنين [2].

سادسا: الأثر الاقتصادي

وذلك أن مشروع توطين البادية- في بداية أمره- كاد أن يتسبب في انتشار البطالة بين أهل الهجر إثر بيعهم لمواشيهم وتفرغهم للعبادة، وانصرافهم عن أعمال الرعي ونتائجه الاقتصادية، مما دعا الملك عبد العزيز إلى استشارة العلماء في هذا الوضع المؤلم، فأشاروا عليه بِحَثِّ أهل الهجر على العمل والكسب، وتزويد الدعاة والمرشدين بكتب التاريخ وأخبار السلف الصالح التي تدل على قيامهم بالأعمال التجارية والزراعية وغيرها.

فقام هؤلاء الدعاة بنشر هذه الأفكار، وإبراز المنهج الإسلامي في الترغيب نحو العمل الاقتصادي والحث عليه، وضرب الأمثلة من صحابة رسول الله r ممن عملوا في المجال

(1) الريحاني : أمين ، تاريخ نجد الحديث ، ص 262 . - الشثري : الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 1/ 397 .
(2) كشك : محمد جلال ، السعوديون والحل الإسلامي ، ص 48 .

الاقتصادي كأبي بكر t وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة- رضوان الله عليهم أجمعين- الذين سجل لهم التاريخ أعمالهم التجارية وإنفاقهم الخيري في سبيل الله.

وقد أفلح هؤلاء الدعاة في ترغيب أهل الهجر للعمل في مختلف المجالات الاقتصادية دون أن تضعف فيهم روح الجهاد وحب الاستشهاد [1].

سابعا: الأثر السياسي

بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بتمسك الملك عبد العزيز بالعقيدة الإسلامية وعنايته بالدعوة إلى الله U وجهود علماء الدعوة المخلصين، استطاع- رحمه الله- أن يحمي المملكة من الاستعمار الأجنبي الذي بليت به البلاد الإسلامية، وعاشت الويلات من جرائه، لإدراكه- رحمه الله- بخطورة الاستعمار في محاربة الإسلام، وتجهيل المسلمين بدينهم، والسيطرة على مكتسباتهم وثرواتهم بأساليب عديدة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

ولكن الملك عبد العزيز - رحمه الله- فطن إلى هذه الأساليب الاستعمارية ووعاها، فحمى البلاد من مكرهم وصانها من عبث مخططاتهم وتألم لواقع إخوانه في المجتمعات العربية والإسلامية التي هيمنت عليها القوى الاستعمارية، فقال- رحمه الله-: "العرب هم الضحية والجاني على نفسه بجهله، فإذا وعى العربي مصالحه، وإذا تعلم يدافع عن هذه المصالح، ويسد الثغرات التي ينفذ منها الاستعمار، أما الإنكليز فهو الاستعمار المغتصب الظالم " [2].

وهكذا بقيت المملكة بفضل الله دولة مستقلة لم ترضخ لنير الاستعمار في يوم من الأيام، وستبقى لها الاستقلالية دوما وأبدا بإذن الله، نسأل الله أن يحفظها بحفظه، ويكلأها بعنايته، في ظل رعاية قيادتها الحكيمة.

---

(1) انظر : البخاري مع الفتح 13/ 35 .

(2) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ، 1/ 365 مادة : (رجع) .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وأشرف الدعاة نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمن خلال الاستعراض الموجز لهذا البحث المختصر حول عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة وآثارها يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1- أن عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة جاءت انطلاقا من شعوره الإيماني ورسالته الإسلامية وأهدافه السامية لرفع راية التوحيد خفاقة عالية، كما جاءت امتدادا صادقا للنهج القويم الذي سلكه سلف هذه الدولة من آبائه وأجداده بدءا من الإمام محمد بن سعود - رحمه الله- الذي آزر الدعوة الإصلاحية في نجد وساندها بصدق وإخلاص.

2- أن مظاهر عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة لها وجهان مشرقان داخلي وخارجي، فعلى الصعيد الداخلي ظهر حرص الملك عبد العزيز - رحمه الله- في وضع البناء الدعوي والاهتمام بشمولية الدعوة لمختلف سكان الجزيرة من بادية وحاضرة، مع تكامل مختلف المؤسسات الدينية في إنجاز الجهود الدعوية، فضلا عن الإجلال والاحترام لعلماء الدعوة ودعاتها.

أما على الصعيد الخارجي فإنه انطلاقا من عالمية الرسالة المحمدية وإيمانا بوظيفة الدولة المسلمة في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عنها أدرك الملك عبد العزيز أهمية تبليغ هذه الرسالة وسعى في نشرها خارج حدود مملكته مستخدما في ذلك شتى الوسائل والسبل أملا في جمع الأمة تحت مظلة الأخوة الإسلامية وتنقية عقيدتهم وتصحيحها.

3- أن عناية الملك عبد العزيز بالدعوة برزت من خلال الاستفادة من كافة الوسائل الفاعلة في تبليغ الدعوة إلى الله وتبصير الناس بشكل نافع مثمر، حيث اهتم - رحمه الله - بطباعة الكتب ونشرها، كما أولى الجانب التعليمي اهتماما خاصا انطلاقا من أهميته في بناء شخصية الفرد والمجتمع، واعتباره ضرورة من ضرورات الحياة، وأساسا للتقدم والبناء، كما عني بالبلاغ والتوجيه عناية بالغة، فاهتم بإنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، وتعيين القضاة والمفتين وأئمة المساجد، فضلا عن الإفادة من الوسائل الإعلامية المتاحة وتسخيرها لخدمة الدعوة الإسلامية لما لها من أهمية بالغة في تكوين الاتجاهات والمعتقدات والتأثير في نفوس الناس.

4- أن آثار عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة ظهرت جلية واضحة في مختلف الجوانب، من حيث نشر العقيدة السلفية الصحيحة وتنقية عقائد الناس من أدران الشرك والوثنية، وحماية المملكة من أن يتسلل إليها شيء من الأفكار الهدامة والمبادئ المنحرفة، فضلا عن الاهتمام بالتعليم وظهور الصروح التعليمية الكثيرة، وتحقيق مبدأ الأخوة الإسلامية، وتوطيد الأمن والاستقرار في كافة ربوع المملكة.

وفي الختام أسأل الله U أن يتغمد الملك عبد العزيز بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته، ويجزيه على جهوده خير الجزاء، كما أسأله سبحانه أن يرزقنا السداد في القول والعمل وأن يجنبنا الخطأ والزلل، وأن يديم على بلادنا أمنها واستقرارها، وأن يوفق قادتها إلى المضي في تطبيق شريعة الإسلام، والاستمرار في نشر الدعوة إليه، وأن يجزيهم خير الجزاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين.

ثبت المصادر والمراجع

(مرتبة حسب الحروف الهجائية)

1- أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في الجزيرة العربية وغيرها: محمد الفقي، 1354 هـ القاهرة.

2- أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود، عبد الله العلي الزامل، ط 8، 1392 هـ. المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت.

3- الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز: د. عبد الفتاح حسن أبو علية، ط 1406 هـ، دار المريخ، الرياض.

4- الأمن في عهد الملك عبد العزيز: حسن قزاز، من بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1406 هـ.

5- الأمن في عهد الملك عبد العزيز - تطوره وآثاره (1319 هـ - 1373 هـ): د. إبراهيم بن عويض الثعلي العتيبي، ط 1، 1417 هـ. مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض.

6- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، 1417 هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

7- الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية: عبد الله عبد المجيد بغدادي، ط 3، 1406 هـ دار الشروق، جدة.

8- بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1403 هـ.

9- تاريخ البلاد العربية السعودية، الجزء الأول: الدولة السعودية الأولى، القسم الأول: سيرة محمد بن عبد الوهاب ودعوته وسيرة محمد بن سعود وحروبه: منير العجلاني، ط 2، 1413 هـ. دار الشبل، الرياض. 10- تاريخ المملكة العربية السعودية: د. عبد الله الصالح العثيمين، ط 2، 1417 هـ، مكتبة العبيكان.

11- تاريخ نجد وملحقاته: أمين الريحاني، ط 5، 1981، الرياض.

12- التشريع الجنائي الإسلامي: عبد القادر عودة، مؤسسة الرسالة، ط 11، 1412 هـ، بيروت.

13- التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية (من عام 1351-1408 هـ): د. طامي بن هديف معيض البقمي، ط 1، 1415 هـ.

14- التعليم الأهلي عن مسيرة التعليم في المملكة العربية السعودية (أنموذج مدارس الرياض للبنين والبنات): د. نور الدين محمد عبد الجواد، د. مصطفى محمد متولي، مراجعة د. إبراهيم محمد العواجي، ط 1، 1416 هـ، مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض.

15- التعليم الحكومي المنظم في عهد الملك عبد العزيز: عبد اللطيف بن عبد الله الدهيش، ط 1، 1987 م، مكتبة الطالب الجامعي، مكة.

16- توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية: عبد الله بن حمد الحقيل، ط 1، 1418 هـ. مطبعة العبيكان، الرياض.

17- توحيد المملكة العربية السعودية: محمد المانع، ط 1، 1402 هـ، مطابع المطوع، الدمام.

18- الثورة الوهابية: عبد الله القصيمي، ط 1، 1354 هـ، مطبعة الرحمانية، مصر.

19- جهود الملك عبد العزيز في خدمة العقيدة: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، من بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406 هـ.

20- الحركة الفكرية والثقافية في بلادنا عبر مائة عام: عبد العزيز بن عبد الله السالم، من بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، 1419 هـ.

21- الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب: د. علي بن

حسن بن علي القرني، ط 1، 1415 هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

22- الدرر السنية في الأجوبة النجدية: عبد الرحمن بن قاسم، ط 2، 1385 هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

23- الدعوة في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله -: د. محمد بن ناصر الشثري، ط 1، 1417 هـ.

24- الدولة السعودية الأولى: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ط 3، 1979 م، دار الكتاب الجامعي، القاهرة.

25- رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: محمد بن عبد الله السلمان، ط 1، 1409 هـ، مكتبة المعلا، الكويت.

26- السعوديون والحل الإسلامي: محمد جلال كشك، ط 1، 1404 هـ، المطبعة الفنية، القاهرة.

27- سلطان نجد والحجاز وملك المملكة العربية السعودية وأنجاله في صحافة عصره: اختيار وترتيب: عبد المحسن بن صالح اليوسف، ط 1، 1413 هـ.

28- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز: خير الدين الزركلي، ط 3، 1985 م، دار العلم للملايين، بيروت.

29- الشيخ محمد بن عبد الوهاب - حياته وفكره: د. عبد الله الصالح العثيمين، 1993 م، دار العلوم، الرياض.

30- عبد العزيز آل سعود، العبقرية في التحرير والتوحيد والتحضير: عمر أبو زلام، ط 1، 1405 هـ، دار الرأي العام التجارية، الكويت.

31- عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية: د. عبد العزيز شرف، ومحمد إبراهيم شعبان، ط 1، 1403 هـ، دار المعارف مصر.

32- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، وأثرها في العالم الإسلامي: صالح بن عبد الله بن الرحمن العبود، ط 1، 1408 هـ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

33- علماء نجد خلال ستة قرون: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، ط 1، 1398 هـ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

34- عنوان المجد في تاريخ نجد: عثمان بن عبد الله بن بشر، ط وزارة المعارف 1391 هـ، الرياض.

35- القصاص في الإسلام وأثره في استتباب الأمن واستقراره في المملكة العربية السعودية: جميل الميمان، معهد الدراسات العليا لضباط الشرطة بمصر 1975.

36- ماضي الحجاز وحاضره: حسين بن محمد نصيف، ط: دار الفتح، 1349هـ، مصر.

37- المصحف والسيف "مجموعة من خطابات وكلمات وأحاديث ومذكرات المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية ": جمع وإعداد: محيي الدين القابسي، ط 3، دار الناصر.

38- الملك الراشد، جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود: عبد المنعم الغلامي، ط 2، 1400هـ، دار اللواء، المملكة العربية السعودية، الرياض.

39- الملك عبد العزيز، رؤية عالمية: د. ساعد العرابي الحارثي، ط 2، 1416 هـ، دار القمم للإعلام.

40 - الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية، المنهج القويم في الفكر والعمل: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، من بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406 هـ.

41- الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة: د. سعود بن سعد الدريب، ط 1، 1408 هـ، دار المطبوعات الحديثة، المملكة العربية السعودية، جدة.

42- المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات المسلمة في العالم: د. عبد المحسن بن سعد الداود، 1413 هـ، الهيئة العربية للكتاب، الرياض.

43- من حياة الملك عبد العزيز: عبد العزيز بن محمد الأحيدب، ط 2، 1404

هـ.

44- من شيم الملك عبد العزيز: فهد المارك، ط 1، 1398 هـ.

45- المؤلفات النادرة عن المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية: د. فهد السماري وآخرون.

46- نظام الحسبة في الإسلام: عبد العزير المرشد، ط 1.

47- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز: خير الدين الزركلي، ط 3، 1977 م، دار العلم للملايين بيروت.

تحقيق الملك عبد العزيز - رحمه الله -
مرجعية الدعوة

إعداد

معالي الدكتور: صلاح بن عبد الله العبود

مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، خاتم الأنبياء والرسل، لا نبي بعده ولا رسول، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا بحث بعنوان (تحقيق الملك عبد العزيز - رحمه الله - مرجعية الدعوة)، قدم لندوة الدعوة في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله -، التي عقدتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، في الرياض 1 - 24 صفر 1420 هـ. بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.

وتحقيق الملك عبد العزيز - رحمه الله - مرجعية الدعوة إلى الله تعالى، تم بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله r عند الاختلاف دائما، لا إيجادها، لأن المرجع كتاب الله وسنة رسوله r وهما موجودان لمن ابتغاهما وابتغى تحقيقهما في حياته وقوله وعمله.

لقد كان تحقيق الملك عبد العزيز مرجعية الدعوة إلى الله تعالى، بالرجوع إلى الكتاب والسنة في نفسه رحمه الله أولا، وفي تأسيسه المملكة العربية السعودية، حتى جعله الله إماما للجماعة، ومرجعا للدعوة والدعاة إلى الله على بصيرة، وصارت المملكة كذلك.

لقد أدرك الملك عبد العزيز - رحمه الله - أنه لا بد للدعوة والبناء والعمران الإسلامي من تحقيق المراد الشرعي بالجماعة، أدرك ذلك بما أعطاه الله من تاريخه المجيد في السيادة، وحسن السياسة وتدبير الملك والرعية، وجودة الرأي والفكر، وبكونه بصيرا بالإسلام مقتنعا بصحة الدعوة السلفية إليه، وقيام آبائه وأجداده بنصره، فأدرك حاجة الأمة إلى تحقيق المرجعية الثابتة للدعوة إلى الله تعالى، بإقامة المراد الشرعي من الجماعة، بتأسيس المملكة العربية السعودية.

ولقد مرت مائة عام على عود الله بعائدته الجميلة علي أهل التوحيد والسنة والجماعة، فأضاء التاريخ السعودي بالملك عبد العزيز، تاريخ العلم والإيمان، والعدل والأمان، تاريخ النور والتوحيد، بعد انطفاء حلت معه ظلمات الجهل والفرقة، والشرك والبدعة، فعاد الله بعائدته الكريمة على أهل الإسلام في أرض الحرمين وما جاورهما، باسترداد عبد العزيز عام 1319 هـ رياض التوحيد، أرضه وأرض آبائه وأجداده، أنصار توحيد الله U وإفراده بالعبادة، فقام لله تعالى إماما حنيفا، وللدين سلطانا نصيرا، وللمسلمين قدوة وعزا، يسير على منهج سلفه الصالح من أهل السنة والجماعة في العمل على توحيد كلمة المسلمين، وتوثيق تضامنهم وتعاونهم على البر والتقوى، والأخذ بأسباب حياتهم السعيدة، ومصالحهم الأكيدة في الدنيا والدين، ومع المحافظة على صفاء العقيدة الإسلامية، وتنقيتها من شوائب الشرك والبدع والخرافة والوهم، وسائر المعوقات الجاهلية وأسباب الفرقة، حتى وصل بالمملكة العربية السعودية إلى هذا المنهج القويم، والصراط المستقيم، إلى مرسى الأمن والإيمان، ومعقل السمع والطاعة، ومأرز السنة والجماعة، فلله الحمد والمنة.

إنها لنعمة من الله تعالى عظمى، تستوجب الحمد لله تعالى والشكر، والتأمل الطويل لتذكير أجيالنا الناشئة واللاحقة بأسباب هذه النعمة العظمى، ليستديموها بعدم التفريط بأسبابها، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

ولعل في هذا البحث إسهام في هذا المضمار.

وقد نشأ جيل جديد وجد نفسه في نعمة هذه الوحدة والجماعة، و لم يكن قد عرف ضدها، وأخشى أن يلهو ويغتر، وينسى سبب نعمته، فتنتقض عليه عروتها الوثقى، وتنقطع به أسباب أمنه وهدايته، وتحل عليه بديلاتها من عوامل الفرقة والخوف، وأسباب الرعب والدمار، ومروجات الكذب، وتكذيب الحق والشر، مما يغزوه به الشياطين عبر الأقمار الصناعية وغيرها من عقائد الكفار وأفكارهم وأخلاقهم.

وفضلا عن غزو المفهوم الخاطئ للمرجعية عند الرافضة من أنها الأخذ عن الإمام المعصوم، بناء على اعتقادهم الفاسد العصمة لأئمتهم، وأن العصر لا يخلو من الإمام

المعصوم وإن كان غائبا، فمن لم يأخذ عنه ويرجع إليه فلا ثقة له بدينه، وهذا اعتقاد باطل فالعصمة ليست لأحد غير الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولن تجتمع أمة محمد r على ضلالة، وما نقله العدل الضابط وإن لم يكن معصوما عن مثله متصلين إلى الرسول r أو ما قرره أهل السنة والجماعة من الدين، فهو حجة.

وبالإضافة إلى ذلك قد بلينا في هذا الزمن على الخصوص بغزو ماكر بمناهج دعوية، تتزين بلباس الدعوة الإسلامية على منهج أهل السنة والجماعة، وهي دخيلة عليها؛ لأنها تخلط الحق بالباطل، والسنة بالبدعة، وتستمرئ عداوة أهل التوحيد وأنصاره، وموالاة أهل الشرك وأعوانه، ومن ذلك أنها تدعو إلى اعتقاد أنه ليس للدعوة الإسلامية السنية ولا لدعاتها اليوم مرجعية، أي ليس لهم جماعة وإمام ذات ولاية وبيعة شرعية، تكون مرجعا يسندهم، ويفصل في النزاع بينهم، ويستمدون منه الحماية والتوجيه، ويبنون ذلك المعتقد الفاسد على ما يؤصلونه من الباطل في مفهوم الجماعة من أنها تطلق في النصوص الشرعية على: " التي اتفقت الآراء فيها على إمام واحد بعقد بيعة،... "، قالوا: " فهذه هي التي يحرم الخروج عليها، وهي التي قال الرسول r فيها لحذيفة t { تلزم جماعة المسلمين وإمامهم } [1] إلخ.

ويترتب على هذا التأصيل المخترع اعتقاد فاسد، وعمل باطل خطير، خلاصته أن الجماعة غير موجودة الآن؛ لأن الآراء منذ قرون عديدة لم تتفق على إمام واحد بعقد بيعة، وعلى هذا قالوا: " إنه يجب على المسلمين السعي لإيجاد هذه الجماعة، وتنصيب الإمام المتفق على بيعته؛ إذ إن تنصيب الإمام الذي هو رأس بناء الجماعة أمر مجمع على وجوبه ".

أي وفي سبيل ذلك الواجب لا يحرم الخروج على حكومة المملكة العربية السعودية؛ لأن الآراء لم تتفق كلها على إمامها بعقد بيعة.

---

(1) البخاري المناقب (3411) ، مسلم الإمارة (1847) ، ابن ماجه الفتن (3979) .

ولكن هذا خطأ وضلال، فقد أخبر الرسول r بأن هذه الأمة الإسلامية ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، واحدة منها هي الجماعة، فدل ذلك على أن الافتراق واقع لا محالة، كما دل على استمرار وجود الجماعة مع وقوع الافتراق، ووجود وحدة المملكة العربية السعودية وإمامها هو وجود الجماعة التي هي على الحق قائمة ظاهرة منصورة - ولله الحمد والمنة -، فلا يجوز الخروج عليها، ولا منازعتها في سلطانها، ولا تفريق جماعتها؛ لأن ذلك بغي وظلم، بل مروق من الدين، والعياذ بالله.

ويترتب أيضا على ذلك التأصيل المخترع الباطل ما تسميه بعض الجمعيات الدعوية ضابطا لشرعية عمل أي جماعة دنيوية أخرى، وهو أن يكون عملهم " مما يؤيد الإمام العام، ويكون عونًا له في الواجبات التي ألقاها الله على عاتقه من إقامة شرع الله في الأرض، والجهاد في سبيله ".

ولكن هذا الإمام العام غير موجود إلا في الذهن، ولا ينبغي أن يشتبه علينا وجود الذهن بوجود العين، فنظنهما واحدا، إذ وجود الذهن لا حقيقة له فيما خرج عن الذهن، كوجود الإمام العام، فإنما وجوده في الذهن فقط أمنية نسأل الله تعالى تحقيقها، لكن لا يصح تحقيقها بأن يكون عمل جمعية الدعوة إلى الله تعالى لتأييد إمام معدوم العين، وتعتقد أن الله تعالى ألقى على عاتق هذا المعدوم واجبات من إقامة شرع الله في الأرض، والجهاد في سبيله، فالله تعالى لا يلقي واجبا على عاتق معدوم، فكيف نعتقد ذلك ونعمل له؟!

هذا هو ما تعمله الرافضة، وتعتقده في الإمام المعصوم على حد زعمهم تماما، وذلك عقيدة فاسدة، وعمل باطل.

وإنما يصح تحقيق تلك الأمنية عن طريق العمل الصالح، المبني على العقيدة الصحيحة المطابقة للواقع، بتأييد إمام موجود وجود عين، وإن لم يكن عاما فسيكون عاما بسلوك هذا الطريق، كما لو تم ذلك بتأييد ولي الأمر في المملكة العربية السعودية، الإمام السعودي، وإعانته على الواجبات التي ألقاها الله على عاتقه من إقامة شرع الله، وحج بيت الله الحرام، والجهاد في سبيله.

ومن ذلك التأصيل الباطل اعتقاد بعض الناس أننا في زمان الواجب فيه الاعتزال، وأخذا من قوله في حديث حذيفة قال: قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال r { فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك [1] }

فأحب أن أنبه بهذا البحث على أن ذلك لم يأت زمنه بعد، ولا يعلم متى يأتي زمانه إلا الله تعالى، ولكنه من المعلوم قطعا أن زماننا هذا لا ينطبق عليه حكم الاعتزال، كما يروجه الدعاة الضلال؛ لأن المسلمين اليوم في المملكة العربية السعودية لهم جماعة وإمام، فالمملكة ترفع راية التوحيد، ولا يعبد تحت تلك الراية وداخل سلطانها إلا الله وحده لا شريك له، ويحكم أهلها بشريعة الله، ولا تستحل فيها الحرمات والمحرمات، ولا تزال قائمة على هذا بالحق، ظاهرة منصورة - ولله الحمد والمنة -، لا يجوز لمسلم أن يدعو أحدا من رعاياها إلى اعتزالها بشبهة أننا في زمان ليس فيه للمسلمين جماعة ولا إمام.

(1) انظر : البخاري مع الفتح 13/ 35 .

خطة البحث

يتألف هذا البحث من هذه المقدمة المشتملة على الاستفتاح بالخطبة، والباعث له، ومن بابين: هما:

- الباب الأول: تمهيدي في المرجعية، وتحته فصلان:

- الفصل الأول: في أن الجماعة هي المراد بالمرجعية.

- الفصل الثاني: في المراد الشرعي بالجماعة.

- الباب الثاني: في تحقيق الملك عبد العزيز مرجعية الدعوة إلى الله تعالى، وتحته مقدمة وفصول ثلاثة هي:

- الفصل الأول: فضل الله تعالى وتوفيقه في تحقيق مفهوم الجماعة المراد شرعا مرجعية للدعوة.

- الفصل الثاني: الحاجة إلى تحقيق مفهوم الجماعة المراد شرعا مرجعية للدعوة.

- الفصل الثالث: الاستجابة للحاجة في تحقيق مفهوم الجماعة المراد شرعا مرجعية للدعوة.

- الخاتمة:

في النتيجة والخلاصة والتوصية أو الاقتراح.

الباب الأول

تمهيد في المرجعية

وتحته فصلان:

الفصل الأول: في المرجعية والمراد بها

المبحث الأول المرجعية

المرجعية: مصدر صناعي، كالقومية.

قال الله تعالى: { ÇÌÈ ßëô_¹%$ 7îí 4<î bî } [1] (العلق: 8)، والرجعى: مصدر، على فعلى، أي الرجوع والمرجع [2].

والله تعالى بعث رسوله بالوحي إلى الناس كافة، ينذرهم من الشرك ووسائله وأسبابه، ويحذرهم من البدعة والفرقة، والمشاقة والتنازع، ويدعوهم إلى التوحيد وتحقيقه، والتمسك بالكتاب، واتباع السنة، والسمع والطاعة، ولزوم الجماعة، والاعتصام بحبل الله، فلا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، ثم توفاه الله إليه، وأبقى دينه، وافترض طاعته على الجن والإنس إلى يوم القيامة، وأوجب عليهم عند التنازع الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله، قال الله تعالى: { íDF$'íré AqÏ%$$fqã‹Ûr ©$fqã‹Ûr ßpB#ä ûï¼$$Ïƒ

žöz 7ÏºE ÌÅ¡y$Ïo‹ø« $ bqäBse¤ä bÎ) AqÏ%$$ «$'ÎÏ qrŠêù øÍ« 'Îtéã“»Z? bÎù ÖäZÏB

ÇÎÈ xƒíÜ? ß¡ôn&r } [3] (النساء: 59).

ففي هذه الآية الكريمة وغيرها من نصوص الشرع المطهر تقرير أن المرجع لجميع الأمة المستجيبة للرسول r بما فيهم أصحاب الدعوة إلى الله تعالى، هو طاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر، والرد إلى كتاب الله وسنة رسوله عند الاختلاف والتنازع، وهذا لا يتم إلا

---

(1) سورة العلق آية : 8 .

(2) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري 1/ 365 . مادة (رجع) .

(3) سورة النساء آية : 59 .

بإمام يحقق ذلك.

ومن المعلوم أنه مهما تحقق للداعي من صحة الدعوة إلى الله تعالى وسلامتها، وإخلاص الداعي وبصيرته، لا بد له من تحقق مرجعية قوية في الواقع تحمي الدعوة، وتحافظ على مكتسباتها، وتسند الدعاة إلى الله على بصيرة وتؤيدهم، وتفصل في النزاع الذي لا بد من حصوله فيما بينهم، وإلا ضاعت الجهود وفشلت الدعوة، وتفرق الدعاة.

فعلى هذا لا بد للدعوة من مرجع، أمير مطاع، وليس من شرطه أن يكون معصوما في كل ما يفعل ويقول، فالعصمة ليست لأحد غير الرسول r لأنه كما قدمنا: " لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة ".

فلا بد من أمير مطاع يزع الله به الناس جميعا، يكون بمثابة المرجع للجميع، يجد فيه المحق حماية وتأييدا وتشجيعا، وضمانا لحقه وحفظا لجهوده، كما يجد المبطل فيه رادعا قويا يمنعه من الفوضوية والتعدي، وتخريب الدعوة وحياة مجتمعها وأمنها، قال تعالى: { ŸwöqÐ9r ’?ã @ÆÕù rÊ ©$ £Å6 »9r ÙÞ öÑ{$ ÏN‰¡ÿ© <Ù è7Î OßÝÕè/ ¨ $Y9$ «! $ ÞÙŠ ¨ $Z9$ «! $ ÞÙŠ Ÿwöq9r } (البقرة: 251)، [1] وقال تعالى: { ÇíÎÈ šú üÏÙ=»èØ$ #ŽÉÏÝ2 «! $ ÞÙ°$ $kŽÏù ãÝ2 õ ã ÞÉ»¡Br Ó°q=¹r Ó<Îr ÞÏB°q¹ ÓMBÏÙç° <Ù è7Î NÞÕè/ (الحج: 40). [2] }

وأخذا من هذا يقول العالم الاجتماعي ابن خلدون في مقدمته، تحت عنوان: " ضرورة العمران البشري إلى السلطان الوازع بعضهم عن بعض ": " إن الاجتماع الإنساني ضروري... ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر.. وتم عمران العالم بهم، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض، لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم... فيكون ذلك الوازع واحدا منهم، يكون له الغلبة والسلطان واليد القاهرة، حتى لا يصل أحد إلى غيره

(1) سورة البقرة آية : 251 .

(2) سورة الحج آية : 40 .

بعدوان، وهذا هو معنى الملك، وقد تبين لك بهذا أن للإنسان خاصة طبيعية ولا بد لهم منها، وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء، كما في الجراد والنحل، لما استقرئ فيها من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من أشخاصها متميز عنهم في خلقه وجثمانه، إلا أن ذلك موجود لغير الإنسان بمقتضى الفطرة والهداية، لا بمقتضى الفكرة والسياسة، { ÇîÈ 3 ‰d ßê¼ç)ùz æó« @ä4 Üã& } [1]

المبحث الثاني: الجماعة وإمامها هي المراد بالمرجعية

وهذه المرجعية هي الجماعة وإمامها بمعناها المراد شرعا من النصوص الشرعية في الخبر عنها في الكتاب والسنة، والحث على لزومها ولزوم إمامها كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم، في صحيحيهما، عن حذيفة قال: { كان الناس يسألون رسول الله r عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت: فماذا تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك [2] } .

ففي هذا الحديث الشريف: الخبر الصادق بحدوث دعاة كثيرين كثرة غلبت على عصرهم، حتى وصف بالشر بعد الخير تباعا للغالب، في قوله: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، فهم يتلبسون بمظهر الدعوة، ومن

(1) سورة طه آية : 50 .

(2) انظر : البخاري مع الفتح 13/ 35 .

صفتهم أنهم أناس من جلدتنا أي ينتمون إلى نسبنا من العرب، ويتكلمون بألسنتنا العربية والإسلامية، ولكنهم في الحقيقة دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها، وفيه أن العاصم الذي يرجع إليه عند حدوث هؤلاء الدعاة هو لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فلزوم ما عليه جماعة المسلمين وإمامهم، ولو كان الملتزم وحده منفردا باعتزاله تلك الفرق، ولو أن يعض على أصل شجرة من شدة الغربة، حتى يدركه الموت وهو على ذلك المنهج؛ لأنه منهج الجماعة وإمامهم.

وفيما روى ابن أبي عاصم من طرق متعددة، وأبو داود عن معاوية t قال: { قام فينا رسول الله r يوما فذكر: إن أهل الكتاب قبلكم تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة في الأهواء، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، ألا وإنه يخرج في أمتي قوم يهوون هوى يتجارى بهم ذلك الهوى، كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، لا يدع منه عرقا، ولا مفصلا إلا دخله [1] } وفي رواية أن النبي r أخبر { أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة [2] }

ففي هذا الحديث الشريف أيضا: أن هذه الأمة، أي أمة الإجابة، ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، تفرقوا كما تفرق أهل الكتاب السابقين من اليهود والنصارى، بل زادوا عليهم، وكل فرقة تزعم أنها استجابت للرسول r وأنها تدعو بدعوته، ولكن الحقيقة إنما هي التي عليها الجماعة.

وفي الحديث: استمرار وجود الجماعة باستمرار وجود المسلمين، وإن تفرقوا إلى ثلاث وسبعين فرقة، فتفرقهم لا يعني عدم الجماعة الواحدة المستثناة من التفرق والأهواء والوعيد

(1) انظر السنة لابن أبي عاصم (ج 1 ص 7- 9 ، ص 22-36 .

(2) أخرجه أحمد 4/ 102 ، وأبو داود (4597) وغيرهما وهو حديث صحيح .

بالنار، كما روى البخاري من حديث معاوية t قال: { سمعت النبي r يقول: لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك [1] }

وقال ابن مسعود: " أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة " [2].

وروى الدارمي في سننه بسند جيد عن يزيد بن هارون: أنا بقية حدثني صفوان بن رستم عن عبد الرحمن بن ميسرة، عن تميم الداري قال: " تطاول الناس في البناء في زمن عمر فقال: يا معشر العريب ! الأرض الأرض، إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سوده قومه على الفقه كان حياة له ولهم، ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكا له ولهم " [3].

ففي هذا الأثر العظيم عن عمر: أنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة، وهذه الثلاثة متلازمة، آخذ بعضها ببعض، لا قيام للإسلام إلا بها.

ولقد أمر النبي r بلزوم الجماعة وإمامهم، والسمع والطاعة للأمير، وإن ضرب الظهر وأخذ المال أمرا يدل على الوجوب، ونهى عن الخروج على الجماعة ومفارقتها نهيا يدل على التحريم، وقد بوب الإمام النووي لأحاديث صحيحة وردت في صحيح مسلم، تدل على هذا دلالة قاطعة، فقال: " باب وجوب ملازمة جماعه المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة " فليرجع إليها [4].

---

(1) صحيح البخاري مع فتح الباري : 632/6 ، وصحيح مسلم ، ص 1524 .

(2) المستدرك للحاكم 555/4 تفسير ابن جرير 76/7 ، الشريعة للآجري 1/ 299 ، ينظر : الأمر بلزوم جماعة المسلمين للبرجس ص 38 .

(3) سنن الدارمي ، المقدمة ، ج1/ ص 79 ، ينظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية 277-270/7 ، حكم الانتماء للشيخ بكر أبو زيد ، ط 2 ، ص 59 .

(4) صحيح مسلم المجلد 2/ 1475 ، وانظر : أحاديث الباب من رقم 1847-1851) .

كما وردت أدلة أخرى تفيد العلم اليقيني بهذا الحكم في الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار.

الفصل الثاني المراد الشرعي بالجماعة

قال ابن جرير الطبري: " والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة " [1] وذكره الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام [2] عن الإمام ابن جرير الطبري أنه قال: " الجماعة: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير"، قال: " فأمر النبي r بلزومه، ونهى عن فراقه، فيما اجتمعوا عليه من تقدمه عليهم؛ لأن فراقهم لا يعدو إحدى حالتين:

إما للنكير عليهم في طاعة أميرهم، والطعن عليه في سيرته المرضية لغير موجب، بل بالتأويل في إحداث بدعة في الدين، كالحرورية التي أمرت الأمة بقتالها، وسماها النبي r مارقة من الدين. وإما لطلب إمارة من انعقاد البيعة لأمير الجماعة، فإنه نكث عهد، ونقض عهد بعد وجوبه، وقد قال r { من جاء أمتي ليفرق جماعتهم فاضربوا عنقه كائنا من كان } [3] وقال r { إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما } [4] وقال r { من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه } [5] وفي رواية أخرى، قال رسول r { إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان } [6] وفي رواية:

---

(1) فتح الباري 37/13 .

(2) الاعتصام للشاطبي ، 264/2 .

(3) مسلم الإمارة (1852) ، النسائي تحريم الدم (4020) ، أبو داود السنة (4762) ، أحمد (341/4) .

(4) مسلم الإمارة (1853) .

(5) مسلم الإمارة (1852) ، النسائي تحريم الدم (4020) ، أبو داود السنة (4762) ، أحمد (341/4) .

(6) مسلم الإمارة (1852) ، النسائي تحريم الدم (4020) ، أبو داود السنة (4762) ، أحمد (24/5) .

{ فاقتلوه [1] } وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول r { إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما [2] } قال الطبري: " فهذا معنى الأمر بلزوم الجماعة. قال: وأما الجماعة التي إذا اجتمعت على الرضى بتقديم أمير كان المفارق لها ميتا ميتة جاهلية فهي الجماعة التي وصفها أبو مسعود الأنصاري، وهم معظم الناس وكافتهم من أهل العلم والدين وغيرهم، وهم السواد الأعظم. قال الطبري: وقد بين ذلك عمر بن الخطاب t فروي عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قال عمر:- حين طعن لصهيب - صل بالناس ثلاثا، وليدخل على عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن، وليدخل ابن عمر في جانب البيت وليس له من الأمر شيء، فقم يا صهيب على رءوسهم بالسيف، فإن بايع خمسة ونكص واحد فاجلد رأسه بالسيف، وإن بايع أربعة ونكص رجلان فاجلد رءوسهما حتى يستوثقوا على رجل، قال: فالجماعة التي أمر رسول r بلزومه وسمي المنفرد عنها مفارقا لها، نظير الجماعة التي أوجب عمر الخلافة لمن اجتمعت عليه، وأمر صهيبا بضرب رأس المنفرد عنهم بالسيف، فهم في معنى العدد المجتمع على بيعته وقلة العدد المنفرد عنهم.

قال: وأما معنى الخبر الذي ذكر فيه أن لا تجتمع الأمة على ضلالة، فمعناه أن لا يجمعهم على إضلال الحق فيما أنابهم من أمر دينهم حتى يضل جميعهم عن العلم ويخطؤوه، وذلك لا يكون في الأمة " 1- هـ .

قال الشاطبي: " هذا تمام كلام- يعني الطبري - وهو منقول بالمعنى وتحر في أكثر اللفظ، وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة، خارج عن معنى الجماعة المذكورة في

(1) ينظر : في صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ، 2/ 1479 ، 1480 ، رقم 59 ، 60/ 1852 ، وسنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في قتل الخوارج رقم الحديث 4762 .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب إذا بويع لخليفتين ، 2/ 1480 ، رقم 1853/61 .

الأحاديث المذكورة، كالخوارج ومن جرى مجراهم " [1].

وهذا الأثر عن عمر الذي فيه، أنه قال: " فقم يا صهيب على رءوسهم بالسيف " إلخ، رواه الطبري في تاريخ الأمم والملوك [2] ورواه غيره بألفاظ أخرى صحيحة الإسناد، تدل على ما أراده الطبري، من الاستدلال بهذا الخبر، لما قرره من الأصح لمعنى الجماعة، منها: رواية ابن سعد بسنده عن سالم بن عبد الله، أن عبد الله بن عمر، وذكر قصة قتل عمر، وفيها أن عمر قال: أمهلوا، فإن حدث بي حدث " فليصل لكم صهيب ثلاث ليال، ثم أجمعوا أمركم، فمن تأمر منكم على غير مشورة من المسلمين فاضربوا عنقه "، وصحح إسنادها الحافظ ابن حجر في موضعين من الفتح [3].

ورواية ابن سعد الأخرى بسنده عن عمرو بن ميمون، وفيها قول عمر لصهيب: " صل بالناس ثلاثا، وليخل هؤلاء القوم في بيت، فإذا اجتمعوا على رجل فمن خالفهم فاضربوا رأسه "، وكلتاهما رواهما ابن سعد في الطبقات [4] ورواها الحارث في مسنده عن يحيى بن أبي بكير [5] ثنا إسرائيل، وروى نحوها ابن أبي شيبة، عن وكيع عن إسرائيل [6] وذكر الحافظ ابن حجر هذا الأثر في الفتح، وأن لهذه الرواية شاهدا من حديث ابن عمر، قال: " أخرجه ابن سعد بإسناد صحيح "، كما ذكر أيضا ما يختص برواية جويرية بن أسماء بن عبيد لخبر قتل عمر t وفيه قول عمر: " ويتبع الأقل الأكثر، ومن تأمر من غير أن يؤمر فاقتلوه " [7].

وننقل توضيحا لشيخ الإسلام ابن تيمية لهذه المسألة لأهميته، في معرض تفنيده قول

(1) الاعتصام 2/264- 265 .
(2) تاريخ الأمم والملوك 2/ 580- 581
(3) فتح الباري ، 7/68 ، 13/196 .
(4) الطبقات 3/ 340- 342 ، 344 .
(5) زوائد الهيثمي 2/ 622 ، 623 .
(6) المصنف 7/436 .
(7) فتح الباري 7-67 ، 13/ 195- 196 .

الرافضي في عمر t أنه: " أمر بقتل من خالف الأربعة، وأمر بقتل من خالف الثلاثة، منهم: عبد الرحمن "، قال: فيقال: هذا من الكذب المفترى، ولو قدر أنه فعل ذلك، لم يكن عمر قد خالف الدين، بل يكون قد أمر بقتل من يقصد الفتنة كما قال النبي r { من جاءكم وأمركم على رجل واحد، يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان [1] }

والمعروف عن عمر t أنه أمر بقتل من أراد أن ينفرد عن المسلمين ببيعة بلا مشاورة لأجل هذا الحديث، وأما قتل الواحد المختلف عن البيعة إذا لم تقم فتنة، فلم يأمر عمر بقتل مثل هذا، ولا يجوز قتل مثل هذا " [2].

وقال شارح العقيدة الطحاوية [3] وقد ساق البخاري [4] رحمه الله قصة قتل عمر t وأمر الشورى والمبايعة لعثمان في صحيحه، فأحببت أن أسردها كما رواها بسنده عن عمرو بن ميمون، فسردها وفيها أن عمر قال: " ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط... " فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن، يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء، كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعدا فذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة " إلى قوله: " فلما فرغ من دفنه، اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر

---

(1) المسند ، ط الحلبي ، 5/ 341 ، وانظر : صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ، 3/1479 ، 1480 ، سق أبي داود 4/334 ، كتاب السنة ، باب في قتل الخوارج .

(2) منهاج السنة ، 6/ 179- 180 .

(3) شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز ، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الله التركي ، وزميله ، ص 712- 720 .

(4) البخاري مع الفتح 7/59- 62 ، رقم 3700 .

فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال: عبد الرحمن: أفلتجعلونه إلي، والله علي أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهم، فقال: لك قرابة من رسول r والقدم في الإسلام ما قد علمت، فبالله عليكم لئن أمرتك لتعدلن؟ ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن؟ ثم خلا بالآخر، فقال له: مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، وبايع له علي، وولج أهل الدار، فبايعهوه ".

وذكر شارح الطحاوية رواية البخاري الأخرى [1] عن حميد بن عبد الرحمن عن المسور بن مخرمة، وفيها قوله: فلما ولوا عبد الرحمن أمرهم مال الناس إلى عبد الرحمن، حتى ما أرى أحدا من الناس يتبع أولئك الرهط ".

وفيها أن عبد الرحمن قال: " أما بعد، يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلا.

قال في فتح الباري: " ويؤخذ منه بطلان قول الرافضة وغيرهم أن النبي r نص على أن الإمامة في أشخاص بأعيانهم.. ففي رضى الجميع بما أمرهم به، دليل على أن الذي كان عندهم من العهد في الإمامة أوصاف، من وجدت فيه استحقها، وإدراكها يقع بالاجتهاد، وفيه أن الجماعة الموثوق بديانتهم، إذا عقدوا الخلافة لشخص بعد التشاور والاجتهاد، لم يكن لغيرهم أن يحل ذلك العقد، إذا لو كان العقد لا يصح إلا باجتماع الجميع، لقال قائل: لا معنى لتخصيص هؤلاء الستة فلما لم يعترض منهم معترض بل رضوا وبايعوا، دل ذلك على صحة ما قلناه " [2]. وذكر ابن العربي المالكي بأنه: " لو عقده بعضهم لجاز، و لم يحل لأحد أن يعارض " [3].

ذكر ابن حجر من زيادة المدايني أن عمر: " قال لأبي طلحة: إن الله قد نصر بكم

(1) البخاري مع الفتح 13/193-194 ، رقم 7207 .

(2) فتح الباري لابن حجر 13/198 .

(3) ينظر : عارضة الأحوذي ، 9/10 ، تحفة الأحوذي ، 6/ 384 ، نقلا عن : الأمر بلزوم جماعة المسلمين ، وإمامهم ، للشيخ عبد السلام بن برجس ص 30 .

الإسلام، فاختر خمسين رجلا من الأنصار واستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم" [1] وذكر ذلك السيوطي عن أنس قال: " أرسل عمر إلى أبي طلحة الأنصاري قبل أن يموت بساعة، فقال: كن في خمسين من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى، فإنهم فيما أحسب سيجتمعون في بيت، فقم على ذلك الباب بأصحابك فلا تترك أحدا يدخل عليهم، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم " [2]. وقال ابن حجر: " وفيه أن الشركاء في الشيء إذا وقع بينهم التنازع في أمر من الأمور، يسندون أمرهم إلى واحد ليختار لهم، بعد أن يخرج نفسه من ذلك الأمر [3] وقال ابن المنير: " في الحديث دليل على أن الوكيل المفوض له أن يوكل وإن لم ينص له على ذلك؛ لأن الخمسة أسندوا الأمر لعبد الرحمن وأفردوه به فاستقل مع أن عمر لم ينص لهم على الانفراد [4].

ففي القصة نرى أن عمر t بيَّن مفهوم الجماعة ومعناه، والتزمت الأمة به، حتى صار عبد الرحمن وحده هو الجماعة، فقال لعلي: " فلا تجعلن على نفسك سبيلا " قال ابن حجر: " أي من الملامة، إذا لم توافق الجماعة " [5].

وبيان عمر t لمفهوم الجماعة ومعناها، وهو الخليفة الراشد، الذي أمرنا بالاقتداء به، كما في حديث حذيفة قال: قال رسول الله r { اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر } [6] رواه أهل السنن [7] يفيد العلم الضروري والاعتقاد الصحيح، بأنه المراد

---

(1) فتح الباري ، 7/ 68 .
(2) تاريخ الخلفاء ص 154 .
(3) فتح الباري 13/ 199 .
(4) فتح الباري 199/13 .
(5) فتح الباري 197/13 .
(6) الترمذي المناقب (3662) ، ابن ماجه المقدمة (97) ، أحمد (382/5) .
(7) أحمد ، 5/ 382 ، 385 ، 399 ، 402 ، الترمذي ، 3662 ، 3663 ، ابن ماجة ، 97 ، ابن أبي شيبة ، 11/12 ، الحميدي 449 ، ابن أبي عاصم 1148 ، 1149 ، الطحاوي في مشكل الآثار 83/2-85 ، أبو نعيم في الحلية 2/ 185 ، الحاكم 3/ 75 ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، ابن حبان 2193 ، من طريق آخره ينظر : شرح الطحاوية 699/2 .

شرعا كما قرره الإمام الطبري.

ونذكر موقفا لعبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، يؤكد معنى الجماعة المراد شرعا، الذي بيَّنه عمر t وقرره ابن جرير الطبري، رحمه الله، فيما رواه مسلم عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع (ابن الأسود العدوي القرشي) حين كان من أمر الحرة ما كان، زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله r يقوله، سمعت رسول الله r يقول: { من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية [1] }

وعبد الله بن مطيع كان ممن خلع يزيد وخرج عليه، وكان يوم الحرة قائد قريش، كما كان قائد الأنصار عبد الله بن حنظلة الأنصاري، إذ خرج أهل المدينة لقتال الجيش الذي بعثه يزيد لقتالهم وأخذ البيعة له، فظفر أهل الشام بأهل المدينة، وكان ما كان من أمر الحرة، من الفتن والمفاسد، بسبب خلعهم أيديهم من طاعة يزيد وعدم بيعتهم له، وقد انعقدت له الإمامة، بوصية الإمام قبله أمير المؤمنين معاوية، وبايعه من بايعه لذلك، وأصبح الذين في طاعته هم الجماعة.

والخلاصة : أن المراد الشرعي بالجماعة، في كل وقت وزمان: هم جماعة من المسلمين موثوق بديانتهم، تم اجتماعهم على تأمير إمام موافق للكتاب والسنة، وعقدوا له البيعة على ذلك، و لم يسبقوا بجماعة أخرى، فعقدهم صحيح، ولو لم يجتمع عليه الجميع، وليس لغيرهم أن يحل ذلك العقد، وهذا هو ما قرره الإمام ابن جرير الطبري فيما تقدم من قوله: " فالجماعة التي أمر رسول r بلزومها وسمى المنفرد عنها مفارقا لها، نظير الجماعة، التي أوجب عمر الخلافة لمن اجتمعت عليه، وأمر صهيبا بضرب رأس المنفرد عنهم

(1) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة ، 1478/2 ، رقم الحديث 58/ 1851 .

بالسيف، فهم في معنى العدد المجتمع على بيعته وقلة العدد المنفرد عنهم ".

الباب الثاني تحقيق الملك عبد العزيز رحمه الله مرجعية الدعوة

وفيه مقدمة وثلاثة فصول

المقدمة:

إذا تحققنا فيما مضى من البحث، أهمية مرجعية الدعوة، وأنها هي الجماعة، وأن المراد الشرعي بالجماعة: الاجتماع على أمير يبايع على التمسك بالكتاب والسنة، وأن من استمسك بذلك فهو المراد بالجماعة، وإن كان وحده، ندرك أن جميع جهود الملك عبد العزيز - رحمه الله - في تأسيس المملكة العربية السعودية هي تحقيق لمفهوم الجماعة، المراد شرعا وقدرا، وبذلك يكون قد حقق مرجعية الدعوة إلى الله تعالى كما نراها ماثلة للعيان، نراها في واقع وحدة المملكة العربية السعودية، ونرى إمامته الجامعة المرجع ماثلة في الحياة في خادم الحرمين الشريفين، وفي ولي عهده، وفي النائب الثاني، وفي أبنائه وأحفاده، وكل حسب موقعه من المسئولية، نرى فيه شخص المرجع للدعوة عبد العزيز المؤسس رحمه الله، ونرى في مجلسه مجلس عبد العزيز الإمام المرجع الجامع المجدد لما اندرس من معالم الجماعة، ونراه واقعا ماثلا في وحدة أبنائه وأحفاده واجتهادهم على منهجه، زادهم الله توفيقا وائتلافا ومحبة، وأعزهم بالإسلام، وأعز الإسلام بهم، ومشاهدة الواقع الحي، أبلغ من الحديث والكتاب عنه، فليس الخبر كالمعاينة.

ولو أراد باحث أن يستقصي الحديث عن تلك الجهود العظيمة، في تحقيق مرجعية الدعوة، فإنه لا يمكنه ذلك، في مثل هذا البحث، كما أن استقصاء الحديث عنها سردا، قد يكون مملا ولن يكون مفيدا، بقدر ما تفيده المعاينة والمشاهدة والتأمل الواعي المنصف، لواقع المملكة العربية السعودية، قلب العالم الإسلامي وقبلته ومرجع الدعوة إلى الله، على ضوء مفهوم الجماعة المراد شرعا وقدرا، فلذا: لم يكن مجرد سرد الحديث عن تلك الجهود واستقصائه مقصودا بهذا البحث، ولكن المقصود هو أن نتبين ببحثنا هذا ارتباط مرتكزات تأسيس المملكة العربية السعودية، بالمفهوم المراد شرعا وقدرا للجماعة، المرجع القوي للدعوة الصحيحة، والدعاة على بصيرة، وانطباق ذلك المفهوم للجماعة على وحدة

المملكة العربية السعودية ليكون دليلا بينا، على صدق جهود الملك عبد العزيز - رحمه الله -، في تحقيق مفهوم الجماعة، مرجعية الدعوة، وتصحيحا لمفاهيم خاطئة، طالما عانى منها أبناء الأمة، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به.

لذا اقتصرت على العناصر والمرتكزات التي جعلتها في الفصول التالية:

فصل: ا - فضل الله تعالى وتوفيقه في تحقيق مفهوم الجماعة المراد شرعا مرجعية للدعوة.

فصل: 2 - الحاجة إلى تحقيق مفهوم الجماعة المراد شرعا مرجعية للدعوة.

فصل: 3 - الاستجابة للحاجة في تحقيق مفهوم الجماعة المراد شرعا مرجعية للدعوة.

وإلى تفاصيل ذلك.

الفصل الأول فضل الله وتوفيقه في تحقيق مفهوم الجماعة المراد شرعا مرجعية للدعوة

فضل الله علينا وتوفيقه بأن خلقنا ورزقنا، ولم يتركنا هملا، لا نؤمر ولا ننهى، بل أرسل إلينا رسولا هو محمد r أرسله الله بالهدى ودين الحق، وأن الله تعالى لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب عنده، لا نبي مرسل، فضلا عن غيرهما من سائر المخلوقات، فإذا لم يرض بأن يعبد من كان قريبا منه كالملائكة، ومن كان نبيا مرسلا وهم أفضل الخلق فغيرهم بطريق الأولى؛ لأن العبادة لا تصلح إلا لله وحده، فكما أنه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، فهو المستحق للعبادة وحده دون من سواه، وجعل الله طاعة رسوله محمد r طاعة له ومعصيته معصية له، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، قال تعالى: { $R¯) $ZŏÙ™ö‘ `öä3ø‹s9Î) !$uZù=y™ö‘r& !$¯RÎ) $ZŏÙ™ö‘ tböqtãöÏù 4’n<Î) !$uZù=y™ö‘r& !$yJx. ö/ä3ø‹n=tæ #´‰Îg»x© ÇÊÎÈ 4Ó|Âyèsù ãböqtãöÏù tAqß™§9$# çm»tRõ‹s{r'sù Wxø‹Î/ur #x‹÷{r& ÇÊÏÈ } (1) (المزمل: 15-16).

وعلى هذا الأصل ينبني الولاء لجماعة أهل التوحيد والسنة، والبراء من مخالفيها ومعاديها، أهل الشرك والبدعة والفرقة، لأنهم يحادون الله ورسوله، أي أنهم في حد إبليس وجنوده، والجماعة في حد الله ورسوله، قال الله تعالى: { žw ß‰ÅgrB $YBöqs% šcqãZÏB÷sム«!$$Î/ ÏQöqu‹ø9$#ur ÌÅzFy$# šcr–Š!$uqム ô`tB ¨Š!$ym ©!$# ¼ã&s!qß™u‘ur öqs9ur (#þqçR%x. öNèduä!$t/#uä ÷rr& öNèduä!$oYö/r& ÷rr& óOßgtRºuq÷zÎ) ÷rr& öNåksEuŽÏ±tã 4 y7Í´¯»s9'ré& |=tFx. ’Îû ãNÎgÎ/qè=è% z`»yJƒM}$# Nèdy‰ƒr&ur 8yrãÎ/ çm÷YÏiB (óOßgè=Åzô‰ãƒur ;M»¨Zy_ “ÌøgrB `ÏB $ygÏFøtrB ã»yg÷RF{$# tûïÏ$Î#»yz $ygŠÏù 4 š_ÅÌu‘ ª!$# öNåk÷]tã (#qàÊu‘ur çm÷Ztã 4 y7Í´¯»s9'ré& Ü>÷Ïm «!$# 4 Iwr& ¨bÎ) z>÷Ïm «!$# ãNèd šcqßsÎ=øÿßJø9$# ÇËËÈ } (2) [المجادلة: آخرها].

ومن فضل الله علينا ورحمته، استمرار حفظه لهذا الدين بوجود هذه الجماعة وإمامهم، إلى قيام الساعة، رغم غلبة الشر والفرقة أحيانا، فلا تزال هذه الجماعة باقية إلى قيام

(1) سورة المزمل آية : 15 - 16 .

(2) سورة المجادلة آية : 22 .

الساعة، قال الله تعالى: { ÇÌÈ bqàÿÎ=yèt: ¼çm¯9 $RÎ) •ôÑ$$Z9w R3tW $RÎ) } [1] (الحجرات: 9).

وكما روى البخاري من حديث معاوية t قال: سمعت النبي r يقول: { لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك [2] } وكما روى مسلم في صحيحه: { لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة [3] } فلله الحمد والمنة.

وقد قيض الله لدين محمد r من يبعثه على رأس كل مائة سنة، مجددا لما اندرس من معالم الدين، كما قال r { إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها [4] }

وعبد العزيز - رحمه الله - من هؤلاء المجددين للإسلام، المقيمين لجماعته، الذين جعلهم الله مرجعا للدعاة، فكان فضل الله تعالى وتوفيقه لعبد العزيز، أن امتن عليه ووفقه للقيام بخدمة الكتاب والسنة وخدمة المسجد الحرام ومسجد النبي r وحفظ مقدسات المسلمين التي لا نظير لها في الوجود في جلب الخير ودفع الشر، وفي تأليف الجماعة والبعد عن الفرقة، فالقرآن العظيم كلام الله تعالى المبين، سواء كان محفوظا في الصدور أو في المصاحف، أو متلوًا بالألسن وبالاتباع العملي، رصيد مضمون لا مثيل له، ورسول r بشخصه لا نظير له في الأشخاص ولا نبي بعده، وقبره بالمدينة، ودينه باق إلى يوم القيامة، وسنته محفوظة موجودة في الحياة العملية، وهديه r معلوم، وهو خير الهدي، وبيت الله

---

(1) سورة الحجر آية : 9 .

(2) صحيح البخاري مع فتح الباري : 632/6 ، وصحيح مسلم ، ص 1524 .

(3) صحيح مسلم : ج1 / ص 128 .

(4) سنن أبي داود ج2 كتاب الملاحم باب 1 ص 424 ، قال الشيخ ابن باز : " هذا الحديث إسناده جيد ، رجاله كلهم ثقات ، وقد صححه الحاكم ، والحافظ العراقي ، والعلامة السخاوي ، وآخرون ، نقلا عن هامش ص 10 من كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . تأليف أحمد بن حجر آل بوطامي .

الحرام، لا نظير له في بيوت الله في الأرض، لا يتولاه إلا المتقون، قال تعالى: { bÎ) bqà)G3ø$žwÎ) ÿçµè$‹Ï9÷r& } [1] (الأنفال: 34). المتقون الذين يريدون أن تكون كلمة الله هي العليا، ولا يخشون إلا الله.

والله تعالى بفضله قد أعطى عبد العزيز مميزات الإمام المرجع الملك، بسطة في الجسم وفي العلم وفي العقل والذكاء، وفي قوة الإرادة والوفاء، وفي صدق القول والصراحة، وفي التواضع بعظمة، والسماحة بنبل ورفعة، يقول: " لست ملكا بمشيئة أجنبية، بل أنا ملك مشيئة الله ثم بمشيئة العرب الذين اختاروني وبايعوني، على أنها ألقاب وأسماء، فما أنا إلا عبد العزيز، قال العرب إنني ملك، فرضيت قولهم وشكرت ثقتهم، وفي اليوم الذي لا يريدونني زعيما لهم، أعود إلى الصف وأحارب معهم بسيفي، كأصغر واحد فيهم دون أن ينال نفسي شيء من الغضاضة " [2]. هذه هي سيرة أبطال الصحابة، وروح خالد بن الوليد لما انثنى بعد عزله من قيادة المسلمين، جنديا عاديا يقاتل معهم العدو، دون أي غضاضة، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

يقول رئيس جماعة أنصار السنة محمد حامد الفقي في صفته الشخصية: " فهو أفخم من رأيت من الرجال، قامة مديدة، وأكتاف عريضة، وصدر رحب، وجسم كله قوة، وكله نشاط وحركة، وعقل قوي، وجنان ذكي، وفكر متوقد، وبديهة حاضرة، وقلب يسع كل الرجال والحوادث فلا يتزلزل، ولا يهن ولا يضعف بشيء منها، فهو كالجبل الراسي، ولسان فصيح ومنطق قوي، وقول يصيب المحز، وحكم رائعة، وبلاغة تفحم السامع، وتقوده بذلك من حرير، فإذا هو طوع هذا الخطيب العظيم، ويد سخية، لا تعرف للمال قيمة إلا ادخار المثوبة عند الله، ثم امتلاك أعناق الرجال وقلوبهم، فهو لا

(1) سورة الأنفال آية : 34 .

(2) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، تأليف خير الدين الزركلي ، ط 2 ، ص 1 / 14 . 39- أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها ، كتبه وتحدث به في نادي أنصار السنة المحمدية ، معمد حامد الفقي ، ط/ النهضة بمصر سنة 1354 هـــ ص 110- 113 .

يعرف " لا " ولا يخطر في باله أن يقولها لأي سائل، ولا أن يرد بها على أي مسترفد فضله، أو مجتد من كرمه، اللهم إلا فيما ينال من كرامة دينه " إلى أن يقول: " سجايا فطر الله عليها عبد العزيز... والعدل الذي فتح بابه لكل مظلوم... والصراحة في الحق لا يخشى فيه أحدا، ويحبه من كل أحد، ولا يدخر في نصره وسعا، وقوة الذاكرة التي تعي الحوادث والمسائل العلمية، مفصلة فلا يند منها شيء، فيجمع شتاتها، ويقرنها ببعضها، ويستخلص منها التجارب: يرسم بها خطط عمله، وأساليب حكمه، ونظم مملكته، ورحمة وحنان على الضعيف والصغير يحس معه رحمة الأبوة، وحنان المؤمن الذي قلبه مرآة ينطبع فيها شعور كل إخوانه وإحساساتهم، فيفرح بما يفرحون، ويتألم مما يتألمون.... [1]

وقد امتن الله عليه بأن شرح صدره للإسلام، وأكرم به المسلمين عموما وآل سعود خصوصا، ليرد اعتبار الجماعة وليقيم به الحجة، ووفقه الله بأن جرت أحداث قدره سبحانه وفق مراده رحمه الله، لتحقيق مفهوم الجماعة، في الوقت والمكان المناسبين، وكان عبد العزيز حظ السعوديين وعزهم، ومرجع الدعاة إلى الله تعالى فقد " كانوا ضلالا فهداهم الله به، وكانوا جهالا فهداهم الله به، وكانوا متفرقين فجمعهم الله به، وكانوا ضعافا فقواهم الله به، وكانوا فقراء فأغناهم الله به، وكانوا أذلة مقهورين فأعزهم الله به، ومنحهم استقلالهم " [2].

يقول الشاعر محمد بن عثيمين:

خبيئة الله في ذا الوقت أظهرها للمهيمن في تأخيرها شان

ودعوة وجبت للمسلمين به أما ترى عمهم أمن وإيمان[3]

وفق الله عبد العزيز - رحمه الله - لأن يقوم لله تعالى ويأخذ بحظه ونصيبه في أداء

(1) أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها ، كتبه وتحدث به في نادي أنصار السنة المحمدية محمد حامد الفقي ، ط / النهضة بمصر سنة 1354هـ ص 110 -113 .

(2) ينظر الملك الراشد ص 400 .

(3) العقد الثمين ص 70 .

حقوق هذه الخصوصيات التي تفضل الله بها عليه وعلى أمته السعودية.

وأنجح الله جهوده في تحقيق مفهوم الجماعة، مرجعية الدعوة، وكان توفيق الله للسعوديين بالملك عبد العزيز وجهوده، وبورثته من أبنائه البررة وجهودهم بالمحافظة على بناء الجماعة، وترسيخ دعائمها أمام الأحداث المتجددة.

ولقد كان عبد العزيز يدرك توفيق الله تعالى له، فيلهج بشكر الله دائما، وهذا أيضا من التوفيق.

قال رحمه الله: " الشريعة كلها خير، وإن الله سبحانه وتعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل ووضع فيها ما أمرهم به وما نهاهم عنه..

والأمر لا يتم إلا بمسألتين:

الأولى: التوفيق.. والتوفيق لا يكون إلا بالله: { «!$# ßìÏÿx© ÞOÍhŠs)ø9$# $Br } [1] (هود: 88). والإنسان بلا توفيق لا يستطيع أن يعمل شيئا.

والثانية: الاجتماع الائتلاف وهذان هما أساس كل شيء { «!$# ¨bÎ) ©!$# tbqãZÏB÷sßJø9$# } [2] (آل عمران: 103) [3].

وكان من توفيق الله له، أن يدرك حاجة الأمة لإقامة مرجعية الدعوة، الجماعة بالمفهوم المراد شرعا، وقد وفقه الله قدرا وكونا، بتأسيس المملكة العربية السعودية وتوحيدها على توحيد الله بالعبادة، وتشييد بنائها بالعمل الصالح، ولقد من الله تعالى على أهل هذه المملكة العربية السعودية، ملكا وشعبا، بذلك على الخصوص.

ومن توفيق الله تعالى أن شملت وحدة المملكة العربية السعودية ما يزيد على أربعة أخماس شبه الجزيرة العربية، من مناطق متباعدة، وقبائل متفرقة، وشعوب مختلفة، وأجناس

(1) سورة هود آية : 88 .

(2) سورة آل عمران آية : 103 .

(3) المصحف والسيف ص 79 .

متعددة، فتتمثل في وحدة المملكة العربية السعودية، تركيبة العالم الإسلامي كله، مع ارتكازها على الأصول العربية، رغم أن العرب والأعراب: أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة فيهم والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، ولا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية، من نبوة أو ولاية، أو أثر عظيم من الدين على الجملة، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية، كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، يذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، تم اجتماعهم، وحصل لهم الملك والتغلب [1].

وكم عانى منهم المصلحون ما عانوا، فمن توفيق الله تعالى لهم، أن هيأ عبد العزيز - رحمه الله- للقيام فيهم مقام الوالي، الذي يجمعهم بجهوده الموفقة، على القيام بأمر الله، وتحقيق توحيده، الذي هو حق الله على عبيده، ويذهب عنهم بتربيته مذمومات الأخلاق، وأسباب التفرق والتنازع، ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، فتم توطينهم من البدواة والجفاء، وتم توحيدهم بوحدة المملكة العربية السعودية، وحصل اجتماعهم على استقلالها عن أي نفوذ أجنبي، فأصبح الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، وتلاشى التعالي والتكبر بوجود الإمام المرجع القوي للجميع، فسهل انقيادهم، وتوافقت أهواؤهم على إمامة عبد العزيز، بما أقام فيهم من حدود شرع الله تعالى، وجدد لهم من معالم دينه المذهب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس، فحصل له ولأبنائه توحيد العرب على ولايتهم الدينية، وأمامتهم الراشدة.

وأصبحت وحدة المملكة العربية السعودية النموذج الفريد، من تركيبة العالم الإسلامي، والنواة الوحيدة للوحدة الإسلامية الكبرى، والفئة الثابتة للمجاهدين، والجماعة

(1) ينظر المقدمة لابن خلدون ص 151 .

الأم للجماعة الإسلامية العظمى، كيف لا؟ وقد ضمت مهبط وحي الله تعالى إلى رسوله محمد r بالتوحيد، ومنطلق دعوته r إلى توحيد الله الذي هو حقه على عبيده، ضمت مكة المكرمة، والمسجد الحرام، قبلة المسلمين، ومناط حجهم، الركن الخامس من أركان الإسلام، وضمت المدينة المنورة، المنورة بهجرة الرسول r ومسجده وحرمه الشريف، ومثوى جثمانه الطاهر r .

ضمت مهد الرسول العربي محمد r خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي جاء بتمام الرسالات النبوية وكمالها بالوحي الإلهي العظيم المبين، بقسميه الكتاب والسنة، وبيت الله الحرام، بيت التوحيد، وقبلة المسلمين، ومسجد رسوله r آخر مسجد بناه نبي، وهما المسجدان، اللذان يأرز إليهما الإيمان، كما تأرز الحية إلى جحرها.

وقد وظفت وحدة المملكة العربية السعودية، لخدمة الكتاب والسنة، وكتاب الله الذي هو كلامه، وكلامه خير الكلام، وأحسن الحديث والسنة هدي رسوله محمد r وخير الهدي هدي رسول الله r وخدمة المسجد الحرام أول بيت للتوحيد وضع للناس، لا قبلة للمصلين غيره، ومهوى أفئدة المسلمين، والمسجد النبوي الشريف، في دار الهجرة والنصرة، ومأرز السنة والإيمان والسكينة، معالم لا نظير لها كما قدمنا في جلب الخير ودفع الشر، وتحقيق مفهوم الجماعة، والبعد عن الفرقة، وقد خدمتها جهود الملك عبد العزيز - رحمه الله - وحتى أصبحت المملكة العربية السعودية بذلك المناط التعبدي للحج العظيم، والمهوى الصحيح للأفئدة والقلوب السليمة، والمعقل الأمين للجماعة المنصورة، توفيق من الله تعالى لا نظير له، فله الحمد والمنة.

ومن توفيق الله أنها جغرافيا تقع في القلب العالمي، تقع على البحر الأحمر غربا، وعلى الخليج العربي شرقا، اللذين يربطان بين البحر الأبيض المتوسط، وبين البحر العربي، المتصل بالمحيط الهندي والهادي (الباسفيك) فأصبح موقعها وسطا، وملتقى لجميع الطرق العالمية، ومساحتها أكبر من أوربا الغربية، بالإضافة إلى بريطانيا، بمقدار الضعف تقريبا.

وقد حباها الله على يد عبد العزيز بالموارد الاقتصادية الضخمة من أرضها، وأهمها

البترول، ذو الأثر الفاعل في الاقتصاد العالمي، والمعادن الأخرى، والزراعة، والمواشي والأسماك، وغيرها، مما أغناها الله سبحانه وتعالى به عن غيرها.

تركيبة فريدة، وموقع فريد، وكنز ثمين، وثروة غالية، وآية على ميراث النبوة بينة، وعلامة واضحة على توفيق الله تعالى، بتحقيق الملك عبد العزيز مفهوم الجماعة بالتوحيد، اقتداء بما فعل رسول الله r كرامة من كرامات أولياء الله جرت على يد عبد العزيز، وامتداد لمعجزة النبي r .

ومن توفيق الله تعالى وقبوله الدال على تحقيقه مرجعية الدعوة بحق، أن تمر مائة عام على عود الله بعائدته الجميلة على أهل التوحيد، والسنة والجماعة، وإضاءة التاريخ السعودي بالملك عبد العزيز، بعد انطفاء حلت معه ظلمات الجهل والفرقة، فعاد الله بعائدته الكريمة على أهل الإسلام في أرض الحرمين وما جاورهما، باسترداد عبد العزيز عام 1319 هـ رياض التوحيد، كما قدمنا ذكره، أرضه وأرض آبائه وأجداده أنصار توحيد الله U وقيامه لله تعالى إماما للمتقين راشدا، وسلطانا للدين نصيرا، وقدوة للمسلمين وعزا، يسير على منهج سلفه الصالح أهل السنة والجماعة، في العمل على توحيد كلمة المسلمين، وتوثيق تضامنهم وتعاونهم على البر والتقوى، وتحقيق مفهوم الجماعة، والأخذ بأسباب حياتهم السعيدة، ومصالحهم الأكيدة في الدنيا والدين، مع المحافظة على صفاء العقيدة الإسلامية، وتنقيتها من شوائب الشرك والبدع والخرافة والوهم وسائر المعوقات الجاهلية.

حتى وصل بالمملكة العربية السعودية إلى مرسى الأمن والإيمان راسخة في التوحيد، ثابتة في البناء، على هدي الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح، يتعاقب فيها على منهجه ورثته، ولله الحمد والمنة.

تمر مائة عام، وتحقيق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، لا يزال رباط وحدة

المملكة، وآخية [1] اجتماعها، ولن يزال كذلك إن شاء الله تعالى. يمضي قرن من الزمان والمملكة العربية السعودية تحتل المكانة الدينية في العالم الإسلامي مكان القلب من الجسد، سواء في البناء وتوحيد الكيان، أو في التربية والتعليم، أو في الحكم والإدارة، أو في التنفيذ والتطبيق منذ نشأة بنائها إلى استكماله وتطويره، من لدن المؤسس الملك عبد العزيز، ثم أبنائه الملوك سعود وفيصل وخالد - رحمهم الله -، إلى عهد باني نهضتها خادم الحرمين الشريفين الملك المفدى فهد بن عبد العزيز - حفظه الله - وأمده بعونه وتوفيقه.

تمر مائة عام والمملكة العربية السعودية، تعتبر بحق، المثال الواقعي للتضامن الإسلامي الشامل، والنواة الموجودة، لوحدة المسلمين العظمى، والمعقل ذا الوجود العيني الآمن لجماعتهم الكبرى، والمرجع الثابت القوي للدعوة والدعاة.

إن مرور مائة عام على هذا لهو من توفيق الله للحق، وشاهد كوني على الصدق، وإن توفيق الله تعالى لعبد العزيز وللسعوديين عموما، ولمن جاء بعده، في تحقيق مرجعية الدعوة، بتحقيق مفهوم الجماعة، وترسيخها وبنائها، بوحدة المملكة العربية السعودية، إنها قضية متفق عليها.

(1) الآخية ، والأخية : بالمد والتشديد : عود يعرض في الحائط . . تشد إليه الدابة ، قال الأزهري : وسمعت العرب تقول للحبل الذي يدفن تحت الأرض مثنيا ويبرز طرفاه الآخران . . شبه حلقة وتشد به الدابة : أخيه . أنظر : تهذيب اللغة ج 620/7 ، 621 .

الفصل الثاني الحاجة إلى تحقيق مرجعية الدعوة بتحقيق مفهوم الجماعة

كل إنسان هو محتاج بذاته، فقير بذاته، إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ومن ذلك حاجته للجماعة مرجعا وملتزما في دينه ودنياه، لكن قد لا يشعر بالحاجة إلى لزوم جماعة المسلمين، إلا المسلم الذي يرفع الجهل عن نفسه بالعلم الشرعي ويلزم نفسه بالهدي النبوي، وقد يشعر المسلم بحاجته وفقره، ولكن لا يستطيع دفع ذلك، إلا أنه يوحد باحتياجه وافتقاره لله رب العالمين، الأحد الصمد، الحي القيوم، الغني الحميد فيجمع الله شمله وشد حاجته ويغنيه، أما غير المسلم فلجهله وظلمه، فإنه يدين لدنياه، ويكفيه من المجتمع ما يؤمن له دنياه، ويشرك باحتياجه إلى غير الله تعالى، ويمزق همه، ويفرق دينه، فلا يحصل على جمع ولا غنى، وبيان ذلك أن كل ما سوى الله من حي وغيره ليس له من نفسه وجود ولا عدم، بل هو مخلوق، وكل مخلوق فقير محتاج بذاته إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، والمنفعة للحي من جنس النعيم واللذة، والمضرة هي من جنس الألم والعذاب، فلا بد من مقصود محبوب ينتفع ويلتذ به، مطلوب وجوده، ولابد من مكروه مبغض، يفسر وجوده ويؤلم ويعذب، مطلوب عدمه، ولا بد من الوسيلة إلى حصول المحبوب، ودفع المكروه، وهذه أمور ضرورية للعبد بل ولكل حي، لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها، ويجب أن يكون الله تعالى دون ما سواه، هو المقصود المعبود المدعو المطلوب وأن يكون الله تعالى دون ما سواه، هو المستعان على المطلوب وعلى دفع المكروه، كما أرشد الله إلى ذلك في الفاتحة ويلاحظ صيغة الجمع: { $fÎ , $fÎr ‰ç7è‰R , $fÎ

çÎÈ Ú ü ÏÈGó$ [1] (الفاتحة: 5). فيجب أن يكون الله تعالى دون ما سواه هو. المعبود المستعان، حيث أن ما سوى الله تعالى فقير محتاج بذاته، ليس بيده لنفسه فضلا عن غيره نفع ولا ضر، قال الله تعالى: { bÎr qè= ÿ÷ƒ ÿ¼ã #©%Ÿ2 Ÿ ù ÏÎ ª! $ 7ó ¡ ðf bÎr

ç7ÎføŠ ãÅtøS qèr ¾ÍŠ6ã - ù ÏÎ$)ÏS qèr ÇÈ Ï‰ ÏÕ« Ïä 4?ã qù ÏÎ2 7ó ¡ ðf

(1) سورة الفاتحة آية : 5 .

{ ÇÏÈ } [1] (الأنعام: 17-18).

وقال تعالى: { Šł‘ Ÿxù ßø‚2 8Šł•ã c Ĵr qè ŵvĴ ÿa #©Ÿ2 Ÿxù ßØĴ ª! $7ó ¡ðƒ bĴr

{ ÇÌÈ Ð$ïm$$ãqÿóßqèr ¾íŠ$%ã ôÏB ãß±„ `B ¾íĴ Ï Š Ãã ¾íĴôÿÏ

(يونس: 107). [2]

وفقر العبد وحاجته إلى الإسلام، إلى أن يعبد الله وحده، ويستعين به وحده، لا يشرك به شيئا، علما وعملا، فقر عظيم وحاجة شديدة وليس لحاجته وفقره نظير يقاس به، ولكن يشبه من بعض الوجود حاجة الجسد إلى الطعام والشراب، غير أن الحاجة إلى الإسلام أعظم وأشد.

فإنه لو فقد الطعام والشراب قد لا يفقد إلا حياته الدنيا فقط، وقد تكون حياة شقية، أما لو فقد الإسلام فإنه يفقد سعادته في حياته الدنيا والأخرى، وحيث لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة، فالحاجة إلى الجماعة بالمفهوم المراد شرعا، مرجعية للدعوة، هي نفس الحاجة إلى الإسلام، والدعوة إليه.

ومما يؤكد الحاجة إلى الجماعة مرجعا وملتزما، أن الشارع الحكيم أوجب على العبد أن يصبر على ما يراه من الأمير مكروها من معصية الله، لزوما للجماعة واعتصاما بها من التهلكة، وبعدا عن ميتة الجاهلية، كما روى البخاري ومسلم عن ابن عباس، عن النبي r قال: { من رأى من أميره شيئا يكرهه، فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية [3] }

والحاجة إلى عصمة الدم لا تخفى، وهي في لزوم الجماعة والرجوع إليها متحققة، كما روى مسلم بسنده عن عبد الله قال: قام فينا رسول الله r فقال: { والذي لا إله غيره

(1) سورة الأنعام آية : 17 - 18 .

(2) سورة يونس آية : 107 .

(3) صحيح البخاري ، الفتن رقم 6531 ، ومسلم الإمارة رقم 3438 .

لا يحل دم رجل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا ثلاثة نفر التارك الإسلام المفارق للجماعة، والثيب الزاني، والنفس بالنفس [1] }

ومما يؤكد الحاجة إلى ذلك، هو أن يد الله على الجماعة، ومن فارقها فالشيطان معه، كما روى النسائي بسند جيد عن عرفجة بن شريح الأشجعي قال: رأيت النبي r على المنبر يخطب الناس فقال: { إنه سيكون بعدي هنات وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد يفرق أمر أمة محمد r كائنا من كان فاقتلوه، فإن يد الله على الجماعة، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض [2] }

فالجماعة نجاة، والفرقة هلكة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شد في النار، قال ابن مسعود t في خطبته: أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة، خير مما تحبون في الفرقة أخرجه الحاكم في المستدرك وابن جرير في تفسيره، والآجري في الشريعة [3].

وقال ابن المبارك رحمه الله:

إن الجماعـــة حبـــل الله فاعتـــصموا منـــه بعروتـــه الـــوثقى لمـــن دانـــا
كـــم يـــدفع الله بالـــسلطان معـــضلة عـــن ديننـــا رحمـــة منـــه ودنيانـــا
لـــولا الخلافـــة لم تـــؤمن لنـــا ســـبل وكـــان أضـــعفنا نهبـــا لأقوانـــا [4]

وفي لزوم الجماعة وإمامها سعادة الدنيا والدين، به تنظيم الحياة الاجتماعية، ويحصل الأمن على العرض والمال والدم، وتتحقق مصالح المجتمع في معاشهم ومعادهم ويستعينون بالجماعة على إظهار دينهم، وطاعة ربهم، كما قال علي t " إن الناس لا يصلحهم إلا

(1) رواه البخاري ، كتاب الديات ، رقم 6370 ، وأحمد رقم 24301 ، ورواه غيرهما .
(2) سنن النسائي كتاب تحريم الدم رقم 3954 .
(3) نقلا عن : الأمر بلزوم جماعة المسلمين للشيخ عبد السلام بن برجس ص 38 .
(4) الآداب الشرعية لابن مفلح 175/1 ، 176 .

إمام، بر أو فاجر، إن كان فاجرا، عبد المؤمن ربه، وحمل الفاجر فيها إلى أجله "، وقال الحسن البصري في الأمراء: " هم يلون من أمورنا خمسا: الجمعة والجماعة، والعيد والثغور والحدود "، وقال أيضا: " والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا أو ظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون،... والله إن طاعتهم لغيظ - أي للأعداء - وإن فرقتهم لكفر". ذكر ذلك عن الحسن الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم.

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في بداية ذكره مسائل الجاهلية: " هذه أمور خالف فيها رسول الله r ما عليه أهل الجاهلية ومن الكتابيين والأميين، مما لا غنى للمسلم عن معرفتها:

فالضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتبين الأشياء

فأهم ما فيها وأشدها خطرا عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول r فإن انضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية تمت الخسارة ". والعياذ بالله كما قال تعالى: { ÇÎÈ brçÅ» , ßNöÏd 7í͑ré«!$# (raÝ2 r ßÜ»ßJø9$# (qßB#ä šú ïÏ%©!$# } (العنكبوت الآية: 52)[1]. قال:

المسألة الأولى : أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله، كما قال تعالى: { öGßgãYƒ ÿwr ßNèd„ ÿw $B «!$# Âc rß `Ï šc rßçGƒr } (يونس الآية: 18)[2]، وقال تعالى: { «!$# ‰Ýà $Rèëyø ãwèd šc qßJçGø9r } (الزمر، الآية: 3)[3]، قال: " وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله r فأتى بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص،

(1) سورة العنكبوت آية : 52 .
(2) سورة يونس آية : 18 .
(3) سورة الزمر آية : 3 .

وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار، وهذه هي المسألة التي تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شرع الجهاد، كما قال تعالى: { Nèdqè»%r 4Ó®n ÷W qä? šc qà6 fr ßÏ$!$ ä2 ¼ã#ä ... } [1] (الأنفال، الآية: 39).

المسألة الثانية: أنهم متفرقون في دينهم، كما قال تعالى: { @ä ¸ÿm ¥ $JÎ Nßìu‰9 ... ÇÌËÈ bqãmÌù } [2] (الروم، الآية: 32). وكذلك في دنياهم، ويرون ذلك هو الصواب، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله: { * ... $Zšm ... }

ûïÏe$!$ ... $B ... $B

... { [3] (الشورى، الآية: 13- 14). وقال تعالى: { ûïÏ%©!$# bÎ) ... } [4] (الأنعام: الآية: 159)، وقال تعالى:

{ ... ÇÌËÈ bqãmÌù Nßìu‰9 } [5] (الروم، الآية: 31 - 32). ونهانا عن التفرق في الدين بقوله: { ... } [6] (آل عمران، الآية: 103)، ونهانا عن

---

(1) سورة الأنفال آية : 39 .

(2) سورة الروم آية : 32 .

(3) سورة الشورى آية : 13 - 14 .

(4) سورة الأنعام آية : 159 .

(5) سورة الروم آية : 31 - 32 .

(6) سورة آل عمران آية : 103 .

مشابهتهم بقوله: { ... } [1] (آل عمران، الآية: 105).

المسألة الثالثة: أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة، والسمع والطاعة ذل ومهانة، فخالفهم رسول الله r وأمر بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ في ذلك وأبدى وأعاد، وهذه الثلاث التي فيه، جمع بينها فيما ذكر عنه في الصحيحين أنه قال: { إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن لا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم [2] }

قال الشيخ: " ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها " [3].

وقال أيضا: يبين الضرورة إلى الجماعة ولو كانت صغرى، " الأئمة مجمعون من كل مذهب، على أن من تغلب بلدا أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا؛ لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا، ما اجتمعوا على إمام واحد ولا يعرفون أحدا من العلماء ذكر أن شيئا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم " [4].

وقال أيضا: " من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبدا حبشيا، فبين (النبي r) هذا بيانا شائعا ذائعا، بوجوه من أنواع البيان شرعا وقدرا ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم، فكيف العمل به " [5].

---

(1) سورة آل عمران آية : 105 .

(2) صحيح مسلم الأقضية ، رقم 13236 مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين رقم 8444 ، موطأ مالك ، كتاب الجامع ، رقم 1573 .

(3) مسائل الجاهلية ، ضمن مجموعة التوحيد النجدية ، ط السلفية ، القاهرة ، 1375هـ ص 236- 237 .

(4) الدرر السنية ، ط5/ 1416هـ / مجلد 9/ 5- 7 .

(5) الدرر السنية ، ط5/ 1416هـ/ مجلد 9/ 5-7 .

إلى غير ذلك من النصوص الشرعية المحكمة، وأقوال العلماء، التي تبين مدى الاحتياج إلى الجماعة، وضرورة تحقيقها.

وقد كانت حاجة الناس في الجزيرة العربية إلى مرجعية الدعوة، إلى الجماعة والسمع والطاعة، والأمن والاستقرار شديدة فالحجاز ونجد وما حولهما من البلدان لم تنعم بالجماعة على المفهوم المراد شرعا، أي لم تنعم بحكم صالح قوي يوحد أجزاءها، ويكون مرجعا يحكم سير الأحداث فيها بعلم وعدل، ويوجد فيها أمنا شاملا، وسياسة رشيدة مستقرة، مثل ما نعمت به في ظل دول أنصار التوحيد آل سعود، منذ حكم الأخيضريون اليمامة وما حولها في سنة 253 هـ تقريبا.

وكل هذا جرى قبل توحيد الملك عبد العزيز أرض المملكة العربية السعودية حرسها الله.

كما أن كل ذلك كان قبل قيام دولة أنصار الدعوة إلى التوحيد من آل سعود ويعود في غيبتها مما يؤكد الحاجة الملحة إلى جماعة المسلمين السعودية، مرجعية للدعوة إلى الله تعالى، وإلى جهود الملك عبد العزيز في إقامة الجماعة، مرجعية للدعوة بتوحيد المملكة العربية السعودية على التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ونذكر أن المسلمين على الحقيقة لا تطمئن نفوسهم لغير هذه الأسرة السعودية المباركة؛ لأن المسلمين من خلال الأحداث التاريخية والوقائع الكونية، قد شهدوا مرارا غياب هذه الأسرة السعودية عن الحكم فرأوا في غيابها ضعف الدعوة إلى العقيدة الإسلامية، والغدر لمنهج الشريعة، والتفرق عن الجماعة، وعدم الأمن والاستقرار، وذل العسف الجائر، وطغيان الظلم المظلم، مما يؤكد الحاجة إلى أنصار دعوة التوحيد ومرجع دعاتها من آل سعود، وإلى جهود الملك عبد العزيز رحمه الله في تحقيق مفهوم الجماعة مرجعية للدعوة على الخصوص، ولا ينسى المنصفون لهذه الأسرة السعودية، فضلها وتاريخها المجيد، في الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، كما لا يرتابون في وفائها للإسلام والمسلمين، والدعاة إلى الله تعالى.

ونزيد هنا بيانا عن مسيس الحاجة من واقع الحال في الحجاز ونجد وغيرهما، وأنه قد

عاد إلى الحال التي ذكرنا وأسوأ، قبل ظهور الملك عبد العزيز، وقيام دولة التوحيد على يديه، المملكة العربية السعودية، كما هو المشهور من الرواية بل المتواتر منها، وكما يشهد لذلك الواقع المشاهد الآن، الذي بقي على حاله من الفرقة والضعف الأمن والإيمان، في خلوج المملكة العربية السعودية فنقول: كان في الواقع ما ينافي تحقيق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، مظاهر خطيرة على الإيمان والأمن، كالأضرحة والمشاهد الشركية، والقباب المقامة على القبور المعظمة، التي يطاف حولها ويعكف، وتقصد للتبرك بها، وطلب قضاء الحوائج، وتفريج الكربات عندها، في مكة نفسها، كالقباب التي كانت في المعلاة في الحجون، على قبر خديجة وغيره، وفي الحلقة القديمة على قبر المستسقي، وقبر العلوية قريب من باب مكة، وقبر الشيخ أبو سرير وضريحه، بزاوية كانت معروفة في آخر سوق الندى، والقبر الشهير بالمظلوم، والزوايا المنسوبة إلى الصوفية وما فيها من الأضرحة والخرافات التي تنسج حولها، وفي طريق النورية قبة على ما يزعمونه قبر ميمونة، وفي الزيمة قبة على قبر الرشيد، وغير ذلك، كما في المدينة في البقيع وغيره، القباب التي كانت على قبور الصحابة، وفي أحد كانت القبة المشهورة على قبر حمزة، وغير ذلك، هذا في مكة والمدينة، وهما معقل التوحيد ومأرز الإيمان، فكيف في غيرهما، لا شك أنه أكثر بكثير، ففي نواح عديدة، كانت القباب على القبور، والأماكن والأشجار والأحجار والغيران، والطواغيت، التي تقصد للدعاء والتبرك وذبح القربان، وغير ذلك مما لم يترل الله به من سلطان، وإنما هي مظاهر للبدع والشرك التي يدعو إليها الشيطان، يتخذ منها بعض الناس سلما لسلب الأموال، عن طريق سدانتها والشعوذة والدجل، على ضعاف العقول والجهلة، خاصة من الحجاج والغرباء، ولما كانت هذه الأمور الواقعة منافية للإيمان، ولا لها من ينكرها ويغيرها، كانت بيئتها مرتعا لاضطراب الأمن وعدمه، ومرتعا لنشاط أهل الشرك وجفاة الأعراب، ومنافقي العرب، وعلوج العجم، في النهب والسلب والقتل وقطع الطريق والاحتيال والنصب، بمختلف الطرق الملتوية، وأساليب الدجل والشعوذة، وانتشرت جرائم الحرامية، وعصابات قطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام، وسلب أموالهم، ونهب

بضائعهم وأمتعتهم، من قبل البدو والعربان والأدلاء والمطوفين والجمالة، فكان الحاج فضلا عن غيره، عرضة لكل ألوان التعدي، على العرض والدم والمال، والنهب والعبث بالحرمات، من الضرب والقتل والسرقة والخطف، وسوء الأدب والصياح والصخب، واتخاذ شتى أنواع الخداع والحيل لاستغفال الحاج والغريب، عن أمتعته وثيابه ونفقته، أو استدراجه بعيدا عن رفاقه، ليقضي عليه بضربة عصى أو خنجر أو طلقة نار، فتخمد أنفاسه، وعندئذ يعريه الحرامي من ثيابه، وينتزع حزامه ويفر به إلى الجبال، وربما كان هذا الحرامي أحد الجماميل أو الحراس أو الأدلاء، (حاميها حراميها)، وقد لا يجد مع ضحيته مالا، فلا يتأسف إلا على رصاصته، ولذا أصبح الحج سلسلة من المشقات، بل نوعا من المغامرة والمجازفة، وكان الناس يحذرون المسافرين والحجاج منهم، من أخطار الطريق، وكان من يريد الحج يودع أهله وداع مفارق لا يرجو العودة، بسبب اضطراب الأمن، وسوء أحواله، وكانوا يقولون: " الذاهب للحج مفقود، والعائد منه مولود "، وأصبح هذا القول مثلا يرويه الأجداد الذين أدركوا هذا الواقع [1].

وقال الأمير شكيب أرسلان: " توالت على بلاد الإسلام المقدسة قرون وأحقاب، كانت فيها أشد البلاد افتقارا إلى الإصلاح وأقربها إلى الفوضى، وأقلها أمنة سبل، وراحة سكان، وأكثرها عيشا وفسادا، وكانت هذه الحالة فظيعة جدا، مخجلة لكل مسلم، ممرضة لكل مؤمن، حجة ناصعة للأجانب على المسلمين، الذين لا يقدرون أن ينكروا ما في الحجاز من اختلال السبل، واضطراب الحبل، مع كونه هو مهد الإسلام، ومركز الحجيج العام في كل عام، إلى بيت الله الحرام والمشاعر العظام، ومهوى قلوب يتأجج بها الغرام، لزيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام.

كان الأجانب يستظهرون بهذه الحالة على دعوى أن الإسلام لا يلتئم مع العمران، وأنه هو والفضاء توأمان، وأنه لو كان دينا عمرانيا لما كانت تكون هذه الحالة السيئة في

(1) وينظر حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز تأليف رابح لطفي جمعه ، ص 39- 51 .

مركزه، ولما عجز عن إقامة العدل في مأرزه.

وحقيقة الحال هي أن تلك الفوضى لم تنشأ إلا عن إهمال العمل بقواعد الشرع الإسلامي، وعن إرخاء العنان لبعض الأمراء الذين كانوا يلون أمر الحجاز، مدلين على الناس بما لهم من النسب النبوي الشريف، الذي كان يحول بين سلاطين الإسلام وبين تشديد الوطأة عليهم أو إرهاف الحد فيهم، وقد كان هذا من خطل الرأي، ومن التقصير في جانب الشرع، فإن الشريعة الإسلامية لا تعرف نسبا ولا حسبا، { íqÁ9$'î ‡ÿÇ#Œîù

ÇŒÈšc qæa$¡Ff Ÿr 7íBöf ÓG¥/ >$¡&lxù }[1] (المؤمنون، آية: 101).

إلى أن قال: " ولهذا كان سلاطين الإسلام من وقت إلى آخر، ينذرون من أمراء الحرمين من كانوا يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق، ولقد ذهب مثلا ذلك الكتاب الذي كتبه أحد سلاطين مصر من المماليك، إلى أحد أمراء مكة المكرمة وهو الذي يقول فيه: " اعلم أن الحسنة في نفسها حسنة وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة سيئة وهي من بيت النبوة أسوأ، وقد بلغنا أنك بدلت حرم الأمن بالخيفة، وأتيت ما يحمر له الوجه وتسود الصحيفة، فإن وقفت عند حدك، وإلا أعمدنا فيك سيف جدك ".

إلى أن قال: " قد بقيت مع الأسف أحوال الحجاز غير مستوية وأعراب البادية يسطون على الحجاج، وليس لداء معرتهم علاج، وكانت كل من الدولة العثمانية والدولة المصرية ترسل طوابير من الجند النظامي مصحوبة بالمدافع وسائر آلات القتال لأجل خفارة قوافل الحج، وتؤدي إلى زعماء القبائل الرواتب الوافرة، وكل هذا لم يكن يمنع الأعراب ومن لا يخاف الله... من تخطف الحجاج في كل فرصة تلوح لهم، وكثيرا ما كانت قافلة الحج تضطر إلى الرجوع، وقد فاتها الحج أو الزيارة، بعد أن قصدوا ذلك من مكان سحيق، وتكلفوا بذل الأموال، وتجشموا مشاق الأسفار، في البر والبحر، فكانوا يذوبون من الشوق على ما فاتهم، ويتحرقون من الوجد، ويبكون بصيب الدمع والناس بأجمعهم

(1) سورة المؤمنون آية : 101 .

يحوقلون، ويقولون: " ليس لها من دون الله كاشفة "، ذاهبين إلى أن سطو الأعراب هؤلاء داء عضال، لا تنفع فيه حيلة، ولا وسيلة، وقد عمت بهم البلوى، وإلى الله المشتكي، وهكذا توالت القرون والحقب، والناس على هذا الاعتقاد لا يتزحزحون [1].

وكان التعصب المذهبي قد بلغ ذروته، حتى وصل بهم إلى أن تقام في المسجد الحرام أربع جماعات في الصلاة المفروضة، لكل أهل مذهب جماعة وإمام ومقام، وقد رأيت أبنية هذه المقامات في المسجد الحرام، وهذا وأمثاله لا شك له الأثر البالغ في تفريق جماعة المسلمين، وتمزيق صفوفهم.

وهكذا كان الواقع في العالم الإسلامي، في الحجاز وفي غيره، في الشرق وفي الغرب، وفي الشمال وفي الجنوب، كان هذا هو الواقع قبيل ظهور الملك عبد العزيز، فكانت الحاجة داعية والضرورة ملحة لقيام الملك الإمام عبد العزيز، بإقامة الجماعة مرجعية الدعوة، وتأسيس دولة التوحيد، المملكة العربية السعودية، وقد أدرك ذلك حتى العامة والبدو الذين لم يأخذوا قدرا كافيا من العلم والحضارة، وربما من الذين ألفوا عدم الاستقرار.

روى أحد كبار السن: أنهم ذهبوا إلى الكويت وكانوا ثلاثة رجال، وبينهم شاعر من البادية، يريدون التعرف إلى أولاد الإمام عبد الرحمن الفيصل، فزاروه رحمه الله وطلبوا منه أن يرسل معهم من يوصلهم إلى أولاده، ليسلموا عليهم، فأرسل شخصا، قال الراوي: " وبعد السلام على عبد العزيز وأخيه محمد - رحمهما الله - أخذ محمد يهيئ القوة، وعبد العزيز بجواره، وكانا شابين لا تتجاوز سن أكبرهما ثمانية عشر عاما، وكان عبد العزيز نحيلا قليل الكلام، أخذ يسألنا باقتضاب: " من تكونون؟ ومن أي المناطق أنتم؟ " فأخبرناه بمناطقنا، ثم أخذ عبد العزيز يسألنا، عن أحوال البلاد، وعن الأحداث، والأمن هناك " وهل حكم الشرع نافذ فيكم؟.. " ثم وقف البدوي الشاعر وقال: يا عبد

(1) ينظر : لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ، تأليف الأمير شكيب أرسلان ، عضو المجمع العلمي العربي في سورية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت 1965 م ، ص 163- 166 .

العزيز، عندي قصيدة، فرد عليه: فيمن؟ قال: فيك، قال: أنا ! هنا في الكويت ! غريب مجهول ! ليس لي دور في شيء ! تمدحني بالشجاعة؟ لم أفعل شيئا، بالكرم؟ أنا لا أملك مالا، حالي مستور، ثم إن القصائد الجيدة كلها قلتها في الأمير محمد بن رشيد "، قال الراوي: " فرد عليه الشاعر، ونحن نسمع: أني واحد من شعرائك ومن رجالك يا عبد العزيز، فأنا شاعر الرجال، والبلاد اليوم في حاجة إليك، اسمعها تقول لك: وأنشد بصوت مرتفع: روى أحد كبار السن: أنهم ذهبوا إلى الكويت وكانوا ثلاثة رجال، وبينهم شاعر من البادية، يريدون التعرف إلى أولاد الإمام عبد الرحمن الفيصل، فزاروه رحمه الله وطلبوا منه أن يرسل معهم من يوصلهم إلى أولاده، ليسلموا عليهم، فأرسل شخصا، قال الراوي: " وبعد السلام على عبد العزيز وأخيه محمد - رحمهما الله - أخذ محمد يهيئ القوة، وعبد العزيز بجواره، وكانا شابين لا تتجاوز سن أكبرهما ثمانية عشر عاما، وكان عبد العزيز نحيلا قليل الكلام، أخذ يسألنا باقتضاب: " من تكونون؟ ومن أي المناطق أنتم؟ " فأخبرناه بمناطقنا، ثم أخذ عبد العزيز يسألنا، عن أحوال البلاد، وعن الأحداث، والأمن هناك " وهل حكم الشرع نافذ فيكم؟.. " ثم وقف البدوي الشاعر وقال: يا عبد العزيز، عندي قصيدة، فرد عليه: فيمن؟ قال: فيك، قال: أنا ! هنا في الكويت ! غريب مجهول ! ليس لي دور في شيء ! تمدحني بالشجاعة؟ لم أفعل شيئا، بالكرم؟ أنا لا أملك مالا، حالي مستور، ثم إن القصائد الجيدة كلها قلتها في الأمير محمد بن رشيد "، قال الراوي: " فرد عليه الشاعر، ونحن نسمع: أني واحد من شعرائك ومن رجالك يا عبد العزيز، فأنا شاعر الرجال، والبلاد اليوم في حاجة إليك، اسمعها تقول لك: وأنشد بصوت مرتفع:

عبد العزيز أبطيت أخلفت ظني وكثر البطا يحدث على الرجل خذلان
يمير[2] دوك فتوقها وضحن تبينت لأهل الدلايل والأذهان [1]

(1) يمير : يا أمير .

(2) لسراة الليل هتف الصباح ، عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري ، ص 86-87 .

استجاب عبد العزيز رحمه الله لفضل الله وتوفيقه، ولبى حاجة البلاد والعباد، إلى تحقيق مفهوم الجماعة، وقام بجهوده الموفقة العظيمة لإقامة الجماعة وتحقيق مفهومها على ضوء الكتاب والسنة، فإلى توضيح ذلك بالمبحث التالي.

الفصل الثالث الاستجابة للحاجة إلى تحقيق مفهوم الجماعة المراد شرعا مرجعية للدعوة إلى الله تعالى

أي استجابة الملك عبد العزيز بجهوده المباركة الموفقة، لداعي حاجة الأمة لذلك، واستجابة الأمة لهذه الجهود، وتفاعلها معها، حتى تحققت هذه المرجعية.

لقد بذل عبد العزيز الملك الإمام - رحمه الله - جهودا عظيمة لتحقيق مفهوم الجماعة، مرجعية الدعوة وقبلت الأمة ذلك، وفي تفاصيل ذلك ثلاثة مباحث:

أ - المبحث الأول: توحيد المملكة بالإخلاص واتباع السنة :

حقق الملك عبد العزيز التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، في نفسه أولا، وجاهد لإعلاء كلمة التوحيد، والحرص عليها، والدعوة إليها، ويعتمد في جميع أعماله على الله وحده لا شريك له، فلما حقق التوحيد غاية ووسيلة، ودعوة، سهل الله له طريقه، ونصره على أعدائه.

قال عبد العزيز - رحمه الله -: " أسست هذه المملكة من دون معين.. وكان الله القدير وحده معيني وسندي، وهو الذي أنجح أعمالي " [1] يروي الزركلي قال: أخبرني أحد ضباط القصر الملكي، قال: رأيت الملك عبد العزيز في الهزيع الأخير من الليل، عند صلاة الفجر، يتمسك بأستار الكعبة ويدعو الله، بهذا الدعاء العجيب: " اللهم إن كان في هذا الملك خير لي وللمسلمين، فأبقه لي ولأولادي، وإن كان فيه شر لي وللمسلمين فانزعه مني ومن أولادي " [2].

وحد الملك عبد العزيز المملكة العربية السعودية، على أساس الاعتصام بالكتاب

(1) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، خير الدير ، الزركلي ، ط 2 ، ص 141 .
(2) الوجيز في سير الملك عبد العزيز ، ط 2 ص 334 .

والسنة، في تحقيق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وتطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة الحدود، فحرص على استقلال المملكة، وعدم قبوله أي تدخل أجنبي وعدم قبول أي امتياز أو استثناء يناقض الإسلام، لأحد دون أحد، مهما كان، وإن جهود الملك عبد العزيز - رحمه الله - في تحقيق مفهوم الجماعة، تتلخص في توحيده المملكة العربية السعودية على التوحيد، الذي هو حق الله على العبيد، ورفعه لواء رسول الله r على ربوعها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله [1] فانفردت دولته والمملكة العربية السعودية بذلك الميراث النبوي، راية الجماعة، التي لا يشاركها فيها جماعة أخرى، ولا دولة أخرى، ولا تنكس لأي سبب تنكس له الرايات الأخرى.

إن العرب خاصة لا تدين لأحد بغير كلمة التوحيد، (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، وقد بين ذلك رسول الله r لقومه حين دعاهم إلى الإسلام، ذكر ابن كثير في تفسيره أنه r قال لعمه أبي طالب ورهط من قريش فيهم أبو جهل، إجابة لأبي طالب حين قال له: " { يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم، وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم، ويدعوك وإلهك، قال r " يا عم، أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم؟ قال: وإلام تدعوهم؟ قال r " أدعوهم أن يتكلموا بكلمة يدين لهم بها العرب، ويملكون بها العجم " فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، قال r " تقولون: لا إله إلا الله "، فنفروا } .

قال ابن كثير: وفي رواية ابن جرير { قال r " يا عم، إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها، تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية "، ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم: كلمة واحدة ! نعم وأبيك عشرا ! فقال: وما هي؟ وقال أبو طالب:

(1) ينظر : حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ، ط/3 ، ص 60-61 ، فقد قال : روى أحمد والترمذي من حديث ابن عباس : كانت راية رسول القه ص سوداء ، ولواؤه أبيض ، وعن أبي هريرة : مكتوب فيه لا إله إلا القه ، محمد رسول الله .

وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ قال r " لا إله إلا الله، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: " أجعل الآلهة إلها واحدا؟ إن هذا لشيء عجاب } [1] "، قال ابن كثير: ورواه أحمد والنسائي والترمذي، وقال الترمذي: حسن [2].

والشاهد من الحديث قوله r لمشيخة قومه: " لا إله إلا الله "، كلمة تدين لكم بها العرب، وتملكون بها العجم، أو تؤدي لكم بها العجم الجزية ".

يعني أن العرب إنما تدين بالسمع والطاعة لأهل التوحيد، وبالتوحيد يكون العرب أئمة وملوكا، وهذا هو ما يشهد به الواقع التاريخي.

فلقد كانت العرب تأنف أن يعطي بعضها بعضا طاعة الإمارة كما قال الشافعي - رحمه الله -: " كل من كان حول مكة من العرب لم يكن يعرف إمارة، وكانت تأنف أن يعطي بعضها طاعة الإمارة " [3].

" فلما دانت لرسول الله r بالطاعة، لم تكن ترى ذلك يصلح لغير الرسول r فأمروا أن يطيعوا أولي الأمر، الذين أمرهم رسول الله r لا طاعة مطلقة، بل طاعة مستثناة، فيما لهم وعليهم " [4].

فقال الله تعالى: { É<qf?$$ «ˆ$’‹ˆ ç‚Šèù ãÓ« ’Ìèã“Z? bîù } [5] (النساء، الآية 59). يعني - والله أعلم - إلى ما قال الله والرسول، فإن لم يكن فيما تنازعوا فيه قضاء نصا فيهما ولا في واحد منهما، ردوه قياسا على أحدهما [6].

وهذا هو سر اجتماع العرب على إمامة آل سعود من أول أمرهم، منذ أحسن الأمير

---

(1) الترمذي تفسير القرآن (3232) ، أحمد (362/1) .

(2) تفسير ابن كثير 27/4 ، 28 ، وهو في مسند أحمد ، مسند بني هاشم ، برقم 1904 ، وبرقم 3244 ، وفي سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن برقم 3156 ، وقال الترمذي حسن صحيح .

(3) الرسالة للإمام الشافعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ص 80 .

(4) الرسالة للإمام الشافعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ص 80 .

(5) سورة النساء آية : 59 .

(6) ينظر : الرسالة للإمام الشافعي تحقيق أحمد شاكر ص 80- 81 ، والسنة ، لمحمد بن نصر المروزي ، ص7 .

الراشد محمد بن سعود استقبال الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد أخرج من العيينة وجاء إلى الدرعية غير مرغوب فيه، كما تقدم ذكره، ومشى الأمير إليه برجله بخلاف ما تقتضيه سياسة الإمارة لكنه آثر إحياء السنة السلفية، والسياسة الشرعية، في تعظيم العلماء لوجه الله تعالى، فأحيا الله قلبه وشرح صدره لدعوة الشيخ، وقال له: (أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة) - فثبت الله إمارته، وأرسى له ولأولاده من بعده دعائم الإمامة والملك، وجمع قلوب العرب والمسلمين بكلمة التوحيد عليهم - وأجابه الشيخ وهو في حال مهاجر مستضعف، لا يملك من الدنيا شيئا، بقوله: وأنا أبشرك بالعز والتمكين، وهذه كلمة: لا إله إلا الله، من تمسك بها وعمل بها ونصرها، ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وأنت ترى نجدا وأقطارها، أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم لبعض، فأرجو أن تكون إماما يجتمع عليه المسلمون، وذريتك من بعدك) [1] فقال له الأمير الراشد: (يا شيخ، إن هذا دين الله ورسوله، الذي لا شك فيه، وأبشر بالنصرة لك، ولما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد) [2].

هذا هو السر الذي وفق الله آل سعود للأخذ به، فاجتمعت عليهم الجماعة وهو السر الذي أخذ به عبد العزيز فنجحت به جهوده في تحقيق مفهوم الجماعة، ولقد كان لدى عبد العزيز واضحا جليا، في قوله وعمله.

أما في قوله: ففي مثل قوله رحمه الله بعد كلام له تاريخي: " بل إنه في آخر الأمر، أظهر الله شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ثم من بعدهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله، ونفع الله بهم الإسلام والمسلمين، لما اندرست أعلام الإسلام، وكثرت الشبه والبدع، مخصوص محمد بن عبد الوهاب، فلما رأوا أسلافنا موافقتهم في أقوالهم وأفعالهم لما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله r قبلوا ذلك، وقاموا به، وأظهره الله على أيديهم،

(1) انظر : ابن بشر ، " عنوان المجد (ج 1/ 11 ، 12) ، وطبع وزارة المعارف ، (24/1) ، وروضة ابن غنام ، (3/1) .
(2) ابن بشر ، عنوان المجد (12/1) .

ونحن إن شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم، نرجو أن الله يحيينا على ذلك، ويميتنا عليه " [1].

وقال رحمه الله: " إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم والمغارم التي أرهقت كاهل عباد الله، إني مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها، فلن يكون بعد اليوم سلطان إلا للشرع ".

ثم استطرد قائلا: " الذي أبغيه من هذه الديار أن تعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه " [2].

وقال يخاطب أهل مكة: " أنا بذمتكم، وأنتم بذمتي، إن الدين النصيحة، هذه عقيدتنا في الكتب بين أيديكم، فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله، فردونا عنه، واسألوا عما يشكل عليكم فيها، والحكم بيننا كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة ".

" ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح، التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح " [3].

وأما في عمله: ففي مثل ما قام به من توحيد المملكة العربية السعودية على الإسلام بعد ما كانت عليه الحال من الشتات والشقاء والفرقة، كما وصفنا.

وهكذا طهر الملك عبد العزيز بقوله وفعله البلاد مما ينافي التوحيد ويخالف الكتاب والسنة، وطبق الشريعة الإسلامية في ربوعها، فلله الحمد والمنة.

وصدق الشاعر السلفي محمد بن عثيمين، حين قال يخاطبه:

---

(1) عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري ، لسراة الليل هتف الصباح ، الملك عبد العزيز ، دراسة وثائقية ، ص 526 ، وانظر : نجد وملحقا ته ، وسيرة الملك عبد العزيز . . . أمين الريحاني ط 3 ، ص 435-436 .

(2) تاريخ المملكة العربية السعودية ، للصف الثالث المتوسط ، ط 1394/1 هـ ، ص 210 .

(3) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، خير الدين الزركلي ، ص 217 ، تاريخ البلاد العربية السعودية ، منير العجلاني ص 229 .

تـــلألأت بـــــك للإســـــلام أنـــوار كمـــا جرت بـــك للإســـعاد أقـــدار
إن الـــــذي قـــدر الأشـــيا بحكمتـــه لمـــا يريـــد مـــن الخـــيرات يختـــار
والعبـــــد إن صلحـــــت لله نيتـــه لابـــــد يبـــــدو في الكـــون آثـــار

إلى أن قال: إلى أن قال:

تألفـــــت بـــــك أهـــــواء مفرقـــــة تأجـــجت بـــينهـــم من قبلك النـــار
فأصـــبحوا بعـــد توفيـــق الإلـــه لهـــم بـــعد الـــشقا والـــجفا في الدين أخيار

إلى أن قال: إلى أن قال:

كنـــا نمـــــــر على الأموات نغبطهم مـــن قبلـــه إذ تـــولى الأمـــر أشـــرار
فالآن طابت به الأيام إذ أخذت بـــــه لأهـــــل الهـــدى والـــدين أوتـــار

لقد أحيا السنة النبوية، وأمات البدعة الشيطانية، وأخذ بمبدأ الشورى والمواجهة والحوار وسياسة الباب المفتوح، والمطارحة مع الإنصاف وسلامة المقصد والثبات على البصيرة، كما أخذ بالأسباب النافعة في الدنيا والدين.

ب - المبحث الثاني: التربية والتعليم:

ومن جهوده رحمه الله في تحقيق مرجعية الدعوة، اهتمامه بالتربية والتعليم وتوعية الأمة بمصلحتهم في كل مناسبة بالقول والفعل.

من ذلك أنه رحمه الله وجه نداء عاما إلى الإخوان يذكرهم فيه بنعمة الإسلام، وما مضى عليه أسلافهم من الأعراب، من انحرافهم عن الدين، وما يأتونه من الأمور التي تغضب الله ورسوله r ومن استحلال الدماء، ونهب الأموال، وترك فرائض الإسلام، ليقيدوا نعمة الله عليهم بشكره واتباع أمره واجتناب نهيه وفق ما جاء به النبي r ويبين أن أصل الدين كتاب الله تعالى، وسنة نبيه محمد r وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، فهم السلف الصالح، ثم الأئمة الأربعة من بعدهم، الأئمة المقتدى بهم، لا خلاف بينهم في أصل الدين، من توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فمن خالفه

معتقدا بطلانه فليس على شيء من الدين، والعياذ بالله من ذلك، ولا يقال عن هذا إنه مكذب للمشايخ، بل مكذب لكتاب الله وسنة نبيه r ثم مضى رحمه الله يحذر من التفرق في الدين، وتتبع الخلافات فيه، فإن هذا من أعظم أسباب الهلاك ويبين أنهم في زمن تشعبت فيه الأمة الإسلامية وكثرت فيه شبه الضالين المضلين، غير أنه بحمد الله لم يخل زمان من قائم لله في أمر دينه، ينفي عنه غلو الغالين وانتحال المبطلين، أولئك هم علماء الدين، وهم ورثة الأنبياء، وهم الحافظون لدين الله تعالى، حيث أقامهم لذلك: ويستدل بقول الله تعالى: { ... } [1] (الحجر، الآية:9). " وكل يدعي أنه القائم لله يحفظ دينه، ولكن ميزان العدل في ذلك هو اتباع النبي الكريم: { ... } [2] (آل عمران، الآية 31).

ثم قال رحمه الله لهم: " إني أرشدكم إلى أعظم قائم لله تعالى في نصر دينه، بعد الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، وذلك بعد أن كثرت الملل والنحل، وتشعبت الأهواء وتفرق الناس شيعا، كل حزب بما لديهم فرحون، ذلك هو شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ومن هو على طريقتهم في الدعوة والتحقيق إلى يوم القيامة، فقد قام هذان الشيخان بما أوجبه الله على العلماء من بيان الحق وعدم كتمانه، و لم تأخذهما في الله لومة لائم ".

إلى أن قال: " فهذه كتبهما بحمد الله بين أيديكم، قد سهل الله نشرها بعد أن كانت مدفونة في زوايا الترك والإهمال، فعليكم بمطالعتها، فإنها بأدلة الكتاب والسنة تجلو عن القلوب صداها، وبمآثر الصحابة وهديهم تميط عن الأبصار غشاها.

ثم قال رحمه الله: " وهذا شيخنا - يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب - ذلك الإمام الوحيد في زمانه، الجليل القدر رحمه الله تعالى، قد قام بما قام به هذان الشيخان من الدعوة

(1) سورة الحجر آية : 9 .

(2) سورة آل عمران آية : 31 .

إلى تحقيق التوحيد لله تعالى في أسمائه وصفاته وتوحيده في ألوهيته، بإفراده بالعبادة له وحده لا شريك له بجميع أنواعها، وهذا التوحيد هو أصل بعثة الرسل من نوح إلى نبينا محمد r قال تعالى: { $Br wÎ) m»9Î w ¼çR% ïnø) ÓÇqçGx.Î Ædq3S `Ï š• ÎÅ6 `Ï $Zù™Ö% $Br } { ÇÍÈ ßrßãçãø$ } [1] (الأنبياء، الآية: 25).

قال: " وهذا التوحيد هو أصل الأصول للدين، الذي لا يجوز التقليد فيها، فعليكم بالتفقه في دينكم، واتباع نبيكم r وسلفكم الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة، وقد تقدم لكم البيان بأننا في الأصل على القرآن، وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل t ".

ومضى رحمه الله يحثهم على أن يكونوا فيما يأتونه من أمر دينهم على بصيرة، ويستدل بقوله تعالى: { $Br ¨ÏäÃù Ïm§9$ Ïm§9$?#ä $Br } { ÇÍÈ ßqßFRÏ$ ¨ÏäÃù Ïm§9$ Ïm§9$?#ä $Br } [2] (الحشر، الآية: 7)، وقوله تعالى: { ÇÍÈ bqçè?ÏW ÓÇÏäbÎ) ÏmÎ/$@d& ÏmèÓù } [3] (النحل، الآية 43).

ويقول لهم: " فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر، وقصده في هجرة البداوة وانتسابه إلى الخير طلب رضى الله تعالى، والتماس ما عنده من الثواب لمن تاب إليه وأناب، فلا يتمسك أحدكم بأمور دينه برأيه، وليس الدين بالاستحسان، فكل طريق إلى الحق غير طريق نبيه r فإنه مسدود، وكل عمل على غير سنته فهو إلى صاحبه مردود، فاتبعوا ولا تبتدعوا وقاربوا، فمن سار على الدرب وصل، قال: وهذا ما يجب لكم علينا من النصيحة، فمن خالف ما بيناه لكم بقول أو فعل فذمتنا وذمة المسلمين منه بريئة ولا يأمن البطش بنفسه وبحلاله، ومن أنذر فقد أعذر " انتهى [4].

---

(1) سورة الأنبياء آية : 25 .

(2) سورة الحشر آية : 7 .

(3) سورة النحل آية : 43 .

(4) العقد الثمين ، من شعر محمد بن عثيمين ، جمعه ورتبه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد ، ص 108 - 110 .

علم نافع وقول سديد، وخطاب بليغ، بيان مبين، وتشخيص صحيح لأمراض المجتمع، ووصفة صادقة للدواء، ودعوة صحيحة إلى الرشد، من ملك مستقل إذا قال فعل، وإذا وعد وفى.

وقد كان من تحقيقه لمرجعية الدعوة اهتمامه رحمه الله بالعلم والعلماء، وتقديره للعلماء، يأخذ ذلك عليه أولوية أعماله، فقرب العلماء العاملين، والمصلحين الصادقين، وأهل الرأي والمشورة وأولي الأحلام والنهى وجعلهم أهل مشورته وخاصته، وأكرمهم ورفع منزلتهم، وكان يشاركهم عن علم ودراية البحث العلمي والبيان والنصيحة، وإظهار معالم منهج السلف الصالح في تطبيق الشريعة الإسلامية، لإقامة الجماعة، وتحصيل النجاة والسعادة، وتجنيبها دروب الهلاك وسبل الغواية والتفرق، وفي كل نائبة يجتمع بالعلماء، ويجمعهم على اختلاف مشاربهم للمذاكرة والمطارحة، وإزالة ما قد يكون بينهم من فجوات.

مثال ذلك لما دخلت الحجاز تحت ولايته رحمه الله، جرت مناظرة حرة بين يديه بين علماء مكة وعلماء نجد، فيما يجب اعتقاده من وجوب التوحيد وإفراد الله بالعبادة وتحريم الشرك كدعاء غير الله، والاستغاثة والاستعانة بالأموات، وطلب الشفاعة منهم، والذبح لغير الله وكالحلف بغير الله، وتعظيم القبور بغير ما شرع الله من البناء عليها، واتخاذها مساجد، وشد الرحال إليها، والطواف حولها، والتبرك بها، ونحو ذلك، مما عمت به البلوى، فحصل الاتفاق بين علماء مكة وعلماء نجد على هذه العقيدة الصحيحة، المبنية على إخلاص الدين لله ومتابعة رسوله r وصدر بذلك بيان، نشر في جريدة أم القرى، في أجزاء متفرقة عام 1343هـ، ثم جمعت في رسالة بعنوان: " البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد " [1] طبعت عام 1344هـ.

كما كان رحمه الله بحزمه وعزمه يزيل ما قد يكون بين العلماء وبين الرعية من تباعد،

(1) تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، تأليف صلاح الدين المختار منشورات دار الحياة بيروت ، 2/ 152- 155 ، وينظر الدرر السنية ، لابن قاسم ط 2 ، 7/305- 308 .

بسبب الشبهات التي يبثها المغرضون، من علماء السوء، أو من أنصاف المتعلمين، الذين لا يفقهون.

قال رحمه الله يقرر على كلام لمشايخ الدعوة، ويخاطب الأمة: " هذا كلام إخوانكم المشايخ تشرفون عليه، والعمل إن شاء الله على ما فيه، ثم بعد ذلك ماهوب [1] خافيكم أول منشأ هذا الأمر وتقويمه إنه من الله ثم أسباب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وأوائلنا رحمهم الله، وما جرى على المسلمين من اختلاف ولايتهم مرارا، وكلما اختلف الأمر وشارف الناس لنقض دين الله وإطفاء نوره أبى الله وأخرج من ها الحمولتين [2] من يقول بذلك حتى إن آخرهم والدنا وشيخنا الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ".

إلى أن قال الملك " والحمد لله ماحنا [3] في شك من أمر ديننا، وتفهمون أنه من حين أظهر الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قرن أطيب من وقتنا، ورجال أطيب من رجالنا، وعلماء أطيب من علمائنا، فسدد الله به، وقام بهذه الكلمة وجدد الله أمر هذا الأصل، وأنقذ الله بأسبابه الناس من الظلمات إلى النور، فبان أمره لأولي الأبصار، وخفي ذلك عن كثير من الناس، وعاند من أزاغ الله قلبه وأعمى بصيرته، وقبل هذا الحق ورضيه آباؤنا وأجدادنا وعلماء المسلمين، فيما أتى به من الأصل والفروع، ويتعين علينا إن شاء الله أن نقتدي بما اقتدوا به.

إلى أن قال الملك: " فالآن يكون الأمر على ما ذكر المشايخ أعلاه فمن أفتى أو تكلم بكلام مخالف لما عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده عبد الله وعبد الرحمن بن حسن وعبد اللطيف وعبد الله بن عبد اللطيف فهو متعرض للخطر؛ لأننا نعرف أنه ما يخالفهم

(1) ماهوب : ما هو ، ويلاحظ أن الملك يتكلم بلهجة عامة الرعية وذلك أبلغ في أنفسهم .
(2) يعني آل سعود ، وآل الشيخ .
(3) ما حنا : أي ما نحن .

إلا إنسان مراوز للشر [1] والفتنة بين المسلمين ".

ولأنه إنما يعتصم بالكتاب والسنة، قال مستثنيا: " إلا إن كان هنا إنسان عنده في مخالفتهم دليل من الكتاب أو السنة ".. إلخ ما قاله رحمه الله [2].

وفي موضوع آخر يقول: " وقد عرفناكم بذلك لموجب ذكر المشايخ في الاعتقاد والعمدة على ما ذكروه ".

إلى أن قال: " ومن أشكل عليه شيء من الأمور فليرده إلى طالب العلم المنصوب عندكم بأمر الولاية ورضى المشايخ " [3].

فصار للعلماء والمصلحين الصادقين قبول في الأمة، واعتبروا مرجعا موثوقا في الدعوة، وكانت لهم في هذا الجو المهيأ جهود كبيرة، وأفكار صالحة، كان لها الأثر العظيم في رأب الصدع، وجمع الكلمة، وتوحيد القوة، ودحض أسباب الفرقة ونبذ عوامل الخلاف والتوعية الراشدة، والدعوة الصادقة، وتنبيه الأمة إلى حاجتها لجهود هذا الإمام المرجع الفذ عبد العزيز، والالتفاف حوله على منهجه السليم، وقد تواكب هذا مع يقظة الشعور والإحساس بالحاجة، والتوعية المناسبة، وجهود الملك عبد العزيز، فأثمرت كل الخير ولله الحمد والمنة.

ومن أمثال هؤلاء العلماء والمصلحين، الذين عاصروا الملك عبد العزيز وناصروه وأيدوه عن علم وبصيرة، ذاك العالم الجليل الشيخ العلامة عبد الله بن عبد اللطيف رحمهما الله، له رسالة إلى بعض المشايخ الكرام، ذكرهم فيها بنعمة الله تعالى ببعثة رسول الله r بالإسلام وظهوره، ثم شخص أسباب الكفر وبينها، وأهمها موانع في النفوس من أهواء وإرادات فاسدة، ورياسات لا يقوم ناموسها ولا يحصل مقصودها إلا بمخالفة الحق وترك الاستجابة له، وهذا هو المانع في كل زمان ومكان، ولولا ذلك ما اختلف من الناس اثنان،

(1) مراوز للشر : هو من يريد موافقة الشر .

(2) الدرر السنية ج 11 ص 131- 134 .

(3) نجد وملحقاته ، وسيرة عبد العزيز . . أمين الريحاني ط3/ ص 435- 436 .

ولا اختصم في الإيمان بالله وإسلام الوجه له خصمان، ثم تطرق إلى تذكيرهم باختصاص الله إياهم بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى التوحيد، وأثنى على مناصرة الإمام محمد بن سعود وأبنائه للشيخ في دعوته وقال: إن الله تعالى يصنع لهم من عظيم صنعه وخفي لطفه ما هداهم به إلى دينه، الذي ارتضاه لنفسه، واختص به من شاء كرامته وسعادته من خلقه، وأظهر لهم من الدولة والصولة ما ظهروا به على كافة العرب، وغدت لهم الرياسة والإمامة رتبة معلومة بمجرد السابقة والعادة، لا تزاحمهم فيها العرب العربى، ولا يتطاول إليها بنو ماء السماء، وصالحهم يرجو فوق ذلك مظهرا، وجاهلهم يرتع في ثياب مجد، لا يعرف من حاكها ولا درى، فلم يزل الأمر في مزيد.. ثم يصف ما حدث من فتن الشهوات والشبهات ما أفسد على الناس الأعمال والإرادات، وجرى من الابتلاء والتطهير ما يعرفه الفطن الخبير، ثم بعد وصفه تلك المحنة والتفرق وصفا يشخص الحاجة ويشعر بها، يقول عن قيام الجماعة على يد الملك عبد العزيز: " ثم أذهب الله ذلك بقيام الجماعة، وتجديد الأخوة الإسلامية وذهاب الشحناء، وعاد الأمر إلى ما كان عليه من ثبوت الإمام والدعوة إلى الجماعة، وتجديد العهود والمواثيق على ذلك، فحمدنا الله تعالى وسألناه المزيد من فضله ورحمته، وكنا مغتبطين، وأذهب الله عنا هباء الشبهات، وأطفأ نار تلك الضلالات... " ثم لما رأى بوادر منازعة الإمام الملك عبد العزيز، جعل رحمه الله يحذر هؤلاء العلماء خاصة لأنه بصلاحهم تصلح العامة، فيحذرهم ناصحا لهم من بوادر بدرت تريد الشقاق وفل جمع المسلمين، إلى أن قال: فاستأنف النهار يا ابن جبير قبل أن تنفرج ذات البين بينكم معشر العلماء، ويضلل بعضكم بعضا، أو يفسقه أو يكفره، فتكونوا بذلك فتنة لجاهل مغرور، أو ضحكة لذي دهاء وفجور، تستباح بذلك أعراضكم ولا ينتفع بعلمكم، فاعقدوا لذلك محضرا، ولو طال منا ومن بعضكم لأجله سفر، للنظر فيما يصلح الإسلام، وتقوم به الحجة، ولو لم يعمل به عامل، تسدوا بذلك عنكم باب الفرقة، نصحا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فإني والله لا إخال الجرح يندمل، ولا الحية تموت إلا أن يشاء ربي شيئا ولذلك لكثرة الطلاب لهذا الأمر، فقد وقع بكثرتهم

البأس وأعضل، واحتاج العقل للنظر فيما هو الأصلح لدينه، والأرضى لربه، بالاجتماع على الأسد فالأسد، والأصلح فالأصلح، فإن الشيطان متكئ عليه شماله، متحيل بيمينه، فاتح حصنه لأهله، يدأب بين الأمة بالشحناء والعداوة، عنادا لله ولرسوله ولدينه، تأليبا وتأنيبا، يوسوس بالفجور، ويدلي بالغرور، ويزين بالزور، ويمني أهل الفجور والشرور، يوحي إلى أوليائه بالباطل، دأبا منه منذ كان، وعادة له منذ أهانه الله في سالف الأزمان، لا ينجو منه إلا من أحب الآجل، وغض الطرف عن العاجل، وقط هامة عدو الله وعدو الدين، باتباع الحق والعمل، رضي ذلك من رضيه، وسخطه من سخطه [1].

ومن هؤلاء العلماء الشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، والشيخ عمر بن سليم، وسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فقد وجهوا نصيحة للناس لما رأوا بوادر بدرت من بعض المتحمسين للدين من غير فقه، فوجهوا لهم نصيحة بينوا فيها وجوب السمع والطاعة في غير معصية الله، وساقوا الأدلة على ذلك، ثم قالوا: -

" إذا تقرر ذلك فليعلم أن الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل قد ثبتت بيعته وإمامته، ووجبت طاعته على رعيته، فيما أوجب الله من الحقوق، فمن ذلك: أمر الجهاد، ومحاربة الكفار ومصالحتهم، وعقد الذمة معهم، فإن هذه الأمور من حقوق الولاية، وليس لآحاد الرعية الافتيات أو الاعتراض عليه في ذلك، فإن مبنى هذه الأمور على النظر في مصالح المسلمين العامة والخاصة، وهذا الاجتهاد والنظر موكول إلى ولي الأمر [2].

ومن هؤلاء الشاعر السلفي محمد بن عثيمين حيث يقول: ومن هؤلاء الشاعر السلفي محمد بن عثيمين حيث يقول:

(1) 78- ينظر : نص الرسالة كاملا ، في الدرر السنية ، 7/ 265- 272 ، عقيدة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ، ط/ المجلس العلمي ، الجامعة الإسلامية ، ص 578- 580 ، 596- 599 .

(2) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع ابن قاسم ، ط 2/ 1385هـ ، 283/7 ، 292 .

فيا معشر الإخوان دعوة صارخ ... له ناصح بالطبع لا متخلق

يود لكم ما يمتنيه لنفسه ... ويعلم أن الحب في الله أوثق

تحاموا على دين الهدى مع إمامكم ... وكونوا له بالسمع جندا توفقوا

وإياكم والافتراق فإنه ... هو المهلك في الدين وللدين يوبق

فوالله ثم الله لا رب غيره ... يمين امرئ لا مفتر يتملق

لما علمت نفسي على الأرض مثله ... إماما على الإسلام والخلق يشفق (1)

ولقد جد الإمام عبد العزيز في التربية والتعليم، وفتح المدارس والمعاهد ودور العلم وكلية الشريعة بمكة، وبنى الهجر وبعث الدعاة والوعاظ والمعلمين، وأجرى لهم المرتبات الكبيرة، وللطلبة المكافآت والتشجيع، وطبع الكتب السلفية النافعة الكثيرة على نفقته، ووزعها على القضاة وطلبة العلم مجانا، وبذل الغالي والنفيس في سبيل تعليم رعيته ما ينفعهم في دينهم. فجزاه الله خير الجزاء.

جـ - المبحث الثالث: القضاء على الفتن:

ومن تحقيق الملك عبد العزيز لمرجعية الدعوة قضاؤه على الفتن: فإنه حين غاب آل سعود عن الحكم، عمت الفتنة بلاد المسلمين، واشتدت فرقتهم، ولم يعد لهم مرجع ولا جماعة، خصوصا بعد ما أعلن الأتراك تخليهم عن مسمى الإسلام على مستوى الدولة، بعد أن كانوا قد تخلوا عن حقيقته والحكم به، وأعلنوا أن دولتهم علمانية، وزعموا أنهم ألغوا الخلافة الإسلامية، على يد زعيمهم أتاتورك.

وصار أهل الشر يحاربون أهل الإسلام الخالص، أهل التوحيد والسنة، حربا شديدة لا هوادة فيها، أحاطت بالمسلمين من كل جانب، يسيرون عليهم قوات البغي والطغيان، من جهة الحجاز واليمن، ومن جهة الشام، ومن جهة القطيف والأحساء، للقضاء على صفوة المسلمين، والقضاء على عقيدتهم الإسلامية الصحيحة، حاصروا أهل التوحيد من كل

(1)العقد الثمين ، من شعر محمد بن عثيمين ، جمعه ورتبه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز .

الجهات، وأرادوا القضاء عليهم باسم الإسلام، والإسلام من كل ذلك براء [1].

وأصبحت الفتنة عامة طامة بفقد المرجعية، فقد الجماعة بالمفهوم المراد شرعا وهو جماعة المسلمين، الذين اجتمعوا على إمام بايعوه بالإمارة على كتاب الله وسنة رسوله r والسمع والطاعة بالمعروف في المنشط والمكره، حسب القدرة والاستطاعة، إذ لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة. والسمع والطاعة بالمعروف في المنشط والمكره، حسب القدرة والاستطاعة، إذ لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة.

فجئت بالسيف والقرآن معتزما تمضي بسيفك ما أمضاه قرآن
حتى انجلى الظلم والإظلام وارتفعت للدين في الأرض أعلام وأركان [2]

حتى أقام للمسلمين جماعتهم، بتوحيد المملكة العربية السعودية على التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وتطبيق شريعته فيها.

وأورد شهادة عدل من قلم صدق، يبين لنا كيف قضى عبد العزيز على الفتن، كتب أمير البيان شكيب أرسلان تحت عنوان: هكذا - إذا توجهت الهمم - الإصلاحات المعنوية والمادية في البلاد المقدسة، وبعد أن وصف ما كانت تعانيه البلاد المقدسة من فتن وفوضى وفساد، على توالي القرون والحقب، حتى أصبحت في اعتقاد الناس داء عضالا، لا تنفع فيه حيلة ولا وسيلة، وقد عمت البلوى، والناس لا يتزحزحون عن هذا الاعتقاد، قال: " إلى أن آل أمر الحجاز إلى الملك عبد العزيز بن سعود منذ بضع عشرة سنة، فلم تمض سنة واحدة حتى انقلب الحجاز من مسبعة تزأر فيها الضواري في كل يوم بل في كل ساعة إلى مهد أمان وقرارة اطمئنان، ينام فيها الأنام بملء الأجفان، ولا يخشون سطوة عاد ولا غارة حاضر ولا باد، وكأن أولئك الأعراب الذين روعوا الحجيج مدة قرون وأحقاب

(1) ينظر : المصحف والسيف ص 58 ، 59 . وتاريخ ذلك شاهد لا يجحد .
(2) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ، ص 84- 85 .

لم يكونوا في الدنيا، وكأن هاتيك الذئاب الطلس تحولت إلى حملان، فلا نهب ولا سلب ولا قتل ولا ضرب، ولو شاءت الفتاة البكر الآن أن تذهب من مكة إلى المدينة، أو من المدينة إلى مكة أو إلى أية جهة من المملكة السعودية، وهي حاملة الذهب والألماس والياقوت والزمرد ما تجرأ أحد أن يسألها عما معها، ما من يوم إلا وتحمل إلى دوائر الشرطة لقط متعددة، ويؤتى بضوال فقدها أصحابها في الطرق، وأكثر من يأتي بها الأعراب أنفسهم خدمة للأمن العام، وإبعادا للشبهة عنهم وعن ذويهم، فسبحان محول الأحوال، ومقلب القلوب، ووالله لا يوجد في هذا العصر أمن يفوق أمن الحجاز، لا في الشرق ولا في الغرب، ولا في أوروبا ولا في أمريكا، وقد تمنى المستر كراين الأمريكي صديق العرب الشهير في إحدى خطبه أن يكون في وطنه أمريكا الأمن الذي رآه في الحجاز واليمن، وكل من سكن أوروبة وعرف الحجاز في هذه الأيام يحكم بأن الأمنة على الأرواح والأعراض والأموال في البقاع المقدسة هي أكمل وأشمل وأوثق أوتادا، وأشد أطنابا منها في الممالك الأوربية والأمريكية، فأين أولئك الذين كانوا يقولون: إن الأعراب لا يقدر على ضبطها إنسان، وأن سكان الفيافي هم غير سائر البلدان، فها هو ذا ابن سعود قد ضبطها بأجمعها في مملكته الواسعة، ومحا أثر الغارات والثارات بين القبائل، وأصبح كل إنسان يقدر أن يجوب الصحاري وهو أعزل، ويدخل أرض كل قبيلة دون أن يعترضه معترض، أو يسأله سائل إلى أين هو غاد أو رائح، ولو قيل لبشر: إن بلادا كان ذلك شأنها من الفزع والهول وسفك الدماء وقطع الطرق، قد مرد أهلها على هذا البغي وهذا العدوان من سالف الأزمان، وأنه يليها ابن سعود، فلا تمضي على ولايته سنة واحدة حتى يطهرها تطهيرا ويملأها أمنا وطمأنينة، لظن السامع أنه يسمع أحلاما أو خرافات، أو اتهم القائل في صحة عقله، ولكن هذا قد صار حقيقة كلية، وقضية واقعية، في وقت قصير، وما أوجده إلا همة عالية، وعزمة صادقة، وإيمان بالله، وثقة بالنفس، وعلم بأن الله

تعالى مؤيد من أيده، ناصر من نصره، يحث على العمل، ويكافئ العمل، ويكره اليأس ويقول لعباده: { ÇÎÈ š c q9$ Ò9$ Šz) yèÎ? ÏJôS `B ÝZ/ `Br } [1] (الحجر، الآية 56).

وقد سرت بشرى الأمان الذي شمل البلاد المقدسة الحجازية، فعمت أقطار الإسلام، وأثلجت صدور أبنائه، وارتفعت عن الحجاز معرة تلك المعرة، التي طالما وجم لها المسلمون، وذلك بقوة إرادة الملك عبد العزيز بن سعود والتزامه حدود الشرع " [2].

نعم امتشق عبد العزيز - رحمه الله - الحسام، حتى لا تكون فتنة، بدءا باسترداد الرياض وسائر المغتصبات، ودفاعا عن المقدسات، فلما أقام دولة العقيدة، كما مر وصفها، وصارت المملكة بذلك أنموذج الدولة الإسلامية، ومرتكز جماعتهم، والقدوة الرائدة للمسلمين في تطبيق الشريعة الإسلامية، أصبحت مواصلة القتال وسيلة لأن يتحول إلى قتال فتنة، لأن كثيرا من المسلمين مع الأسف واقع تحت تأثير الاستعمار الأجنبي، يوالون عدوهم، ويعادون أهل ملتهم، كالأكثرية من مسلمي الهند وغيرهم في المستعمرات البريطانية والفرنسية والإيطالية وغيرها، وقد كان مسلمو الهند الموالين للإنجليز يطالبون الحكومة البريطانية بإخراج عبد العزيز من الحجاز ويفتون بسقوط فريضة الحج عن المسلمين، أو بتأجيلها، لأن عبد العزيز وليها، فلو واصل عبد العزيز القتال بعد أن أقام للمسلمين جماعتهم، لكان قتالا من أجل إدخال عامة المسلمين في هذه الجماعة، وهذا الغرض ليس موجبا للقتال، وليس لازما لا سيما إذا كان يترتب عليه من المفاسد ما هو أعظم من المصلحة، ولو واصل عبد العزيز القتال لذلك، لقاتلته الدول الاستعمارية بالمسلمين أنفسهم، ولصار القتال قتال فتنة، ولتحول الجهاد إلى حرب أهلية بين المسلمين أنفسهم، لأن البلاء من المسلمين أنفسهم، قال الأمير شكيب أرسلان: " لقد أصبح الفساد إلى حد أن أكبر أعداء المسلمين هم المسلمون، وأن المسلم إذا أراد أن يخدم ملته أو وطنه،

(1) سورة الحجر آية : 56 .

(2) ينظر : لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟ تأليف الأمير شكيب أرسلان ، عضو المجمع العلمي العربي في سورية ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت 1965م .

وقد يخشى أن يبوح بالسر من ذلك لأخيه، إذ يحتمل أن يذهب هذا إلى الأجانب المحتلين فيقدم لهم بحق أخيه الوشاية التي يرجو بها بعض الزلفى، وقد يكون أمله بها فارغا، ولله در الملك ابن سعود حيث يقول: " ما أخشى على المسلمين إلا من المسلمين، ما أخشى من الأجانب كما أخشى من المسلمين " [1] وقال محمد رشيد رضا مضيفا إلى ما نقله شكيب أرسلان عن الملك عبد العزيز كما تقدم: " وقال (أي الملك عبد العزيز) في محفل حافل بحجاج الأقطار - وقد طالبه مصري أزهري بمحاربة الإنكليز والفرنسيس المعتدين على المسلمين ذاكرا عداوتهم لهم -: " الإنكليز والفرنسيس معذورون إذا عادونا؛ لأنه لا يجمعنا بهم جنس ولا دين ولا لغة ولا مصلحة، ولكن المصيبة التي لا عذر لأحد فيها أن المسلمين أصبحوا أعداء أنفسهم، وأنا والله لا أخاف الأجانب، وإنما أخاف من المسلمين، فلو حاربت الإنكليز لما حاربوني إلا بجيش من المسلمين " [2]. قال الأمير شكيب: " وهو كلام أصاب كبد الصواب، فإنه ما من فتح فتحه الأجانب من بلاد المسلمين إلا كان نصفه أو قسم منه على أيدي أناس من المسلمين، منهم من تجسس للأجانب على قومه، وأسال في خدمتهم دم قومه " [3].

قلت: لذا ترك عبد العزيز مواصلة القتال حتى لا يكون قتال فتنة.

فلما أقام دولة العقيدة، وصارت المملكة بذلك أنموذج الدولة الإسلامية، والمرجع الثابت للدعوة الإسلامية، ترك مواصلة القتال حتى لا يكون قتال فتنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: " وكل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من الدين، سواء كان قولا أو فعلا، ولكن المصيب العادل عليه أن يصبر عن الفتنة، ويصبر على جهل الجهول وظلمه إن كان غير متأول، وأما إن كان ذاك متأولا فخطؤه مغفور له، وهو فيما يصيب به من أذى بقوله أو فعله له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له،

(1) ينظر : لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ، ص 63 .

(2) ينظر المصدر السابق ، حاشية رقم 1 .

(3) ينظر المصدر السابق .

وذلك محنة وابتلاء في حق ذلك المظلوم، فإذا صبر على ذلك، واتقى الله كانت العاقبة له، كما قال تعالى: { $¯ø© tÏèÏ%ø. tÏà2 ¨ÎÖƒ ÏŵÎ (qà)G?r (rçŽÉÁ? bÎr } [1] (آل عمران: 120).

وقال تعالى: { (qèré `ƒÏ‰ÏŠ `Ï Æ ãJó¡F9r tÏà6 Å¡øÿR&r tÏà6 Ï°qÏ& þÎ žc ãÆŒ9 * Ò“ã ôÏ š• Ï‰Ï bÎù (qà)G?r (rçŽÉÁ? bÎr #ZÏ. "]Ï& (þ¡ŽÖ& šú ïÏ‰ÏŠ `Ïr tÏà6 îÏ‰ `Ï =»GÅ¡Ï ÇÍÈ íqÏÊ¡Ï } [2] (آل عمران:186). فأمر سبحانه بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى، وذلك تنبيه على الصبر على أذى المؤمنين بعضهم لبعض، متأولين كانوا أو غير متأولين " [3].

وليس أحب من جمع كلمة المسلمين لدى عبد العزيز، والصبر على التضحية في سبيل ذلك، قال عبد العزيز - رحمه الله -: " أنا مسلم، وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، وليس عندي أحب من أن تجتمع كلمة المسلمين، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي في سبيل ذلك " [4].

ومع حبه لجمع كلمة الإسلام والمسلمين، لم يطلب أن يصير خليفة على المسلمين خشية أن تقع الفتنة، ولعدم اتفاق المسلمين، ولوقوعهم تحت تأثير الاستعمار الأجنبي، ولتفرقهم تفرقا لا يمكن معه إقامة واجب الخلافة، قال رحمه الله: " يقولون إنني أطلب أن أصير خليفة على المسلمين. أنا ما ادعيت هذا ولا طالبت به، لأن على الخليفة واجبا هو تنفيذ أوامر الدين على كل فرد من أفراد المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، فهل هناك من رجل يستطيع أن ينفذ ذلك على المسلمين في هذه الأيام " [5].

---

(1) سورة آل عمران آية : 120 .

(2) سورة آل عمران آية : 186 .

(3) الاستقامة ، ط1 ، 1/ 37- 38 .

(4) المصحف والسيف ص 84 .

(5) المصدر السابق ص 85 .

ويتحدث عن سبب ذلك، وأنه هو اختلاف المسلمين أنفسهم، وتفريقهم لدينهم في الخلافة حتى دمروه.

قال رحمه الله: " أتعرف ما دمر الدين وأكثر الفتن بين المسلمين؟... لم يكن ذلك إلا من اختلاف المسلمين، وعدم اتفاق كلمتهم.. "[1].

نعم تفرقوا طوائف، وأهملوا طريقة الكتاب والسنة إلا قليلا منهم، فتسلط عليهم الأجانب يستعمرونهم ويتصرفون فيهم، بسبب من هؤلاء المسلمين المفارقين للجماعة أنفسهم لا من هؤلاء الأجانب. كما قال رحمه الله: " ومن خطل الرأي الذهاب إلى أن الأجانب هم سبب هذه التفرقة وهذه المصائب.. إن سبب بلايانا من أنفسنا لا من الأجانب، يأتي أجنبي إلى بلد ما، فيه مئات الألوف بل الملايين من المسلمين، فيعمل عمله بمفرده فهل يعقل أن فردا في مقدوره أن يؤثر على ملايين من الناس إذا لم يكن له من هذه الملايين أعوان يساعدونه ويمدونه بآرائهم وأعمالهم كلا ثم كلا.. فهؤلاء الأعوان هم سبب بليتنا ومصيبتنا.. أجل هؤلاء الأعوان هم أعداء الله وأعداء أنفسهم.

إذن فاللوم واقع على المسلمين أنفسهم وحدهم لا على الأجانب.. إن البناء المتين لا يؤثر فيه شيء مهما حاول الهدامون هدمه، إذا لم تحدث فيه ثغرة تدخل فيها المعاول، وكذلك المسلمون، لو كانوا متحدين متفقين لما كان في مقدور أحد خرق صفوفهم وتمزيق كلمتهم.. "[2].

ثم يبين رحمه الله الطريق الصحيح للخلاص فيقول: " إن المسلمين بخير إذا اتفقوا، وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله r ليتقدم المسلمون للعمل بذلك، فيتفقون فيما بينهم على العمل بكتاب الله وسنة نبيه، وبما جاء فيهما، والدعوة إلى التوحيد الخالص، فإنني حينذاك أتقدم إليهم فأسير وإياهم جنبا إلى جنب، في كل عمل يعملونه، وفي كل حركة يقومون بها.. والله إنني لا أحب الملك وأبهته، ولا أبغي إلا مرضاة الله والدعوة

(1) المصدر السابق ص 74 .

(2) المصدر السابق ص 55-56 .

والتوحيد،.. ليتعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك وليتفقوا، فإني أسير وقتئذ معهم لا بصفة ملك أو زعيم أو أمير بل بصفة خادم.. أسير أنا وأسرتي وجيشي وبنو قومي، والله على ما أقول شهيد، وهو خير الشاهدين " [1].

ويقول أيضا: " وما هو الطريق الذي اتفق عليه المسلمون، وجاهدوا فيه وتأخرت عنهم؟.. أنا أتأخر وأتقدم بقدر الحاجة، ولا أعمل عملا أخرب به بلادي " [2].

وفي هذا الرد البليغ، الذي يصدقه الواقع، على الذين يتهمونه - رحمه الله - ظلما بأنه إنما قاتل لأنه طالب ملك دنيوي، وترك القتال في سبيل الله، خوفا على ملكه.

والحقيقة أنه قاتل وجاهد في سبيل الله لئلا تكون فتنة، بعدم الجماعة: مرجعية الدعوة، دولة دعوة التوحيد، المملكة العربية السعودية. وترك مواصلة القتال لما رأى أن الفتنة تكمن في مواصلة القتال، لإلزام جميع المسلمين بالدخول في الجماعة، والسمع والطاعة وإقامة الخلافة وإمامتها العظمى، وأن ذلك على الدعوة يجر من الشر ما هو أعظم من تركه، بعد أن قام عبد العزيز بما يجب عليه قدرا وشرعا، من إنقاذ مهد الإسلام، ومشرق نوره، مكة والمدينة، وبسط الأمن والاستقرار في ربوعهما، وتأمين الحاج والزائر، وإقامة وحدة المملكة على التوحيد، مرجعية للدعوة، ونواة لوحدة المسلمين العظمى، ومثالا لقدوتهم، إن هم أرادوا، ورفعوا عنهم ركام الجهل بالقرآن والحكمة، واجتنبوا الظلم بعدل السنة النبوية، ففي إكراههم على الوحدة العظمى مفسدة راجحة، حرب أهلية بين المسلمين مدمرة وعدم لمرجعية الدعوة، وقتال فتنة يستطير شرها، ويعم جميع المسلمين، فدرأ عبد العزيز - رحمه الله - أعظم الشرين باحتمال أدناهما، وانصرف لبناء وحدة مملكته، وترسيخ دعائمها على تحقيق مفهوم الجماعة المستمسكة بالكتاب والسنة، وإقامة التوحيد الخالص، ونبذ الشرك بعبادة الله تعالى، مرجعية صحيحة للدعوة، وإن خالفها من خالفها من الفرق الإسلامية المفارقة وناوأها، فإن ذلك لا يضيرها ولا يضرها، بمشيئة الله

(1) المصدر السابق ص 56 .

(2) المصدر السابق ص 76 .

تعالى، كما قال r { لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك [1] }

أما إذا اعتدى معتد وبغى، ويريد تمزيق وحدة المملكة، وتفريق جماعتها، والتشكيك في مرجعية الدعوة إلى التوحيد، فلن يسمح له بحول الله وقوته، كما قال عبد العزيز: " في بلاد العرب والإسلام أناس يساعدون الأجنبي على الإضرار بجزيرة العرب والإسلام وضربها في الصميم، وإلحاق الأذى بنا.. ولكن لن يتم لهم ذلك إن شاء الله وفينا عرق ينبض " [2].

يروي رئيس أنصار السنة الشيخ محمد حامد الفقي عنه فيقول: سمعته يوما وقد دخل عليه البطل خالد بن لؤي - رحمة الله عليه -، عقب إطفاء فتنة الدويش، يقول له: " اسمع يا خالد، اسمعوا يا الإخوان، أنا عندي أمران لا أتهاون في شيء منهما، ولا أتوانى في القضاء على من يحاول النيل منهما ولو بشعرة: الأول كلمة التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله، اللهم صل وسلم وبارك عليه، إني والله وبالله وتالله أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة لا أضن به. والثاني هذا الملك الذي جمع الله به شمل العرب بعد الفرقة، وأعزهم بعد الذلة، وكثرهم بعد القلة فإني كذلك لا أدخر قطرة من دمي في سبيل الذود عن حوضه. وقد عودني الله سبحانه وتعالى من كرمه وفضله أن ينصرني على كل من أراد هذا الملك أو دبر له كيدا، لأني جعلت سنتي ومبدئي أن لا أبدأ أحدا بالعدوان، بل أصبر عليه وأطيل الصبر على من بدأني بالعداء، وأدفع بالحسنى ما وجدت لها مكانا، وأتمادى في الصبر حتى يرميني البعيد والقريب بالجبن والضعف، حتى إذا لم يبق للصبر مكان ضربت ضربتي فكانت القاضية، وكانت الآية على ما عودني الله من

(1) تقدم ذكره وتخريجه ، أول هذا البحث .

(2) المصدر السابق ص 56 .

فضله، والحمد لله رب العالمين " [1].

صدق عبد العزيز، وصدق ورثته من بعده، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فصدقهم الله تعالى، وله الحمد والمنة.

هكذا قضى عبد العزيز - رحمه الله - على الفتن، وطهر بلاده منها، وجنب بلاده عنها، قاتل الجموع، ولم يخف ولم يهن، وضحى بكل ما يملك، حتى لا تكون فتنة، وترك القتال لئلا يكون القتال فتنة، وكان نتيجة ذلك: تحقيق مرجعية الدعوة بتوحيد (المملكة العربية السعودية) نواة الوحدة الإسلامية الكبرى، ومعقل جماعتهم ولله الحمد والمنة.

(1) أثر الدعوة الوهابية ، المرجع السابق ص 110 ، 111 .

الخاتمة

تحققنا فيما مضى من البحث مفهوم مرجعية الدعوة، وأنها الجماعة بالمراد الشرعي الذي هو الاجتماع على التمسك بالكتاب والسنة، وأن من استمسك بذلك فهو المراد بالجماعة، وهو الإمام المرجع في الدعوة، وإن كان وحده، وضرورة تعيين الجماعة ليتحقق الواجب من لزومها ولزوم إمامها، واجتناب المحرم من فراقها والخروج عليها، إذا لا يتحقق الواجب ويجتنب المحرم بدون تعيينها، وبيان استمرار وجودها إلى قيام الساعة، كما تحققنا اتصاف الدول السعودية بصفة الجماعة، وبذلك ندرك أن جميع جهود الملك عبد العزيز - رحمه الله -، في تحقيق مرجعية الدعوة، بتأسيس المملكة العربية السعودية تحقيقا لمفهوم الجماعة، المراد شرعا وقدرا.

إن جهود الملك عبد العزيز - رحمه الله - قد نجحت بتوفيق الله تعالى، في تحقيق مفهوم الجماعة، مرجعية الدعوة، من خلال إقامته وحده المملكة العربية السعودية، على اتباع الكتاب والسنة، ونال بذلك رتبة الإمامة في الدين، المجدد لما اندرس من معالمه، القدوة المرجع في الدعوة، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه خير ما جزى به مصلحا عن إصلاحه.

ومن هنا نرى أن شعوب المملكة العربية السعودية وقبائلها، رعاة ورعية، قد استجابوا قدرا وشرعا لما تفضل الله تعالى به على الملك عبد العزيز، من جهود مباركة ودعوة صادقة، في تحقيق مفهوم الجماعة، فالتزموا السنة والجماعة، وتمسكوا بوصية الرسول r بتقوى الله والسمع والطاعة، حتى صارت المملكة بتوفيق الله وفضله، معقد جماعة المسلمين، ونواة وحدتهم العظمى، ومرجع الدعوة، كما هو الواقع، ويدل على ذلك من الواقع أيضا، أن كل من حقق الإسلام والسنة، وتمسك بمنهج السلف الصالح وأهل الحديث، ونبذ الأهواء والبدع، وعلم تاريخ المملكة على حقيقته، في جميع أنحاء الأرض، نراهم ولا سلطان للمملكة عليهم، يستجيبون لإصلاحات هذه المملكة، ويعتبرونه قبلتهم، وقلب الإسلام النابض، وقدوتهم، وسوادهم الأعظم، ومركز ثقلهم، ومرجعهم في الدين

والدعوة.

فقد اتصفت المملكة العربية السعودية، بصفة الجماعة شرعا وقدرا، وملكها هو إمام المسلمين في سلطانه، يجب أن يطاع بالمعروف، ويحرم الخروج عليه، ومن خرج عليه، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، فإن مات فميتته جاهلية، ويلقى الله ولا حجة له، وجزاؤه في الدنيا أن يضرب عنقه بالسيف حتى الموت [1].

وسيبقى مرجع الدعوة في تحقيق مفهوم الجماعة، في وحدة المملكة العربية السعودية، إن شاء الله تعالى، حتى يأتي أمر الله، قال تعالى: { þJèÖb#ŽÉõÃ ãZƒ ÑÙ9 ©$ c 'Î 7ÏºÆ

{ ÇÎÈ Ò×Îæ ìi‹Ü™ ©$žc &r ÑÍÅ¡ãR'Î $B (rçÉõÃ4©n ÐqÏ% 4?ã $gJèR&

©$žc Î «i $ÌB& ôÏB ½çRqãŸÿzr ¾ÍïÏÿ‾z ôÏBr ïf‰ƒ ÈŒ/ .`B M»7ÉèÃ½ç9 } (الأنفال، الآية: 53) [2]. وقال تعالى:

¾ÍïrßŠ `B Og9 $Br ½ç9 Š•B Ÿx ù #ÐqPÏ% Ðq)Î ª! $Š#‘& #Œ)r ÑÍÅ¡ãR'Î $B (rçÉõÃ4©n ÐqÏ)Î $B çÉõÃŸw

{ ÇÌÈ @r `B (الرعد، الآية: 11) [3].

وأقترح بأن يكون من ضمن توصيات هذه الندوة المباركة: تقرير تحقيق الملك عبد العزيز رحمه الله مرجعية الدعوة إلى الله تعالى بتأسيسه المملكة العربية السعودية.

نسأل الله تعالى أن لا يغير نعمه علينا، وأن يرزقنا العفو والعافية، إنه ولي ذلك ومولية وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين.

---

(1) ينظر: الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من مفارقتهم، تأليف عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، ص 70.

(2) سورة الأنفال آية: 53.

(3) سورة الرعد آية: 11.

فهرس المراجع

الكتاب العزيز، والسنة الشريفة.

ورتبت أسماء الكتب حسب حروف الهجاء:

(أ)

1- أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جريرة العرب وغيرها كتبه وتحدث به في نادي أنصار السنة المحمدية، محمد حامد الفقي، طالنهضة بمصر1354هـ.

2- الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، للشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، ط 1هـ.

3- الاعتصام للشاطبي، الإمام أبو إسحاق: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت790 هـ)، وبه تعريف العلامة محمد رشيد رضا، مطبعة السعادة.

4- الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، ط 1هـ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(ت)

5- تاريخ الأمم والملوك، للإمام أبي جعفر ابن جرير الطبري (224- 310)، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، طدار الكتب العلمية.

6- تاريخ البلاد العربية السعودية، منير العجلاني.

7- تاريخ المملكة العربية السعودية، للصف الثالث المتوسط ط 1هـ.

8- تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، تأليف صلاح الدين مختار، منشورات دار الحياة بيروت.

9- تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، ط1هـ مطبعة الحلبي بمصر.

10- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) للحافظ الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت،77 هـ).

11- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري (282- 370)، تحقيق وتقديم عبد السلام هارون، مراجعة محمد علي النجار، الدار القومية العربية للطباعة 1384هـ.

(ج)

12- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (تفسير ابن جرير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (224- 310 ص) ط 2هـ، مطبعة الحلبي بمصر.

(ح)

13- حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط 3. 14- حالة الأمن، في عهد الملك عبد العزيز، تأليف رابح لطفي جمعة.

(د)

15- الدرر السنية في الأجوبة النجدية ورسائلهم، تحقيق وترتيب وجمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (1319- 1392هـ)، من مطبوعات دار الإفتاء، ط 21385 هـ.

(ر)

16- الرسالة: للإمام الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط 2.، 1399هـ، مكتبة دار التراث، القاهرة.

(س)

17- سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، تعليق أحمد سعد علي، طهـ، مطبعة الحلبي بمصر.

18- سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت255هـ، طبع بعناية محمد أحمد دهمان، بمطبعة الاعتدال بدمشق1391 ص. 19- سنن النسائي، للإمام النسائي.

20- السنة، لابن أبي عاصم، الحافظ: أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني ت 278 هـ، ط 11400هـ، المكتب الإسلامي- بيروت. 21- السنة،

لمحمد بن نصر المروزي (202- 294 هـ) مطابع دار الفكر بدمشق، نشر دار الثقافة الإسلامية بالرياض.

(ش)

22- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الله التركي، وزميله، ط1هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت. 23- الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية، وثناء العلماء عليه، تأليف الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي، قاضي المحكمة الشرعية بدولة قطر، تقديم وتصحيح الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة1395هـ.

(ص)

24- صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري مع فتح الباري لابن حجر العسقلاني تصحيح وتحقيق وإشراف ومقابلة الشيخ عبد العزيز بن باز، طالسلفية بمصر.

25- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206- 261 ص)، خدمة محمد فؤاد عبد الباقي، طبع رئاسة البحوث 1400هـ

(ع)

26- العقد الثمين، من شعر محمد بن عثيمين، جمعه ورتبه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد، ط، دار المعارف بمصر.

27- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود، طالمجلس العلمي، الجامعة الإسلامية.

28- عنوان المجد في تاريخ نجد، تأليف الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر، وكان قد أدرك عهد الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد، (1218-1229هـ) (ت 1288هـ أو 1290هـ) طالمطبعة السلفية بمكة المكرمة 1349هـ.

(ل)

29- لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم؟ تأليف الأمير شكيب أرسلان عضو المجمع العلمي العربي في سورية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1965م.

30- لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبد العزيز، دراسة وثائقية، عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري.

(م)

31- مسائل الجاهلية للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، ضمن مجموعة التوحيد، طالسلفية، القاهرة1375 هـ.

32- المستدرك على الصحيحين، للحاكم أبي عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ النيسابوري المعروف بابن البيع، والملقب بالحاكم، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، تصوير دار الكتاب العربي، بيروت.

33- مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كتز العمال، تصوير المكتب الإسلامي، ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت.

34- المصحف والسيف، محي الدين القابسي، دار الصحراء السعودية للنشر. والتوزيع.

35- مقدمة ابن خلدون، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون، المكتبة التجارية بالقاهرة لصاحبها مصطفى محمد.

36- الملك الراشد، عبد المنعم الغلامي، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط 2،

37- منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم، 1406هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

38- موطأ مالك، الإمام مالك بن أنس.

(ن)

39- نجد وملحقاته، وسيرة الملك عبد العزيز، أمين الريحاني ط 3، دار الريحاني للطباعة والنشر بيروت، 1964 م.

(و)

40- الوجيز في سيرة الملك 4عبد العزيز، تأليف خير الدين الزركلي ط 2، مطابع الشركة العامة للمطابع بيروت 1392 ص.

فهرس الآيات

ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا 333
إن إلى ربك الرجعى 306
إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى 334
إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين 145
إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور 68
إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا 360
إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا 321
إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد 68
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ..... 322، 348
أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا 176
إياك نعبد وإياك نستعين 330
اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء 62
ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن 111
الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا 307
ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم 366
رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان 237
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به 334
فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون 339
فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن 29
فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك 90
فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه 307
قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى 308
قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون 358
قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا 325
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله 348
قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين 333

قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله. 2، 57، 86، 147، 266
كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها 33
كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون 176
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله..... 321
لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا..... 29
لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم..... 360
لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق..... 93
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا 366
ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون 63
ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى 349
من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون..... 334
منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين..... 334
وإذا مرضت فهو يشفين 125
وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله..... 331
وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على..... 330
وإنك لعلى خلق عظيم 71
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا..... 129
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ ..... 325، 335
والذي هو يطعمني ويسقين..... 125
وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه..... 34
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض 225
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن 334
وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم 195
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك..... 335
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم 85
ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب لعلكم تتقون 287
وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء 85
وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن ..... 276، 350
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون..... 85، 349

وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون **86**
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ..... **62، 145، 192**
وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا..... **323**
ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين .....**2، 128، 145**
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا..... **333**
ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ..... **306، 345**
ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم **68**
ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما **91**
ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته **86**

فهرس الأحاديث

إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم..... 29
إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما 312
إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ابن..... 238، 322
إن الله يرضى لكم ثلاثا أن لا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئا، وأن 335
إن كلمة غير واضحة ولعلها لو كما في الحديث بعت من أخيك ثمرا فاصا كلمتان 17
أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار 309
إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع فاضربوه 312
إنه سيكون بعدي هنات وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد يفرق أمر..... 332
اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر..... 317
المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس 105
تلزم جماعة المسلمين وإمامهم..... 302
سمعت النبي يقول لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، 310
فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على..... 304
فاقتلوه ينظر في صحيح مسلم كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين 312
قال يا عم، إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها، تدين لهم بها العرب، 344
قال رسول الله لسفانة بنت حاتم الطائي، لما وقعت في الأسر، وذكرت مكارم 71
قام فينا رسول الله يوما فذكر إن أهل الكتاب قبلكم تفرقوا على اثنتين..... 309
كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، 308
لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم،..... 363
لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم،..... 322
لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة صحيح مسلم ج1 \ ص 128 322
مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم 64
من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه 312
من جاء أمتي ليفرق جماعتهم فاضربوا عنقه كائنا من كان 312
من جاءكم وأمركم على رجل واحد، يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف 315
من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في 318
من رأى من أميره شيئا يكرهه، فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرا..... 331

من رأى منكم منكرا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع **76**
والذي لا إله غيره لا يحل دم رجل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني **332**
يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم، وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم، **343**
يا بلال أرحنا بالصلاة أخرجه أبو داود عن سالم بن أبي الحق جامع الأصول، 6 263 ..... **62**

الفهرس

تقديم صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ 2
الدعوة قبل عهد الملك عبد العزيز 6
القسم الأول 7
الدعوة قبل الدعوة الإصلاحية وقيام الدولة السعودية الأولى 7
أشيقر 8
العيينة 10
الرياض 12
عنيزة 14
المجمعة 16
حوطة سدير 19
روضة سدير 19
ثادق 20
حرمة 24
القسم الثاني 26
الدعوة في عهد الدولة السعودية الأولى 26
مراحلها 26
تقسيم حكم التقليد والفتيا به إلى ثلاثة أقسام 29
وجوه رفع مستوى التعليم وتقدمه 31
1- الزيادة في عدد طلاب العلم وتعدد مجالات التعليم : 31
2- أعمال العلماء العلمية 35
القسم الثالث 40
الدعوة في عهد الدولة السعودية الثانية 40
السمات الدعوية في شخصية الملك عبد العزيز 57
المقدمة 57
السمات الدعوية في شخصيته 60
نشأته 66
صفاته 71
سيرته 76

وسائل تأهيل الداعية 85
مدخل 85
المبحث الأول 89
أهمية تأهيل الداعية 89
المبحث الثاني 95
وسائل تحقيق هذا التأهيل 95
المبحث الثالث 105
ممارسة الداعية للدعوة 105
المبحث الرابع 106
الملتقيات الدعوية والدورات التدريبية 106
خاتمة 108
مراجع البحث 109
الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة 111
المقدمة 111
الاتصالات 116
مشروعية الوسائل 119
الفضائيات 122
الوسائل الأخرى 125
الوسائل التقليدية 127
الخاتمة 129
أهم المراجع 131
عضو مجلس والدعوة والإرشاد 133
خصائص المنهج الدعوي عند الملك عبد العزيز 134
المقدمة 134
المبحث الأول منهج الملك عبد العزيز في الدعوة 136
ثقافة الملك عبد العزيز وروافد فكره 136
أ- ثقافة الملك عبد العزيز وروافد فكره 137
ب- منهـــج الملك عبد العزيز في الدعوة 139
ج- أبعاد منهجه في الدعوة 141

المبحث الثاني 144
خصائص المنهج 144
أهم الخصائص: 145
1- سمو الهدف..... 145
2- الوضوح..... 146
3- الواقعية 148
4- التدرج 149
5- الشمول 150
6- تعدد جوانب الدعوة..... 151
المبحث الثالث 153
مظاهر الالتزام بالمنهج..... 153
1- تطبيق منهجه على نفسه..... 153
2- تعيين القضاة والدعاة..... 155
3- بناء الدولة على أساس الكتاب والسنة 156
4- بناؤه بهذه الدعوة قوة عسكرية لا تقهر 158
5- إنشاء مؤسسات تأهيل القضاة والدعاة..... 164
6- اعتبار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة من وظائف الدولة..... 165
المبحث الرابع أثر المنهج الدعوى للملك عبد العزيز فيمن بعده..... 167
1- التربية القيادية في مدرسته الحديثة..... 167
2- القدرة على مواجهة التحديات 169
3- تأكيد التلاحم بين الدولة ورسالتها في الحياة..... 171
الخاتمة 173
عضو هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 175
الالتزام بمنهج الدعوة الإسلامية عند الملك عبد العزيز..... 176
مقدمة..... 176
1- حمل رسالة الإسلام..... 182
2- الفهم الشمولي للإسلام 184
3- العلمية الشرعية 188
4- أولية العقيدة والعبادة 192

5- الوسطية والاعتدال 195
6- التحديث في ظل الإسلام..... 199
7- التمثل الشخصي للدعوة 203
صفات الملك عبد العزيز وسيرته - رحمه الله - 210
مولده ونشأته 210
شبابه 212
أثر الأحداث والمخططات الاستعمارية التي شاهدها وسمعها في حياته..... 216
من أهم أعماله 226
مرحلتا حركة الإصلاح والتطور في الدولة 230
المرحلة الأولى تبدأ منذ استرداد الرياض عام 1319 هـ وحتى عام 1344 هـ.... 230
المرحلة الثانية من مراحل الإصلاح فتبدأ من عام 1344 هـ حتى وفاته يرحمه الله... 230
قائمة المصادر والمراجع 234
عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة وآثارها 236
المقدمة 237
المبحث الأول أسباب عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة أولا التاريخية..... 240
أولا: التاريخية: 240
ثانيا : الشخصية : 242
ثالثا: الاجتماعية : 245
المبحث الثاني مظاهر عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة 247
الفرع الأول: المظاهر الداخلية ، ومنها: 247
أولا: البناء:..... 247
ثانيا : شمولها البادية والحاضرة :..... 247
ثالثا : تكامل المؤسسات في إنجازها :..... 248
رابعا : إجلال علمائهـــا ودعاتها :..... 249
الفرع الثاني: المظاهر الخارجية ، ومنها : 250
أولا: البلاغ ودعم العمل الإسلامي 250
ثانيا: الدفاع عن العقيدة الإسلامية : 253
المبحث الثالث عناية الملك عبد العزيز بوسائل الدعوة..... 256
أولا: الكتب: 256

ثانيا: التعليم : 259
1 - إرسال العلماء إلى البوادي والهجر: 261
2 - تأسيس المنشآت التعليمية : 267
ثالثا: البلاغ والتوجيه 270
1 - إنشاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: 270
2 - تعيين القضاة وأئمة المساجد: 273
رابعا: الإعلام : 276
الاسم 277
المبحث الرابع آثار عناية الملك عبد العزيز بالدعوة والدعاة 280
أولا: الأثر العقدي 280
ثانيا: الأثر الفكري 281
ثالثا: الأثر العلمي 282
رابعا: الأثر الأمني 285
خامسا: الأثر الاجتماعي 288
سادسا: الأثر الاقتصادي 289
سابعا: الأثر السياسي 290
الخاتمة 291
ثبت المصادر والمراجع 293
تحقيق الملك عبد العزيز - رحمه الله - مرجعية الدعوة 298
مقدمة: 299
خطة البحث 304
الباب الأول تمهيد في المرجعية 305
الفصل الأول: في المرجعية والمراد بها 305
المبحث الأول المرجعية 305
المبحث الثاني: الجماعة وإمامها هي المراد بالمرجعية 307
الفصل الثاني المراد الشرعي بالجماعة 311
الباب الثاني تحقيق الملك عبد العزيز رحمه الله مرجعية الدعوة 319
المقدمة: 319
الفصل الأول فضل الله وتوفيقه في تحقيق مفهوم الجماعة المراد شرعا مرجعية للدعوة.. 321

الفصل الثاني الحاجة إلى تحقيق مرجعية الدعوة بتحقيق مفهوم الجماعة 330
الفصل الثالث الاستجابة للحاجة إلى تحقيق مفهوم الجماعة المراد شرعا مرجعية للدعوة إلى الله تعالى 342
أ - المبحث الأول: توحيد المملكة بالإخلاص واتباع السنة : 342
ب - المبحث الثاني: التربية والتعليم: 347
جـــ - المبحث الثالث: القضاء على الفتن: 355
الخاتمة 365
فهرس المراجع 367
فهرس الآيات 372
فهرس الأحاديث 375
الفهرس 377